إرادتي هزمت إعاقتي

شارون م. درابر

نقلها إلى العربية

تيسير نظمي



العبيكان
Obeikan

إرادتي هزمت إعاقتي

قصه انتصار طفلة على الشلل الدماغي

شارون م. درابر

نقلها إلى العربية

تيسير نظمي

العبيكان
Obeikan

Original Title
Out of My Mind

Author:
Sharon M. Draper

ISBN_13: 978_1416971719

ح شركة العبيكان للتعليم، 1437هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
شارون م درابر
إرادتي هزمت إعاقتي / شارون م درابر؛ تيسير نظمي ـ الرياض 1437 هـ
288 ص؛ 16.5×24 سم
ردمك: 7 _ 998 _ 503 _ 603 _ 978
1ـ المقالات، أ. نظمي، تيسير (مترجم) ب. العنوان
ديوي: 81 رقم الإيداع: 9842 / 1437

الطبعة العربية الأولى 1438هـ _ 2017م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر
المملكة العربية السعودية _ الرياض _ المحمدية _ طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول
هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت
www.obeikanpublishing.com

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan
المملكة العربية السعودية _ الرياض _ المحمدية _ طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول
هاتف: 4808654 _ فاكس: 4889023 ص. ب: 62807 الرياض 11595

الفصل الأول

كلمات

أنا محاطة بآلاف الكلمات، وربما بالملايين.

كاتدرائية. مايونيز. الرمان.

ميسيسيبي. نابولي. فرس النهر.

حريري. مرعب. قزحي الألوان.

دغدغة. العطس. الرغبة. القلق.

التفت الكلمات دائمًا من حولي مثل رقائق الثلج - كل واحدة منها حساسة ومختلفة، كل واحدة تذوب في يدي دون أن يمسَّها أحد.

في أعماقي كلمات تتراكم في انجرافات ضخمة.

جبال من العبارات والجمل، مترابطة

الأفكار؛ تعبيرات ذكية، نكات، أغاني الحب.

منذ كنت رضيعة، وربما كان عمري بضعة

أشهر، كانت الكلمات مثل الحلوى والهدايا السائلة التي

أشربها شربًا مثلما أشرب عصير الليمون، والتي يمكنني في الغالب أن أتذوقها.

الكلمات التي جعلت لأفكاري الملتبسة، ولمشاعري،

مادة ملموسة. والدايَ كانا دائمًا يغطيانني بالأحاديث، ويدردشان ويبربران، ويلفظان الكلمات بدقة في مسمعي.

والدي غنى لي، وأمي همست بانفعالاتها في أذني.

كل كلمة تحدثا بها إلي أو عني،

استوعبتها وحفظتها عن ظهر قلب، وأتذكرها كلها.

ليس لدي أي فكرة كيف فككت تعقيدات

عملية الكلمات والفكر، ولكن ذلك حدث بسرعة

وبصورة طبيعية. مع بلوغي السنة الثانية من عمري، كل ذكرياتي

كانت كلمات، وكل الكلمات لها معانٍ،

لكنها فقط في رأسي؛

فلم يسبق لي أن تحدثت بكلمة واحدة، وأنا

أبلغ من العمر أحد عشر عامًا تقريبًا...

■ ■ ■

الفصل الثاني

لا أستطيع التكلم، ولا أستطيع المشي، ولا أستطيع أن أطعم نفسي بنفسي، أو أن أذهب إلى الحمَّام بنفسي، إن مشكلتي كبيرة.

ذراعاي ويداي متصلبتان تمامًا، ولكن يمكنني النقر على أزرار جهاز التحكم عن بعد الخاص بالتلفاز، وأن أحرك الكرسي المتحرك بمساعدة المقابض التي أستطيع مسكها على العجلات، ولا أستطيع أن أمسك الملعقة، أو قلم الرصاص، من دون إسقاطهما، وتوازني مثل رمز بريدي؛ فلعبة أطفال أكثر سيطرة عليه مما أفعل.

عندما ينظر الناس في وجهي، أعتقد أنهم يرون فتاة بشعر قصير، داكن، مجعد، مربوطة في كرسي وردي متحرك، وبالمناسبة لا يوجد شيء لطيف عن كرسي متحرك وردي؛ فاللون الوردي لا يغير شيئًا. سوف يشاهدون فتاة لون عينيها بني غامق، ممتلئتين بالكامل بالفضول، ولكن واحدة منهما جاحظة قليلًا، ورأسها يرتعش قليلًا، وفي بعض الأحيان يسيل لعابها، وهي صغيرة الحجم حقًّا، وقد بلغت سن العاشرة وثلاثة أرباع السنة من عمرها، ساقاها رقيقتان جدًّا؛ ربما لأنهما لم تُستخدما، وجسدها يتحرك وفق ما يمليه هو، مع قدم تركل أحيانًا بصورة غير متوقعة، وذراعين تضطربان في بعض الأحيان، في محاولة التواصل مع كل ما هو قريب منهما؛ من كومة من الأقراص المدمجة، أو وعاء من الحساء، أو مزهرية من الورود؛ حيث لا يتوافر قدر كبير من السيطرة هناك.

مكتبة

بعد أن ينتهي الناس من وضع قائمة بالمشكلات التي أواجهها، قد يمر وقت طويل عليهم قبل أن يلاحظوا أن لدي إلى حد ما ابتسامة لطيفة، ودمامل عميقة، وأعتقد أن دماملي على ما يرام، وأنا ألبس أقراطًا ذهبية صغيرة، وأحيانًا لا يكلف الناس أنفسهم عناء السؤال عن اسمي؛ وكأن الأمر ليس مهمًّا بالنسبة إليهم، أو لا يعنيهم، واسمي هو ميلودي.

أستطيع أن أتذكر طريق العودة عندما كنت حقًّا صغيرة، وبطبيعة الحال، من الصعب فصل الذكريات الحقيقية عن أشرطة الفيديو التي التقطها لي أبي بكاميرا الفيديو، وقد شاهدت تلك الأشياء مليون مرة: أمي وهي عائدة بي إلى البيت من المستشفى، ووجهها طافح بالابتسام، ولكن في عينيها نصفِ المغمضتين قلق كثير؛ وميلودي الصغيرة مدسوسة في حوض استحمام الطفل الصغير، وذراعاي وساقاي تبدوان نحيلتين جدًّا، ولم أكن أستفرغ أو أركل. ميلودي مسنودة بالبطانيات على أريكة غرفة المعيشة، ونظرة اطمئنان على وجهي. لم أكن أبكي كثيرًا عندما كنت طفلة، وأمي تقسم على أن ذلك صحيح.

أمي تمسد جسدي بمحلول الكريمات بعد الحمام، ويمكنني أن أشم رائحة الخزامى حتى الآن، ثم تلفني بمنشفة رقيقة مع غطاء صلب بزاوية واحدة، وأبي يلتقط لي صورًا بالفيديو؛ حين يغذُّونني، وحين أتبدل من حال إلى حال، أو حتى وأنا نائمة. وعندما أصبحت أكبر سنًّا أخمن أنه كان ينتظرني أن أنمو أكثر فأصبح قادرة على الجلوس والمشي، ولكن هذا ما لم يحدث أبدًا.

لكنني استوعبت كل شيء، وبدأت أتعرف الضوضاء والروائح والمذاق، وكل ما ينبعث من أصوات وروائح من الفرن كل صباح، ورائحة الغبار الساخن المنعشة كلما ارتفعت درجة حرارة المنزل، وشعوري برغبة في العطاس في الجزء الخلفي من حلقي، والموسيقى، والأغنيات التي تطفو من خلالي، ومن ثم بَقِيَتْ واستقرَّت في كياني، حتى إن التهويدات مختلطةً في رائحة ناعمة

من سرير النوم نامت معي، وكانت الأنغام تجعلني أبتسم. بدا الأمر مثل لوحة من صوت الموسيقى لدي دائمًا في خلفية حياتي؛ فأكاد أسمع الألوان، وأشتم رائحة الصور، عندما تصدح الموسيقى.

أمي تحب الموسيقى الكلاسيكية حيث كانت سمفونيات بيتهوفن تنطلق من مشغل الأقراص المدمجة طوال اليوم، وكانت تلك المقطوعات تبدو دائمًا في نظري زرقاء لامعة، وأنا أستمع إليها، وكنت أحس أن لها رائحة مثل رائحة الطلاء الجديد على لوحة؛ أما أبي فيحب موسيقى الجاز، وفي كل فرصة يستمع إليها، فيغمز لي، ويستبدل بالقرص المدمج لموزارت الذي وضعته أمي أقراصًا مدمجة لمايلز ديفيز، أو وودي هيرمان. موسيقى الجاز بالنسبة إلي تبدو بنية اللون وسمراء، وتنبعث منها رائحة التراب الرطب، وهي تجعل أمي في حالة جنون، وربما لهذا السبب -على الأرجح- يحب والدي أن يشغلها على مسمعها. «الجاز تصيبني بحكة»، تقول والدتي بملامح عابسة كلما شغل والدي الموسيقى، وتكاد تنفجر في المطبخ، فيذهب أبي إليها، ويربت بلطف على ذراعيها وظهرها، ثم يلفها بذراعيه معانقًا، فيختفي عبوسها، ولكنها سرعان ما تغير الموسيقى التي شغلها والدي إلى موسيقى كلاسيكية حالما يغادر الغرفة.

لسبب ما كنت دائمًا أحب الموسيقى الريفية، بصوت عال، وعزف الغيتار، والموسيقى التي تكسر القلب؛ إنها الليمون بلا حموضة، ليمون حلو المذاق؛ كعكة الليمون المنعشة، الباردة، الليموناضة الطازجة، الليمون، الليمون الذي أحبه.

عندما كنت صغيرة حقًا، أتذكر جلوسنا في المطبخ، حين كانت أمي تطعمني وجبة الإفطار، وتنبعث أغنية من المذياع تجعلني أصيح من الفرح، لذلك أنا أغني:

«ألفيرا، ألفيرا

قلبي مشتعل بالنار، ألفيرا».

كيف لي أن أعرف مقدمًا كلمات تلك الأغنية وإيقاعاتها؟ ليست لدي أي فكرة، لا بد أنها تسربت إلى ذاكرتي بطريقة ما؛ ربما من برنامج في المذياع أو التلفاز، وعلى أي حال فقد كنت على وشك الخروج من مقعدي لفرط انفعالاتي، وارتعاش جسدي، حين كنت أحاول الوصول إلى المذياع كي أستمع للأغنية مرة ثانية، غير أن والدتي نظرت إليَّ نظرة كما لو أنني كنت طبقًا من المكسرات؛ فكيف لها أن تفهم أنني أحببت أغنية (ألفيرا)، وأنا بصعوبة أفهمها بنفسي؟ ليس لدي أي وسيلة لأشرح كيف كنت أشم شرائح الليمون الطازجة، وأن أرى نغمات الموسيقى وإشاراتها في ذهني كلما سمعتها تصدح، فلو كان لدي ريشة للرسم... أواه! يا لها من لوحة كانت ستكون! ولكن أمي هزت رأسها فقط، وظلت حريصة على إطعامي بالملعقة عصير التفاح في فمي؛ هناك كثير مما لا تعرفه والدتي.

أعتقد أنه أمر جيد أن أكون غير قادرة على نسيان أي شيء؛ أن أكون قادرة على الحفاظ على كل لحظة من حياتي، فتظل محشورة داخل رأسي، ولكنه أيضًا محبط للغاية ألا يمكنني مشاركة أي من ذلك، وأن أيًّا من ذلك لا يعتريه النسيان؛ فأتذكر الأشياء الغبية، مثل الشعور بأن قطعة من دقيق الشوفان عالقة على سطح فمي، أو مثل طعم معجون الأسنان العالق في أسناني.

رائحة القهوة في الصباح الباكر دائمة الحضور في الذاكرة، وقد اختلطت مع رائحة اللحم المقدد، والثرثرة الخلفية للناس عن أخبار الصباح -في الغالب- على الرغم من أنني أتذكر الكلمات. في وقت مبكر جدًّا أحسب أنه كانت هناك الملايين من الكلمات في العالم؛ كان الجميع من حولي قادرًا

على إخراجها من دون أي جهد؛ مندوبو المبيعات على التلفاز: **اشترِ واحدة واحصل على اثنتين مجانًا! لمدة محدودة فقط**؛ وساعي البريد الذي جاء إلى الباب: **صباح الخير يا سيدة بروكس، كيف حال الرضيع؟** والجوقة في الصلاة: سبحان الله، سبحان الله، آمين؛ ولوحة الخروج في محل البقالة: **شكرًا للتسوق معنا اليوم**. الجميع يستخدمون الكلمات للتعبير عن أنفسهم، إلا أنا. وأراهن أن معظم الناس لا يدركون القوة الحقيقية للكلمات؛ لكنني أدركها، فالأفكار تحتاج إلى الكلمات، والكلمات تحتاج إلى الصوت. فأنا أحب رائحة شعر والدتي بعد أن تغسله، وأحب خرمشة شعر وجه والدي قبل أن يحلق، ولكنني لست قادرة على أن أقول لهما ذلك.

■ ■ ■

الفصل الثالث

أعتقد أنني حسبت بأنني كنت مختلفة قليلًا ذات وقت؛ ولأنني لم أعانِ صعوبة في التفكير أو التذكر، فإن ما فاجأني في الواقع هو أنني لا أستطيع أن أفعل أشياء، وذلك أغضبني.

أحضر لي والدي قطة محشوة صغيرة عندما كان عمري أقل من سنة، وأنا متأكدة من ذلك، وكانت بيضاء وناعمة، وبحجم يمكِّن أصابع طفل من التقاطها. كنت جالسة في مقعد الأطفال النقال على الأرض، مربوطة بأمان، وأتفحص العالم من حولي؛ السجاد الأشعث الأخضر، والأريكة المتطابقة مع ما حولها، فوضعت أمي القطة اللعبة في يدي، فابتسمت.

«هيا يا ميلودي، أبوك أحضر لك لعبة جميلة»، قالت ذلك بصوت عالٍ يستخدمه الكبار مع الأطفال: «انظري، أليست لعبة جميلة؟». كما لو أنه ليس صعبًا كشف الأشياء الحقيقية، لا بد لي من معرفة كيف تتكوَّن معاني الكلمات المختلفة! ولكنني أحببت البرودة الناعمة لفراء القطة الصغيرة، ثم سقطت اللعبة على الأرض، فوضعها أبي ثانية في يدي. أردت حقًّا أن أعانقها، ولكنها سقطت على الأرض مرة أخرى، وأذكر أنني كدت أصاب بالجنون، فبدأت بالبكاء.

«حاولي مرة أخرى يا حبيبتي»، قال أبي والحزن في حواف كلماته؛ «يمكنك أن تفعلي ذلك»، وضع والدي القطة في يدي مرارًا وتكرارًا، ولكن في

كل مرة لم تتمكن أصابعي الصغيرة من أن تمسكها، وكانت تفلت اللعبة منها لتسقط على السجاد.

أنا أيضًا كان لي نصيبي الخاص من التعثر والسقوط على البساط، وأعتقد أن هذا هو السبب في أنني أتذكر ذلك جيدًا؛ كانت السجادة خضراء وقبيحة عند النظر إليها عن قرب، وأعتقد أنها كانت من طراز عفا عليه الزمن حتى قبل ولادتي. كان لدي كثير من الفرص لمعرفة كيفية نسج خيوط السجادة، وأنا مستلقية هناك في انتظار شخص ما أن يلتقطني ليرفعني إلى فوق؛ فأنا لا يمكنني أن أتدحرج، ولذلك كنت أغضب؛ أغضب من شعر البساط الأشعث، ورائحة حليب الصويا الحامض المتسرب على وجهي حتى ينقذني أحدهم. كان والدايَ يسندانني إلى الأرض بالوسائد على كلا الجانبين عندما لا أكون داخل مقعد الأطفال، ولكنني كنت أرى شعاع الشمس القادم من خلال النافذة، فأستدير برأسي لمشاهدة الأشياء، والغبار الرقيق الذي يبدو طافيًا من خلال ذلك، ثم أسقط ووجهي على الأرض. كنت أصرخ؛ لعل واحدًا منهم يلتقطني، ويهدئ من روعي، في محاولة لاستعادة توازن أفضل لي داخل الوسائد، ومع ذلك أظل أسقط مرة تلو أخرى خلال بضع دقائق، ولكن بعد ذلك يفعل أبي شيئًا مضحكًا؛ كأن يحاول القفز مثل الضفدع الذي كنا نتفرج عليه في برنامج افتح يا سمسم، وهو ما كان من شأنه أن يجعلني أقهقه، ثم كنت أقع من جديد. أنا لا أريد أن أقع، أو حتى لا أقصد ذلك؛ فالأمر خارج عن إرادتي؛ إذ ليس لدي قدرة على حفظ توازني على الإطلاق، لا شيء من السيطرة والتحكم ألبتة لدي.

لم أفهم في ذلك الوقت، ولكن والدي كان يفهم، كان يتنفس الصعداء وينتشلني إلى حضنه، وكان يعانقني بحرارة، ويمسك القطة الصغيرة، أو أي لعبة يعرف أنني أحبها، ويقربها مني حتى أتمكن من لمسها. على الرغم من

أنه في بعض الأحيان كان يخاطبني بمفرداته الخاصة، فأبي لم يتكلم معي على أنني طفلة مثلما كانت تفعل أمي؛ بل كان يتحدث معي دائمًا كما لو كان يتحدث إلى الكبار، وذلك باستخدام كلمات حقيقية، وعلى افتراض أنني أود أن أفهمه، وقد كان على صواب.

«حياتك لن تكون سهلة، يا صغيرتي»، يقول بهدوء، «لو كان بإمكاني تبديل الأماكن معك لفعلت ذلك من أجلك من كل قلبي؛ أنت تعرفين ذلك، أليس كذلك؟»، تراجعت فقط، ولكنني فهمت ما كان يعنيه. أحيانًا كان وجهه رطبًا من أثر الدموع، وكان يأخذني إلى الخارج في الليل، ويهمس في أذني عن النجوم والقمر وريح الليل. «النجوم فوق هناك تحتفل فقط من أجلك يا طفلتي»، يقول لي، «انظري إلى هذا العرض المدهش للتألق! واشعري بالرياح، إنها تحاول دغدغة أصابع رجليك».

في النهار كان يأخذني في بعض الأحيان من بين البطانيات كلها التي أصرَّت والدتي على أن أكون ملفوفة بها؛ لأشعر بدفء أشعة الشمس على وجهي وساقيَّ، وقد وضع طبقًا لتغذية الطيور على الشرفة، حيث كنا نجلس هناك معًا كلما اندفعت الطيور لتلتقط البذور واحدة تلو الأخرى، فيقول لي: «هذا الأحمر هو الكاردينال»، ويواصل: «أما ذاك فهو الأزرق، إنهما غير متحابين»، ويضحك ضحكة مكتومة.

أكثر ما كان أبي يفعله هو الغناء لي، وكان يمتلك صوتًا حنونًا، خاصة للأغاني مثل أغنية (يوم أمس)، و(أريد أن أمسك يدك). لم أكن أفهم طريقة الوالدين في حب الأشياء؛ كنت أستمع إلى الأصوات جيدًا، أتذكر الاستماع لصوت سيارة والدي عندما كان يقودها في الممر، ويمد يده في جيبه لإيجاد مفاتيح المنزل، ثم كنت أسمع صوت الثلاجة عندما يفتح الباب ويغلقه؛ فأول ما كان يفعله والدي عندما ندخل البيت هو بحثه عن أي شيء بارد ليشرب، ثم

يبحث عن قطعة كبيرة من الجبن الذي يحبه مع أنه لا يتوافق جيدًا مع جهازه الهضمي!

كان والدي يصدر أصواتًا وكنت أضحك حالما يدخل إلى غرفتي، فيتكئ على سريري ويقبلني، كانت لأنفاسه دائمًا رائحة مثل النعناع، وكان يقرأ لي كلما استطاع ذلك. وعلى الرغم من معرفتي بأنه متعب، إلا أنه كان يبتسم لي، ويختار كتابًا أو اثنين، فيدخلني إلى عالم حيث **تكون الأشياء البرية**، أو إلى حيث **القطة في القبعة** التي تسبب الفوضى، وربما كنت أعرف الكلمات عن ظهر قلب قبله: «**ليلة سعيدة يا قمر، شقي طريقك نحو فراخ البط**». قيلت لي عشرات المرات، والكلمات من كل كتاب التي قالها لي والدي قراءةً محفورة بداخلي إلى الأبد.

ما أريد قوله هو أني ذكية جدًا، وأنا متأكدة أن لدي ذاكرة فوتوغرافية؛ وهي مثل أن يكون لدي كاميرا في رأسي، فإذا ما رأيت أو سمعت شيئًا، نقرت زر الالتقاط، فيبقى في الذاكرة. شاهدت مرة برنامجًا على التلفاز عن الأطفال العباقرة، وكان يمكنهم أن يتذكروا جدائل معقدة من الأرقام والكلمات والصور في استدعاء التسلسل الصحيح لها، ويقتبسون مقاطع طويلة من الشعر، أنا أيضًا أستطيع أن أفعل مثلهم؛ فأنا أتذكر رقم الاتصال المجاني من كل إعلان تجاري، والعناوين البريدية، والمواقع الإلكترونية أيضًا، وإذا كنت بحاجة إلى مجموعة جديدة من السكاكين، أو آلة تمارين مثالية، كنت أضع هذه المعلومات في ملف. أعرف كذلك أسماء الممثلين والممثلات، وجميع من يظهر على شاشة التلفاز، وتوقيت كل برنامج على القناة التي تعرضه، ومواعيد إعادة البث، بل أتذكر الحوار في كل عرض، والإعلانات التجارية ما بين فقراته، وأحيانًا أتمنى لو كان عندي زر للحذف في رأسي.

جهاز التحكم عن بعد الخاص بالتلفاز مربوط بكرسيي المتحرك، قريبًا جدًّا من يدي اليمنى، وعلى الجانب الأيسر لدي جهاز التحكم في المذياع؛ لدي ما يكفي من السيطرة في قبضة يدي والإبهام لدفع الأزرار بحيث يمكنني تغيير المحطة، وأنا سعيدة حقًّا لذلك! أربع وعشرون ساعة من برامج المصارعة، ووقت كبير على برامج محطة التسوق من المنزل، يمكنها أن تجعل الإنسان يصاب بالجنون! يمكنني ضبط مستوى الصوت، وتشغيل أقراص الفيديو الرقمية إذا كان شخص ما قد وضع واحدة في جهاز التشغيل من أجلي، وكنت في كثير من الأوقات أشاهد أشرطة الفيديو القديمة التي التقطها والدي لي.

لكنني أحب أيضًا البرامج الوثائقية التي تتحدث عن الملوك والممالك التي هزموها، أو الأطباء والأمراض التي عالجوها، ورأيت عروضًا خاصة بالبراكين، وهجمات أسماك القرش، وعن كلاب ولدت برأسين، وعن المومياءات المصرية، وأتذكرها كلها، كلمة كلمة.

هذا الشيء لا يسعدني كثيرًا؛ فلا أحد يعرف عنه سواي، ولا حتى والدتي، على الرغم من أن لديها (شعور الأم) الذي يعرف أنني أفهم الأشياء، لكن هذا الفهم يظل محدودًا.

لا أحد يفهم، لا أحد، وهذا يقودني للجنون، ولذلك كنت أفقد أعصابي من حين إلى آخر، أنا أعني أني أفقدها حقًّا، فذراعيَّ وساقيَّ تغدو كلها متيبسة، وتنفلتان مثل أغصان شجرة في عاصفة، حتى وجهي يتجمد، وأحيانًا لا أستطيع التنفس الحقيقي جيدًا عندما يحدث هذا، ولكنني مضطرة إلى أن أفعل ذلك؛ لأنني بحاجة لأصيح وأصرخ وانتفض؛ إنها ليست نوبات عصبية، ولكنها علاج يجعلك تنام.

هذه الأشياء أسميها (انفجارات أعاصير)، وهي جزء مني، فكل الأشياء التى لا تتجح تتجمع وتتلبد في داخلي ولا أستطيع التوقف، على الرغم من أنني

أود ذلك، على الرغم من أنني أعرف أنني أجعل الناس يرتعشون خوفًا، فأنا أفقد السيطرة على نفسي، وهذا ما يجعل المشهد يبدو قبيحًا.

ذات مرة، عندما كان عمري قرابة أربع سنوات، كنت مع أمي في أحد المتاجر التي تبيع كل شيء؛ من الحليب إلى الأرائك، وكنت ما أزال صغيرة بما يكفي لجلوسي في مقعد الطفل في الجزء الأمامي من عربة التسوق، وكانت أمي دائمًا تجهزني بالوسائد المحشوة على كل جانب من حولي، حتى لا أميل. كان كل شيء على ما يرام. قذفت ورق التواليت، وغسول الفم، والمنظفات، في عربة التسوق، وكنت أتلفت حولي مستمتعة بركوب عربة التسوق.

في قسم اللعب رأيت مجموعات من القطع البلاستيكية زاهية الألوان. كنت في صباح ذلك اليوم قد شاهدت تحذيرًا في التلفاز عن أن هذه اللعبة قد تسبَّبت بتسممِ أطفال كثيرين عولجوا في المشافي؛ لأنها مطلية بطبقة من الرصاص، كما ورد في التقرير، ولكنها على الرغم من ذلك كانت لا تزال على الرف، فأشرتُ إليها محذرة من خطرها، قالت أمي: «لا يا حبيبتي؛ لا تحتاجين إلى تلك اللعبة، فلديكِ ما يكفي من اللعب»، فأشرت مرارًا وتكرارًا حتى إنني بدأت أستخدم قدمي، «لا!»، قالت أمي بقوة أكبر، «لن ترغميني بنوبة غضبك!».

لم أكن أريد تلك اللعب، أردت أن أقول لها إنها كانت لعبًا خطرة، وكنت أريد لها أن تخبر شخصًا ما ليتخلص منها قبل أن يتسمم أي طفل من جراء إمساكه بها، ولكن كل ما يمكنني أن أفعله كان الصراخ والإشارة والركل، وهكذا فعلت، وبصوت أعلى، فهُرعت أمي خارجة من قسم اللعب، ودفعت العربة بسرعة حقيقية، ثم صرخت في وجهي: «توقفي!»، لكنني لم أتوقف. لفّني الإعصار، وأصبحت ذراعاي مثل عصي القتال، وأصبحت ساقاي هما

الأسلحة، وبدأت الركل بقدمي، وصرخت، وظللت أشير في اتجاه تلك اللعب الخطرة.

حدق الناس، وأشار بعضهم، وآخرون أشاحوا بوجوههم، وما أن وصلت أمي إلى باب المتجر، حتى انتزعتني من العربة، وتركَتْها مع جميع محتوياتها هناك، وكانت على وشك البكاء عندما وصلت إلى السيارة. ربطتني في مقعدي، وصرخت في وجهي: «ماذا أصابك؟».

حسنًا، لقد عرفت الجواب عن ذلك، لكنها أدركت أن هذا لم يكن سلوكي المعتاد، أما أنا فابتلعت ريقي، وتنفست، وهدأت في النهاية، وكنت آمل لو أن الناس في المتجر شاهدوا الأخبار.

عندما وصلنا إلى المنزل، استدعت أمي الطبيب وأخبرته عن سلوكي المجنون، فكتب لي وصفة من المسكنات، لكن أمي لم تعطني إياها؛ فقد انتهت الأزمة خلال ذلك الوقت، ولا أعتقد أن أمي عرفت بتاتًا ما كنت أحاول أن أقوله لها في ذلك اليوم.

■ ■ ■

الفصل الرابع

من أين أبدأ أيها الأطباء؟ الأطباء حقًّا لا يفهمونني، أما أمي فهي ممرضة؛ ولذا أعتقد أنها تتكلم لغتهم، ولكنهم متأكدون من أنهم لا يعرفون كيف يتحدثون معي.

رأيت العشرات من الأطباء في حياتي، الذين يحاولون تحليل حالتي وتشخيصها، ولكن لا أحد منهم استطاع علاجي، لذلك فأنا عادة ما أتجاهلهم وأتصرف مثل المتخلفين، كما يعتقدون أنني واحدة منهم؛ فأنظر نظرة بلهاء، وأركز نظري على جدار واحد، متظاهرة أن أسئلتهم صعبة للغاية بالنسبة إليَّ، وتستعصي على الفهم؛ وهذا ما يتوقعون على أي حال. عندما بلغت الخامسة، كان قد حان الوقت للتفكير في تسجيلي في المدرسة، ولذلك أخذتني والدتي إلى الطبيب لمعرفة نسبة ذكائي.

دفعت بعجلات الكرسي المتحرك، وأغلقت المكابح حتى لا يتدحرج الكرسي المتحرك بي، وتأكدت من تثبيتها للحزام الملتف حول جسمي؛ إذ عندما يرتخي حزام مقعدي، أو لا يُثبَّت -وهذا يحدث مرات عدة في اللحظة الواحدة- فإنني أنزلق من الكرسي المتحرك مثل قطعة معكرونة طرية. كان الطبيب المتخصص رجلًا ضخمًا، وكان الزر السفلي من قميصه غير مثبت، وقد انتفخ بطنه من فوق حزامه! قال: «اسمي الطبيب هيوجلي»، قال ذلك بصوت عال؛ في الحقيقة أنني لم أفهم ما يجري.

وأضاف: «اليوم سوف نلعب لعبة، موافقة؟ سوف أسألك بعض الأسئلة وأنت تلعبين بهذه اللعبة، أليس ذلك ممتعًا؟». كنت أعرف أنها ستكون ساعة طويلة، وطويلة جدًّا. أخرج كومة من الأخشاب المألوفة، ولحسن الحظ أنها غير مطلية بالرصاص، كتل من الخشب فقط، ثم انحنى على مقربة مني، بحيث كنت أرى المسام في وجهه. عمومًا! «هل يمكنك ترتيب هذه الكومة بانتظام وفقًا لحجم كل قطعة منها؟»، قال بصوت عال وببطء، كما لو كنت طرشاء لا تسمع، أو كما لو كنت غبية حقًّا، ولكن من الغبيُّ منَّا؟ ألا يعلم أنني لا أستطيع الإمساك بتلك القطع الخشبية؟ بالتأكيد كنت أعرف القطع الكبيرة الحجم من القطع الصغيرة، ولكن لا يمكنني أن أرتبها حتى لو دفع لي المال لقاء ذلك! لذلك استخدمت ذراعي في إزاحتها كلها عن الأرض، فسقطت كلها محدثة خشخشة وصوت ارتطام.

حاولت ألا أضحك وهو يلتقط القطع من الأرض، فقد كان يتنفس بصعوبة وهو يحاول لملمتها عن الأرض، بعد ذلك أحضر بطاقات لعبة ثمانية × عشرة net–yb–thgie لامعة من مختلف الألوان، وقال لي: «أخبريني عندما ترين اللون الأزرق». قال ذلك بصوت أشعرني بأنه يعتقد أن كل ما يفعله معي مضيعة للوقت.

عندما ظهرت البطاقة الزرقاء أشرت إليها وأصدرت صوتًا، وقلت: «بوه!»، فصرخ: «رائع! هائل! مذهل!»، وأشاد بي وكأنني قد اجتزت لتوي اختبار الوصول إلى الكلية، ولو كنت أستطيع قلب عينيَّ بسهولة لفعلت، ثم أراني اللون الأخضر، فركلتُ بقدمي وأصدرت ضجيجًا، لكن فمي لم يستطع أن يصدر صوت «أخ». أحس الطبيب بخيبة أمل، لكنه كتب شيئًا في دفتر مفكرته، وأمسك برزمة أخرى من البطاقات، وقال بصوت عال: «سوف أطرحُ عليك بعض الأسئلة الآن يا ميلودي. قد يكون هذا صعبًا، ولكن حاولي أقصى

ما تستطيعين، حسنًا؟»، نظرت إليه فقط، وانتظرت وهو يضع أول مجموعة من البطاقات أمامي. «رقم واحد؛ أي واحدة من هذه البطاقات ليست مثل الأخريات؟»، وتساءلت في نفسي: هل جلب هذه الأشياء من برنامج **افتح يا سمسم**؟ أراني صورًا للبندورة، والكرز، وبالونًا مستديرًا لونه أحمر، والموز. عرفت أنه ربما كان يبحث عن البالون ليكون الجواب، لكن هذا بدا لي سهلًا جدًّا، فأشرت إلى الموز؛ لأن الأشياء الثلاثة الأولى كانت جميعها مستديرة وحمراء، والموز ليس كذلك.

تنهد الطبيب وخربش مزيدًا من الملاحظات، ثم قال: «رقم اثنان»، وأظهر لي أربع بطاقات أخرى، لكن هذه المرة كانت صورًا لبقرة، وحوت، وجمل، وفيل؛ «ما الحيوان الذي يلد عجلًا؟»، ولأني كنت أشاهد عالم الحيوانات دائمًا، فأنا أعلم حقيقة أن صغار جميع الحيوانات المصورة بالإنجليزية تسمّى (العجل). كنت أعتقد أن من المفترض أن يكون الأطباء أكثر ذكاء! ماذا أفعل؟ ضربت كل صورة ببطء وبعناية، ثم كررت ذلك مرة أخرى فقط للتأكد من أنه فهم، لكني لا أعتقد أنه فهمني، وسمعت منه كلامًا غير واضح (البقرة)، وكتب مزيدًا من الملاحظات. وكان واضحًا أنه يئس مني. لاحظت وجود نسخة من ليلة سعيدة يا قمر على رف في عيادته، وأعتقد أنها كتبت أصلًا باللغة الإسبانية بعنوان: لونا بيوناس نوتي Luna Buenas Noches. كان من الممكن أن أمتع النظر بتصفحها، ولكن لم يكن لدي أي وسيلة لأخبره أنني أود أن أرى الكتاب.

بعد مشاهدة برنامج **افتح يا سمسم** و**دورا المكتشف** مليون مرة، والجلوس ساعاتٍ لمشاهدة القنوات الإسبانية، صرت أفهم قليلًا من الإسبانية إذا كانت تحكى ببطء، أو على الأقل كلمات تكفي لقراءة عنوان هذا الكتاب، لم يدر بخلده ذلك أبدًا ليسألني عن هذا، بطبيعة الحال.

كنت أعرف كلماتِ وألحانِ مئات الأغاني؛ كانت سيمفونية تتفجر داخل رأسي لا أحد يسمعها غيري، ولكنه لم يسألني عن الموسيقى. وكنت أعرف الألوان والأشكال والحيوانات كلها التي من المفترض أن الأطفال يعرفونها في سني، بالإضافة إلى كثير غيرها، وكنت أستطيع أن أعد في رأسي حتى الألف؛ تصاعديًا وتنازليًا، وأستطيع تعرُّف مئات الكلمات بصريًا، ولكن ذلك كلَّه كان عالقًا داخل رأسي. الطبيب -حتى لو ذهب إلى الجامعة لملايين السنين- لن يكون ذكيًا بما فيه الكفاية ليرى ما في داخلي؛ لذلك ارتديت وجهي المشلول، وسرحت بتفكيري إلى الصيف الماضي، عندما ذهبت أنا وأمي إلى حديقة الحيوان. أنا حقًا أحب الفيلة، ولكن الحديث عنها يذكرني بالنتانة! في الواقع، فإن الطبيب من نوعها نفسه، وهو يذكرني بواحد منها؛ لم يكن لدى أمي والطبيب أي فكرة لماذا كنتُ مبتسمة ونحن ندخل غرفة الانتظار وهو يكتب عن تقويمه لي، ولم يستغرق ذلك وقتًا طويلًا. يدهشني دائمًا أن البالغين يفترضون أنني لا أستطيع السمع، فيتحدثون عني كما لو أنني غير مرئية، ويعتقدون أنني أيضًا متخلفة عن فهم حديثهم، وكنت أتعلم قليلًا بهذه الطريقة، لكن الحديث هذه المرة كان مروعًا حقًا، فهو لم يحاول حتى أن يلطِّف الأخبار لأمي، وأنا متأكدة أنها شعرت وكأن شاحنة صدمتها.

تنحنح ثم قال: «سيدة بروكس»، برأيي أن ميلودي مصابة بتلف الدماغ، وأن إعاقتها حادة».

يا إلهي! على الرغم من أنني كنت في الخامسة فقط، فقد شاهدت من برنامج الماراثون التلفازي لجمع التبرعات لذوي الاحتياجات الخاصة ما يكفي لمعرفة مدى سوء هذا الكلام؛ إنه حقًا سيئ! شعرت بانقباض في أمعائي. تنهدت أمي، ولم تقل شيئًا وصمتت لدقيقة كاملة، وأخيرًا أخذت نفسًا عميقًا، واحتجَّت بهدوء: «لكنني أعرف أنها ذكية، وأستطيع أن أرى ذلك في

عينيها»، فقال الطبيب: «أنت تحبينها، ومن الطبيعي أن يكون هذا التمني»، قالها الطبيب بلطف ظاهر. «كلا، لديها شرارة، بل أكثر من ذلك، شعلة من الذكاء الحقيقي، وأنا أعرف ذلك»، أصرَّت والدتي، وقد بدت أقوى قليلًا.

- «الأمر يتطلب بعض الوقت لقبول قصور الطفل الحبيب على قلبك؛ إن لديها شللًا دماغيًا، سيدة بروكس».

- «أنا أعرف اسم حالتها، يا دكتور»، قالت أمي وبرودة الثلج في صوتها، وأضافت: «لكن الإنسان أكثر بكثير من اسم التشخيص على الرسم البياني!». محاولة جيدة من أمي، قلت لنفسي. لكن صوتها فقد حدته، وذاب في فراغ العجز.

- «إنها تضحك على النكات»، أخبرته والدتي واليأس في صوتها يحتل مكان الثلج، «الحق في لكمة خط الحلبة»، عندها تلاشى صوت أمي، وبدا ما تقوله سخيفًا، حتى بالنسبة إلي، ولكني كنت أرى أنها فقط لا يمكنها أن تجد الكلمات لتشرح شعورها الغريزي بأنني أمتلك بعض الذكاء العالق هنا بداخلي.

نقل الطبيب نظره عنها نحوي، وهز رأسه، ثم قال: «أنت محظوظة أن لديها القدرة على الابتسام والضحك، ولكن ميلودي لن تكون قادرة أبدًا على المشي بنفسها، أو الكلام ولو جملة واحدة، ولن تكون قادرة أبدًا على إطعام نفسها، والاعتناء بحاجاتها الشخصية، أو فهم أي شيء أكثر من التعليمات البسيطة. وفور قبولك هذه الحقيقة، يمكنك التعامل مع المستقبل».

كان هذا شيئًا عاديًا، ولكن أمي التي من الصعب أن تبكي، ونادرًا ما تفعل ذلك، بكت في ذلك اليوم، وبكت، وبكت، حتى إنه كان يتعين على الطبيب هغلي أن يعطيها علبة كاملة من المحارم الورقية، وكلاهما تجاهل وجودي. وبينما

كانت أمي تبكي حاول هو أن يجد الكلمات اللطيفة ليقولها لها ليجعلها تشعر بتحسن، ولكنه لم يحسن جيدًا تلك المهمة، وأخيرًا قال لها إنها أمام خيارات محدودة: «أنت وزوجك»، قال لأمي، «لديكما قرارات كثيرة لاتخاذها؛ فيمكنك أن تختاري أن تبقيها في المنزل، أو من الممكن أن ترسليها إلى مدرسة خاصة للمتخلفين عن النمو؛ ليس هناك كثير من الخيارات هنا محليًّا». من أين يحصلون على عبارات لطيفة تقريبًا لوصف الأطفال في مثل حالتي يا ترى؟

صدر عن أمي صوت يشبه مواء هرة صغيرة؛ فقد كانت خسارتها كبيرة، وتابع الطبيب هغلي قائلًا: «يمكنك أيضًا أن تقرري وضع ميلودي في سكن داخلي حيث يمكن رعايتها بصورة مريحة»، وأخرج كتيبًا ملونًا على غلافه طفل يبتسم وهو يجلس على كرسي متحرك، وسلمه لوالدتي، فارتجفتُ حالما رأيتها تأخذه.

«دعونا نرَى»، قال الطبيب: «ميلودي، حسنًا، عمرها خمس سنوات الآن، وهذا هو السن المناسب لها أن تتعلم التكيف مع بيئة جديدة، ويمكنك أنت وزوجك الاستمرار بحياتكما من دون أن تكون عبئًا، وبمرور الزمن سوف تتلاشى ذكرياتها عنكما». عندها حدقت فيَّ أمي بشدّة. لم أكن أريد أن أكون بعيدة عنها، فهل أنا عبء؟ لم أفكر قطُّ في هذا بتلك الطريقة، ولكن ربما ستكون حياتهما أسهل لهما لو لم أكن بقربهما. ابتلعت ريقي، وبدأت البرودة تسري في يديَّ، وكانت أمي لا تنظر إلى وجهي، بل كانت تحدق بحدة الخناجر في الطبيب هغلي. ثم كومت بقبضتها محارم الورق، ونهضت واقفة: «اسمح لي أن أقول لك شيئًا يا دكتور؛ ما من شيء في الدنيا كلها يجعلنا نرسل ميلودي بعيدًا عنا إلى دار للرعاية!»، عندها تراجعتُ؛ أهذه والدتي؟ تراجعت مرة أخرى، لكنها كانت لا تزال هناك، وجهًا لوجه مع الطبيب هغلي، فلم تنتهي بعد من مواجهته؛ «هل تعرف لماذا؟»، قالت والدتي بغضب وقذفت الكتيب

في سلة المهملات، «أعتقد أنك بارد، ويَعُوزك قليل من الحساسية، وأتمنى ألَّا ترزق بطفل يعاني صعوباتٍ؛ لأنك على الأرجح ستضعه في سلة القمامة الخاصة بك!». بدا الطبيب هفلي مصابًا بالصدمة، وأضافت: «ثمة ما هو أكثر من ذلك»، وتابعت: «أعتقد أنك على خطأ، بل أنا أعلم أنك مخطئ! وميلودي تمتلك مزيدًا من الطاقات العقلية المخبأة في رأسها أكثر مما تمتلكه أنت، رغم شهاداتك الدراسية التي تؤطِّرها وتعلقها على الجدران».

أنصت الطبيب كما لم ينصت من قبل: «حياتك سهلة؛ لأن جميع وظائفك الجسدية تعمل على الوجه الصحيح، ولست مضطرًّا قطعًا إلى النضال من أجل أن يفهمك الناس، وتعتقد أنك ذكي؛ لأنك تملك شهادة الطب». كان الطبيب من الحكمة بما يكفي للحفاظ على فمه مغلقًا، ومن الخجل بما يكفي لخفض رأسه، في حين استمرت أمي في هجومها بلا هوادة: «أنت لست ذكيًّا جدًّا يا سيد، لكنك محظوظ فقط! كل واحد منا من أولئك الذين ملكاتهم كلها سليمة، مجرد محظوظين بذلك. ميلودي قادرة على معرفة الأشياء، والتواصل، والإدارة، في عالم **لا** شيء يعمل فيه بعدالة تجاهها؛ إنها هي التي تمتلك الذكاء الحقيقي!».

قالت ذلك وخرجت بقوة من عيادته، دافعة بلطف وبسرعة كرسيّي المتحركَ من خلال الأبواب السميكة. لم تعد يداي باردتين. «سوف آخذك الآن، وأسجلك في مدرسة شارع سبولدينج الابتدائية»، أعلنت والدتي بعزم ونحن متجهون إلى السيارة، «لنشْغَلْ يومنا بما هو أكثر جدوى!».

■ ■ ■

الفصل الخامس

دخلت مدرسة شارع سبولدينج الابتدائية وعمري خمس سنوات. إنها مدرسة عادية مليئة بالأطفال، تمامًا مثل المدارس التي أراها في البرامج التلفازية.

أطفال يطارد بعضهم بعضًا في الملعب، ويركضون إلى القاعة السفلى للوصول إلى مقاعدهم قبل قرع الجرس. أطفال يتزلجون على بقع ثلجية في فصل الشتاء، ويرقصون في البرك في فصل الربيع؛ وأطفال يصرخون ويدفع بعضهم بعضًا؛ وأطفال يشحذون الأقلام، ويذهبون إلى اللوح لحل مسائل الرياضيات، ويفتحون كتبهم لقراءة القصائد. أطفال يكتبون إجاباتهم على ورقة دفتر الملاحظات، ويحلون واجباتهم المدرسية عند الظهر؛ وأطفال يلقي بعضهم على بعض الطعام في حجرة الغداء، وهم يرشفون من علب العصير؛ والأطفال الذين يغنون في جوقة، ويتعلمون العزف على آلة الكمان، ويشاركون في لعبة الجمباز والباليه أو دروس السباحة بعد المدرسة؛ وأطفال يتقاذفون السلال في صالة الألعاب الرياضية، وأحاديثهم تملأ القاعات وهم يعدّون الخطط، ويتبادلون النكات، ويعقدون الصداقات؛ والأطفال الذين -في الغالب- يتجاهلون طفلة مثلي.

حافلة (ذوي الاحتياجات الخاصة) -كما يسمونها- التي تنقلني من البيت إلى المدرسة، وتعيدني إلى المنزل، مزودة بكرسي متحرك مثبت في الباب، كل صباح أجدها أمام بيتي. عندما نصل إلى المدرسة، يستغرق

السائقون وقتًا طويلًا، فيتأكدون من أن جميع الأحزمة والأبازيم مثبتة قبل أن ينزلونا جميعًا؛ مشيًا، أو بالكراسي المتحركة، أو العكازات، أو الخوذات الملتفة على الخناق، واحدًا تلو الآخر، إلى الأرض، ثم يقوم آخرون بمساعدتنا، أو يساعدوننا على المشي، ويصطحبوننا إلى منطقة الانتظار.

عندما يكون الجو مشرقًا ومشمسًا، نجلس في ساحة المدرسة، وأنا أحب مشاهدة الأطفال (العاديين) يلعبون لعبة كرة المربع قبل قرع الجرس. يلعبون ويلهون ويتمتعون بكثير من المرح، وحين يطلبون واحدًا آخر للعب، لا يطلبون مطلقًا من أي واحد منا المشاركة؛ ليس لأننا نستطيع أن نلعب، ولكن سيكون من الرائع لو قال لك شخص ما (مرحبًا). أعتقد أن اللاعبين الأربعة في لعبة كرة المربع يعتقدون أننا متخلفون، لدرجة أننا لا نحس عندما يعاملوننا وكأننا غير موجودين.

شعرت بالإثارة عندما ألحقتني أمي أول مرة بهذه المدرسة، وقد ظننت أنني سوف أتعلم أشياء جديدة كل يوم، ولكن تبيّن أن الأمر ببساطة كان يتعلق بإخراجي من المنزل. في الصفين الثاني والثالث ربما تعلمت من قنوات الخيال العلمي أو برنامج الاكتشاف أكثر مما تعلمته في المدرسة، ومع أن معلماتي لطيفات في معظم الأوقات، لكنهن لا يمتلكن الأشعة السينية اللازمة، مثل سوبرمان، لرؤية ما كان يدور في رأسي؛ فأنا وأطفال آخرون يعانون (الإعاقة) مسجلون في برنامج خاص، وأعمارنا تتراوح بين التاسعة والحادية عشرة. أما (مجتمع التعلم) الخاص بنا -يا لها من نكتة!- فظل هو نفسه منذ أن بدأت المدرسة ولم يتغير، ولا يبدو أننا سوف نترفع من صف إلى آخر أبدًا مثل الطلاب الآخرين الذين يترفعون من صف إلى صف أعلى كل سنة دراسية؛ فنحن فقط نفعل ما فعلناه في العام الدراسي السابق، ولكن

مع معلمة جديدة، حتى إن غرفتنا الصفية لا تتغير إلى غرفة دراسية جديدة كل عام.

وهكذا بقيت مع الأطفال أنفسهم الذين كنت معهم منذ البداية في الصف الثاني مع معلمة تدعى السيدة تريسي، أما ونحن في الصف الثالث فقد عانينا جميعًا من السيدة بِلأبس التي يمكنها أن تحصل على جائزة أسوأ المعلمين في العالم.

توجد في جناحنا من المبنى ستة مجتمعات تعلم مستقلة تضم الأطفال الذين يعانون حالات مختلفة، منهم أطفال من مرحلة ما قبل المدرسة إلى أطفال كان يجب أن يكونوا الآن في المدرسة الثانوية.

قد تكون غرفة صفنا التي تسمى H-5، مناسبة للأطفال الرضع، ولكن لا تستعجلوا! فجدران الغرفة مدهونة بالأصفر والوردي، وأحد الجدران تغطيه شمس بوجه سعيد، وقوس قزح ضخم، وعشرات من الأزهار، ووجوه مبتسمة أيضًا. الجدار الآخر رسمت عليه أرانب سعيدة، وقطط، وجراء وطيور زرقاء تحلق في جميع أنحاء السماء مع السحب البيضاء، وحتى الطيور تبتسم.

عمري الآن أحد عشر عامًا تقريبًا، وإذا كان عليَّ أن أظل أنظر إلى تلك الجراء في هذه الجنة المتخيلة يومًا إضافيًا واحدًا، فأعتقد أنني سوف أتقيأ!

أشلي الأصغر سنًّا في مجموعتنا لا تتقيأ كثيرًا. عمرها تسع سنوات، لكنها تبدو في سن ثلاث سنوات، ولديها أصغر كرسي متحرك رأيته في حياتي، وهي عارضة الأزياء في مجموعتنا؛ فهي طفلة جميلة، لها عيون نجوم السينما، وشعرها طويل مجعد، وذات أنف صغير، وتبدو مثل دمية كتلك الدمى التي تراها على رفوف المتاجر، إلا أنها أجمل. تُلبسها والدتها ثيابًا متناسقة كل يوم؛ فإذا كان قميصها وردي اللون، فإنها ترتدي بنطالًا ورديًا، والجوارب

وردية، مع ربطتي شعر ورديتين على شعرها، وحتى أظافرها الصغيرة تكون مطلية باللون الوردي. وعندما نمارس ما يسميه المعلمون أنشطة (جماعية)، فإن من الصعب على أشلي المشاركة؛ فجسدها متصلب بحق، ويصعب عليها الوصول إلى أي شيء أو الإمساك به.

في كل عيد ميلاد يجعلون الأطفال في غرفة H-5 يزينون رجل ثلج بطول ست أقدام مصنوع من مادة بولي ستايرين الرغوية. لا أدري ما الذي على الأطفال في الصفوف العادية أن يفعلوه، لكني أعرف أنه كلما اقتربنا من العيد فإن معلمتنا تسحب هذا الشيء من الخزانة وتجعلنا نزينه.

السيدة حياة، معلمة رياض الأطفال، أحبت رجل الثلج المكرمش ذاك، الذي تتدلى منه ثلاث كرات ضخمة من الستايروفوم اللامع، وقد ربطت معًا بالدبابيس والأنابيب.

- «دعونا نزينه يا أطفال!»، قالت ذلك بصوت آمر حاد ومزعج: «سوف نضع الزينة ونثبتها بمادة لاصقة أو بنكاشات الأسنان أو الفراء على رجل الثلج سيدني، الخاص بالصف H-5!». لم أكن أعرف كم كان عمر رجل الثلج سيدني في ذلك الوقت، ولكن سيدني المسكين لم يكن يستطيع الوقوف مستقيمًا، فهو يميل مثل من هو في حالة سكر، ويحتاج إلى جدار ليسنده. أعطتنا السيدة حياة رقائق ثلج خضراء. تصوَّر؟ كنا الأطفال الأغبياء، وأعتقد أننا لم يكن من المفترض أن نهتم باللون، فالطوق بني اللون، والنجوم أرجوانية ووردية.

«هل تحبين رجل الثلج يا أشلي؟»، سألتها السيدة حياة، وكان من المستحيل تقريبًا على أشلي التواصل؛ لأن جسدها مشدود جدًّا، وعلى (لوحة التكلم) الخاصة بها توجد كلمتان فقط هما: نعم ولا. التفتت برأسها قليلًا إلى اليسار إلى كلمة لا، وأراهن أنها تمنت لو أنها تطيح بذلك الشيء إلى الأرض.

بالمقارنة مع أشلي، فإن كارل ضخم، وعلى الرغم من أنه في التاسعة فقط من عمره، وكرسيه المتحرك عريض جدًّا، ويحتاج إلى اثنين من مساعديه لرفعه ولإخراجه منه، فإن وضع يديه جيد، ويمكنه أن يحركهما ويحرك بهما كرسيه الخاص، وبإمكانه الإمساك جيدًا بقلم الرصاص بما يكفي لكتابة اسمه، وتوجيه طعنة لرجل الثلج. عمد كارل إلى إدخال أقلام الرصاص والمساطر في جسم رجل الثلج، والأقلام في رأسه، وكانت السيدة حياة اعتادت التصفيق بيديها قائلة بصوتها الرفيع الحاد: «أحسنت يا كارل! أبدعت جدًّا!»، وكارل يضحك فقط. يمكنه التحدث، ولكن بجمل قصيرة فقط، وعادة ما تكون من جزأين، ولديه آراء قوية جدًّا. «رجل الثلج غبي»، يصرخ قائلًا: «جدًّا، غبي جدًّا». أعتقد أنه يكره رجل الثلج بقدر ما أكرهه أنا.

ذات سنة وضع حفاظة على ظهر رجل الثلج، وحفاظة أخرى في الثلث السفلي الأمامي منه، وتركتهما المعلمة معلقتين. كارل يعرف الحفاظات، فعندما يقضي حاجته في سرواله، في كل يوم تقريبًا، تصبح رائحة الغرفة كلها كرائحة بيت القرود في حديقة الحيوان، وكانت المساعِدات صبورات جدًّا معه، وكنَّ يسارعن إلى ارتداء قفازاتهن المطاطية، وتنظيف ما فعله على نفسه، وتغيير ملابسه -حيث كان يرتدي الحفاظات دائمًا- ويجلسنه مرة أخرى في كرسيه. هؤلاء المساعدات يستحققن ميدالية؛ فنحن لسنا مجموعة سهلة.

ماريا التي لديها متلازمة داون، في العاشرة من عمرها، وتحب عيد الميلاد وعيد الفصح وعيد الحب ويوم الأرض، لا يهم ماذا يكون العيد ما دام أنه يوم عطلة، وهي مستعدة للاحتفال به. وهي ثخينة عند الخصر، وتشبه قليلًا رجل الثلج، ولكنها تتحدث طيلة الوقت، وكان وجودها يضفي جوًّا من المرح على غرفتنا وإن كانت تصر على تسميتي بـ(ميلي أم كرش). كل

عام، عندما يحين الوقت لإخراج رجل الثلج القديم، تقفز ماريا بفرح، وأنا متأكدة من أنها الطفل الوحيد في صفنا الذي يحب حقًّا رجل الثلج. «لقد حان الوقت لإخراج سيدني رجل الثلج!»، كانت تقول مع صيحات تملأ المكان. «هل أستطيع أن أضع قبعته على رأسه؟ من فضلك! من فضلك! هل يمكنني أن أعطيه وشاحي الأحمر؟ سيدني سوف يحب وشاحي الأحمر!».

كانت السيدة حياة، وكل معلمة أخرى بعدها، دائمًا تسمح لماريا بتولي أمر قطع الورقة الخضراء، وحلوى القصب، والنجوم الأرجوانية المخططة المقصوصة من ورق لف الهدايا. كانت ماريا تقبِّل كل زخرفة قبل ربطها باللاصق، وتعانق سيدني بعد ظهر كل يوم قبل أن تذهب إلى المنزل، وكانت تبكي عندما يحين الوقت لإعادته إلى الخزانة كل عام.

على الرغم من أن لدى ماريا صعوبة في معرفة الأشياء المعقدة، إلا أنها تفهم الناس، وكيف يشعرون، فقد سألتني صباح أحد الأيام قبل بضع سنوات مضت: «لماذا أنت حزينة اليوم يا ميلي أم كرش؟». كيف أمكنها معرفة أن سمكتي الذهبية قد توفيت قبل يوم واحد؟ وكنت أسمح لها أن تعانقني بحرارة، وأشعر أنني أفضلُ بعد العناق.

إذا كانت ماريا لدينا هي معانقتنا، فإن غلوريا هي هزازتنا؛ فهي تظل تتأرجح ساعاتٍ في الزاوية تحت زهرة واحدة من الأزهار البكم الباسمات، وكانت المعلمات يحاولن دائمًا إقناعها بالخروج، لكنها تلف ذراعيها حول نفسها كما لو أنها مصابة بقشعريرة برد، وتلتحف ذراعيها. إنها مصابة بالتوحد، على ما أعتقد، وكانت تستطيع المشي جيدًا، وتتحدث عندما يكون لديها شيء تقوله، ودائمًا لديها ما يستحق الاستماع إليه.

«رجل الثلج يجعلني أرتجف»، بادرت بالقول ذات يوم عندما كان الصف هادئًا على نحو مدهش، ثم انطوت على نفسها مثل كرة لولبية في الزاوية، ولم

تقل أي شيء آخر حتى حان وقت العودة إلى المنزل. لم تسهم قطُّ بإضافة زينة واحدةٍ إلى رجل الثلج، لكن يبدو عليها الاسترخاء عندما تضع المعلمة قرصًا مضغوطًا لموسيقى العيد.

ويلي وليامز -نعم، هذا هو اسمه الحقيقي- يبلغ أحد عشر عامًا، لست متأكدة من تشخيصه. يصرخ بصوت حاد مثل واحد من أولئك السويسريين في إعلان تجاري لتسلق الجبال، وكان يصدر أصواتًا أخرى أيضًا؛ صفيرًا وهمهمات وصرخات. لم يكن يهدأ قطُّ ولو للحظة واحدة، ويخيل إليَّ أحيانًا أنه يصدر تلك الضوضاء والحركات كلها في نومه أيضًا. عند إخراج سيدني رجل الثلج، فإن المعلمة تبقي ويلي بعيدًا عنه، أيًّا كان الصندوق الذي يبقونه فيه معظم أيام السنة؛ لأنه سوف يلقي ذلك الشيء المتأرجح على الأرض.

لا يحاول ويلي أن يكون شريرًا؛ لكن مشكلته هي أن ذراعيه وساقيه في حركة مستمرة، والأمر خارج عن سيطرته، وكانت السيدة حياة أول معلمة تشهد سيدني يسقط؛ ذلك أنها سألت ويلي متعجبة ذات مرة في السنة الأولى: «لماذا لا تضيفُ هذا القوس الوردي المشرق إلى رجل الثلج؟»، فحاول ويلي بكلتا ذراعيه وحركة جسده، لكن القوس الوردي الغبي ذهب في اتجاه، والمسكين سيدني سقط في الاتجاه الآخر، فتبعثرت الكرات الثلاثة المنفصلة على أرضية الغرفة، ولم يكفَّ ويلي عن الصراخ والتصفير، وأظنني رأيته يبتسم أيضًا، ولكن لو أن السيدة حياة أعطت ويلي كرة البيسبول ليلصقها بالغراء على رجل الثلج، لوضَعَها بعناية أكبر؛ لأنه يحب البيسبول.

كان أستاذنا في الصف الأول، السيد غروس، يحب أن يلعب ألعاب التخمين، وعندما تكون الأسئلة عن الفراشات أو القوارب، فإن ويلي لا يفعل أكثر من البقبقة، ولكنه ينتبه إذا كان السؤال عن لعبة البيسبول، ويصرخ

بالإجابة الصحيحة. «من كان أول لاعب بيسبول يحقق ستين رمية في موسم واحد؟»، سأل السيد غروس.

- «بيب روث!»، قال ويلي ثم صياح.

- «من حطم الرقم القياسي لبيب روث من سبع مئة وأربعة عشر شوطًا ؟»

- «هانك آرون!»، ثم صراخ.

بدا السيد غروس دهِشًا من معرفة ويلي، الذي يلجأ إلى الصمت إذا كانت الأسئلة متعلقة بكرة القدم، ولا يصدر عنه حتى همسة؛ فهو لا يهتم بكرة القدم أو رجل الثلج. أحيانًا عندما أنظر إلى ويلي، على الرغم من ذلك كله، أشعر أنه يرغب حقًّا في أن يكون هادئًا وساكنًا. أشاهده وهو يغمض عينيه، يعبس وجهه، ويركز؛ يكون هادئًا لبضع دقائق فقط، ثم يأخذ نفسًا عميقًا مثل سباح يخرج رأسه للهواء، وعندما يفتح عينيه تنتشر الضوضاء في كل مكان، ثم إنه كان يبدو حزينًا طوال الوقت.

أما جيل فتستخدم جهاز المشي (الووكر)؛ لأن قدمها اليسرى تجر قليلًا في مشيتها، وهي رقيقة وشاحبة وهادئة للغاية، وعندما يخرج سيدني لهذا الموسم، تغدو عيون جيل خالية تقريبًا من أي تعبير، كما لو أن النور قد أُطفئ، وهي تبكي كثيرًا. اعتاد السيد غروس على وضع الزينة في يد جيل في محاولة لجعلها تشارك بسهولة في النشاط، ولكنها كانت مثل تمثال عارضة أزياء. سمعتُ إحدى المساعدات تقول إنها تعرضت لحادث سيارة عندما كانت طفلة، وأعتقد أن هذا أمر كريه؛ أن تفقد القدرة على فعل الأشياء من بعد أن كنت قادرًا عليها.

أما فريدي الذي يكاد يناهز الاثني عشر عامًا، فهو الأقدم في مجموعتنا، وهو يستخدم كرسيًا متحركًا كهربائيًا، ويحب ذلك؛ يقول لي في كل فرصة تسنح له: «فريدي الذاهب للسباق! فريدي الذاهب للسباق!»، ثم يصبح عابس الملامح، ويتظاهر بأنه يرتدي خوذة، ثم يدفع بوحدة التحكم لأقصى وضع، ويقلع في جميع أنحاء الغرفة. من المؤكد أن وحدة التحكم في السرعة لها درجتان - بطيئة وأبطأ، ولكن بالنسبة إلى فريدي فإنه يكون في مضمار السباق، فيدور وأزيز الكرسي الكهربائي من حول رجل الثلج العجوز، قاذفًا إياه بالنجوم والأجراس، ويسأل: «رجل الثلج هل تسابقني؟».

حسنًا، بعد أن جعل ويلي رجل الثلج يطير، وكارل حاول طعنه بأقلام الرصاص، أعتقد أن ما يقوم به فريدي مسألة طبيعية! فكل عام يضيف فريدي لمساته الخاصة لرجل الثلج؛ مثل ماركات السيارات، وشعار وكالة ناسا، وشارات مثل تلك التي على كرسيه. إذا سألت فريدي عن تاريخ اليوم، فإنه لا يستطيع أن يعرف، ولكن إذا كنت تريد أن تعرف من الذي فاز في سباق السيارات، فإنه سوف يخبرك.

بعد ذلك يأتي دوري أنا؛ فأنا أكره رجل الثلج الغبي، لكنني أضع الزينة مثلما يطلبون مني، وذلك أسهل من محاولتي شرح ما يدور في ذهني. لدي صينية كبيرة مثبتة على ذراعي مقعدي المتحرك، وهي بمنزلة صينية للطعام، فضلًا عن كونها لوح تواصل. عندما كنت أصغر سنًّا، ألصقت أمي بها عشرات الكلمات، ولكن استخداماتي كانت ما تزال تقتصر على مجرد عدد قليل من الأسماء الشائعة، والأفعال، والصفات، وبعض الأسماء، وحفنة من الوجوه المبتسمة. هناك أيضًا عدد قليل من العبارات الضرورية، مثل: **أنا بحاجة إلى الذهاب إلى الحمام**، **من فضلك أنا جائعة**، ولكن معظم الناس -حتى الأطفال الصغار- يحتاجون إلى قول أكثر من ذلك في اليوم الواحد. لقد حصلت على:

من فضلك، وشكرًا لك، نعم، لا، وربما، وجميعها مكتوبة على الجانب الأيمن من مقعدي، وعلى اليسار كتبت أسماء أشخاص في عائلتي، والأطفال في صفي، والمعلمات. ولم يكن اسم (سيدني) من بينها، وهناك أيضًا الأحرف الهجائية في الجزء العلوي؛ حتى أتمكن من توضيح الكلمات وتهجئتها إملائيًّا، وصفٌّ من الأرقام تحت ذلك؛ ليمكنني العد، أو قول العدد، أو الحديث عن الوقت، ولكن بالنسبة إلى معظم حياتي كانت وسائل اتصالي هي لطفل صغير على اللوحة المثبتة على مقعدي، وليس من المستغرب أن الجميع يعتقدون أنني من المتخلفين؛ بالمناسبة أنا أكره كلمة معاق.

أنا أحب جميع الأطفال في الغرفة H-5، فأنا أفهم حالاتهم أفضل من أي شخص، ولكن لا يوجد أحد آخر مثلي؛ فحالتي أشبه بمن يعيش في قفص لا باب له ولا مفتاح، وليس لدي وسيلة لأخبر أحدًا كيف يمكنه أن يخرجني من ذلك القفص. أوه، انتظروا! لقد نسيت أن أحدثكم عن السيدة فيوليت Violet التي سأشير إليها من الآن فصاعدًا بالسيدة V!

■ ■ ■

الفصل السادس

تعيش السيدة فيوليت فالنسيا في البيت المجاور لنا. زهور البنفسج أرجوانية، ولون برتقال الفالنسيا برتقالي! لهذا فإن البرتقال البنفسجي ليس عاديًا مثلما هي السيدة V؛ فهي امرأة كبيرة؛ طولها قرابة ست أقدام، ولها يدان هما أكبر الأيدي التي شاهدتها حتى الآن، أيدٍ ضخمة! أراهن أنها تستطيع وضع الحجم الكامل لكرة السلة في كفتيها ويظل هنالك متسع شاغر في كل كف، وإذا كانت هذه السيدة V مثل شجرة، فإن أمي تبدو مثل غُصين بجانبها.

كان عمري قرابة سنتين عندما بدؤوا أول مرة يدخلونني إلى منزلها. لم يكن أمي وأبي يتركانني مع أي شخص غيرهما في البداية، ولكن في بعض الأحيان تتداخل جداول عملهما ومواقيتها، وتتطلب شخصًا ثالثًا لمساعدتهما. تذكر أمي أن السيدة V كانت أول زائرة لها عندما عادت بي أول مرة إلى البيت من المستشفى، وأول شخص يحملني بين يديها مثلما يحملون أي طفل آخر حديث الولادة؛ فكثير من أصدقاء والديَّ كانوا خائفين حتى من مجرد لمسي، ولكن السيدة V لم تكن من بينهم!

السيدة V ترتدي ثيابًا ضخمة فضفاضة -لا بد وأنها أميال من القماش- بتركيبات من الألوان المجنونة؛ الوردي الفاقع بلون العلكة، مع الأحمر بلون النار، مع لون المشروب الخوخي، مع لون القرفة المشرق، وجميع أطياف البرتقالي والبنفسجي، بطبيعة الحال. أخبرتني أنها تصنع ثيابها بنفسها، وأعتقد أن هذا ما توقعته منها؛ فلم يسبق لي أن رأيت مثيلًا لها في أي متجر أو

في المركز التجاري أو في المستشفى؛ فأمي والسيدة V تعملان معًا ممرضات في المستشفى. قالت لي أمي إن الأطفال في المستشفى مولعون بها ويحبونها. وكانت ترتدي الملابس المزركشة نفسها في جناح الخدج، وفي جناح الأطفال مرضى السرطان، ووحدة الأطفال المصابين بحروق. «فاللون يجلب الحياة والأمل لهؤلاء الأطفال!»، تقول ذلك بتحدٍّ وبجرأة، وهيهات لأي شخص أن يخالفها الرأي، وأعتقد أن لا أحد يجرؤ على معارضتها في ذلك الرأي.

أتذكر الجلوس على شرفة السيدة V لأول مرة؛ كان يبدو على أمي وأبي القلق، ولكن السيدة V التقطتني بإحكام، ووضعتني على ركبتيها، ولا بد أنها تخفي مكبّر صوت تحت تلك الثياب المتدفقة الفضفاضة؛ فهي تمتلك صوتًا من تلك الأصوات التي تجعل أي شخص يصمت، بدوره، ويصغي للاستماع.

- «بالتأكيد سوف أراقب ميلودي»، تقول مؤكدة. فيقول والدي بتردد:

- «حسنًا، وميلودي -ما تعلمين- هي حقًّا ذات خصوصية»، فترد عليه السيدة V بحزم ولهجة آمرة:

- «جميع الأطفال لهم خصوصية».

- «لكن هذه واحدة لديها قوى خارقة مخفية، أحب أن تساعديها على العثور عليها»، ثم يضيف والدي: «لا يمكن أن نرد لك الجميل مقابل ما يعني ذلك بالنسبة إلينا». هزت السيدة V كتفيها باستهجان ومبتسمة، وقالت:

- «وأنا أقدّر كل ما يمكن أن تعطيني»، فبدا والدي خجلًا وهو يقول:

- «حسنًا، شكرًا لك، وسأنتهي من عملي الطارئ في نهاية هذا الأسبوع، أنا فقط بحاجة إلى السفر في رحلة واحدة إلى مكان بيع الخشب»، فقالت السيدة V:

- «الآن، هذا سيساعدنا كثيرًا»، مع إيماءة.

- «ميلودي يمكن أن تكون حفنة صغيرة»، قالت أمي محذرة، فرفعتني السيدة V في الهواء:

- «لديّ أيد كبيرة»، وقال والدي:

- «نريد لها أن تحقق أقصى قدراتها» أضاف، فقالت السيدة :V «أوه، قد تضحكني!»، فجعلته مذهولًا، «لا تورطني في كل تلك الكلمات الحساسة، والعبارات التي تقرؤها في الكتب عن الأطفال المعوقين، فميلودي طفلة يمكنها أن تتعلم، وسوف تتعلم إذا ظلت معي!».

بدا أبي محرجًا، ولكنه بعد ذلك ابتسم ابتسامة عريضة.

- «أعيديها لي بعد عشرين عامًا».

- «سوف تستردها عند وقت العشاء!».

لذلك كنت أمكث نحو ساعتين معظم أيام العمل في حضانة السيدة فالنسيا إلى أن يتمكن أمي أو أبي من العودة للمنزل، وعندما أصبحت أكبر سنًّا، كنت أذهب إلى السيدة V كل يوم بعد الظهر بعد عودتي من المدرسة، ولا أعرف كم كانوا يدفعون لها، ولكن المبلغ لا يمكن أن يكون كافيًا.

منذ البداية، لم تمنحني السيدة فالنسيا أي تعاطف، وبدلًا من جلوسي في الكرسي الخاص الصغير الذي اشتراه والداي لي، ألقت بي على ظهري في منتصف أرضية الغرفة على لحاف ناعم. في أول مرة فعلت ذلك، نظرت إلى وجهها وكأنها كانت مجنونة، وبكيت؛ فقد كنت أتوقع منها اللطف معي، ولكنها تجاهلت ذلك، ومشت بعيدًا عني، لتشغيل الأقراص المدمجة، فراحت الموسيقى العالية الصاخبة تنطلق من الفرقة الموسيقية لتملأ أرجاء الغرفة.

وقد أحببت ذلك، ثم عادت ووضعت لعبتي المفضلة -وهي قرد من المطاط- على مسافة بضع بوصات من رأسي. أردت هذا القرد؛ فهو يخرج صريرًا عندما تلمسه، ولكنه بدا كما لو كان على مسافة مليون ميل بعيدًا مني، وكنت مقلوبة على ظهري مثل سلحفاة. صرخت بصوت أعلى.

كانت السيدة V تجلس على اللحاف.

- «اقلبي يا ميلودي»، قالت بهدوء، وهي في بعض الأحيان يمكنها أن تجعل صوتها لطيفًا حقًّا. صُدِمت لذلك، وتوقفت عن الصراخ؛ فأنا لا يمكنني أن أتقلب، ألم تكن تعرف ذلك؟ هل كانت مجنونة؟ مسحتُ أنفي بمنديل ورقي.

- «يمكنكِ أن تتحركي بنفسك أكثر يا ميلودي، وأنا أعلم أنك تفهمين كل كلمة أقولها لك، وأعلم أنه بإمكانك أن تفعلي ذلك، والآن هيا تدحرجي!».

في الواقع، لم أكن أكلف نفسي عناء محاولة جادة بأن أتدحرج في أي مكان، كنت قد سقطت عن الأريكة بضع مرات، وشعرت بالألم؛ ولذا فإنني عادة أنتظر فقط أمي أو أبي ليحرّكاني لوضع مريح.

- «انظري كيف أنت مستلقية. أنت بالفعل إلى جانبك في منتصف الطريق، والآن استخدمي كل ما لديك من طاقة صراخ لتأخذك إلى وضع آخر. ارمي ذراعك اليمنى مرارًا وحاولي التركيز!».

وهكذا فعلت. صرت متوترة، ثم وصلت. حاولت جاهدة، والسيدة V تضحك بصوت عالٍ، ولكن ببطء، ببطء، شعرت بجسدي يتدحرج إلى اليمين، ومن ثم، بصورة لا تصدق انقلبت! وإذا بي على بطني. أحسست أنني فخورة جدًّا بنفسي. صرخَتْ.

- «لقد قلت لك ذلك»، قالت السيدة V، والنصر في صوتها، «الآن هيا اذهبي للحصول على هذا القرد!».

كنت أعرف ما هو أفضل من الاحتجاج، ولهذا زحفت حتى أصبح القرد الآن على بُعد بوصتين من يدي، فحاولت أن أنطلق بسرعة، ولكن بقيت ساقي تفعل عكس ما أراد رأسي منها أن تفعل. تلويت، ثم أمسكت طرفًا من اللحاف وسحبت، أصبح القرد أقرب!

- «يا لكِ من صغيرة ذكية»، قالت لي السيدة V.

كررت الاستعانة باللحاف مرة أخرى، وأخيرًا، وتدريجيًّا، أصبح القرد في يدي، وحين أمسكت به أصدر صوتًا كما لو أنه كان سعيدًا لرؤيتي، فابتسمت ابتسامة عريضة، وجعلته يصدر صريرًا مرارًا وتكرارًا.

- «بعد هذا الجهد المتعب، لا بد أنك جائعة»، قالت، ثم بدأت تطعمني الحليب المخفوق بالفانيليا أولًا، ثم الخضراوات والشعرية. السيدة فالنسيا دائمًا تقدم الحلوى أولًا، وأنا دائمًا آكل طعامي كله؛ الجزء الصحي منه، والجزء اللذيذ أيضًا؛ إنه السر الذي بيننا. كانت السيدة V هي الشخص الوحيد الذي يتيح لي أن أشرب الصودا، والمشروبات الغازية، وأنا أحب التجشوء الذي يدغدغ الأنف. أمي وأبي يطعمانني في الغالب الحليب والعصير، وكان شراب ميلو يَلو هو المفضل لدي، حتى إن السيدة V بدأت تسميني بذلك الاسم: ميلو ايَلو. في منزل السيدة V تعلمت أن أنقلب وأزحف. لم أتمكن من الفوز في مسابقة لزحف الأطفال، ولكن مع مرور الزمن عندما بلغت سن الثالثة، كنت قد تعلمت أن أقطع مسافة أرضية الغرفة، فقد علمتني السيدة كيفية أن أقلب نفسي مرارًا من الأمام إلى الخلف، ومن الخلف إلى الأمام مرة أخرى. كانت قاسية علي؛ فتركتني أقع من الكرسي المتحرك على الوسائد؛ حتى يمكنني أن أتعلم أفضل طريقة للسيطرة على نفسي.

- «افترضي أن شخصًا ما نسي ربط هذا الحزام من أجلك»، قالت لي بذلك بصوت يبدو وكأنه يمضغ الحصى: «من الأفضل لك أن تعرفي ما يجب فعله، وإلا فسوف تفلقي رأسك».

ولأني لم أكن أريد رأسًا مفلوقًا، فقد بدأنا نتمرن؛ كانت تعيدني إلى منزلي وتقول لأمي إنني أكلت جيدًا وقضيت حاجتي، ولم يكن لدي أي فكرة لماذا يعتقد الآباء أن هذا من المهم، ثم يغمزون لي، كنت مثل مهمة سرية لها.

مع ذلك، عندما بدأت المدرسة اكتشفت أن ثمة مشكلة أكبر بكثير من مجرد سقوطي عن الكرسي؛ كنت بحاجة إلى الكلمات؛ فكيف لي أن تعلم أي شيء إذا كان لا يمكنني أن أتحدث؟ كيف لي أن أجيب عن الأسئلة، أو أطرح الأسئلة؟ كنت أعرف كثيرًا من الكلمات، ولكن لم أتمكن من قراءة كتاب؛ كان لدي مليون فكرة في رأسي، لكنني لم أستطع مشاركتها مع أي شخص؛ وعلاوة على ذلك، لم يكن الناس حقًا يتوقعون من الأطفال في H-5 تعلم كثير على أي حال، وكان ذلك يقودني إلى الجنون!

لم أكن قد بلغت أكثر من ست سنوات عندما حددت السيدة V ما أحتاجه، وبعد ظهر أحد الأيام بعد المدرسة، وبعد تناولي لوجبة خفيفة من الآيس كريم مع صلصة الكراميل، أدارت السيدة قنوات التلفاز، وتوقفت عند فيلم وثائقي عن الرجل الذي يدعى ستيفن هوكينغ. كنت حينها مهتمة بأي شيء تقريبًا له علاقة بالكرسي المتحرك. أجل! أنا مثل جيري لويس في التلفاز! فقد تبيَّن أن ستيفن هوكينغ لديه شيء يدعى التصلب الجانبي الضموري، وهو لا يستطيع المشي أو الكلام، وهو على الأرجح أذكى رجل في العالم، والجميع يعرف ذلك! هذا رائع جدًا. وأنا أراهن أنه يشعر حقًا بالإحباط أحيانًا. بعد انتهاء العرض شعرت بشعور آخر؛ لقد أحسست بالهدوء الحقيقي.

- «إنه مثلك نوعًا ما، أليس كذلك؟»، سألتني السيدة V. فأشرت إلى كلمة نعم المكتوبة على لوحي، ثم أشرت بعد ذلك إلى كلمة لا.

- «أنا لا أفهمك»، قالت لي وحكَّت رأسها، فأشرت إلى كلمة احتاج المكتوبة على لوحي، ثم إلى كلمة القراءة. حاجة / القراءة.. حاجة / القراءة.

- «أعرف أنك يمكنك قراءة كثير من الكلمات يا ميلودي»، قالت السيدة، فأشرتُ مرة أخرى إلى كلمة أكثر، وقد شعرت أن الدموع على وشك أن تسح على وجهي؛ أكثر. أكثر. أكثر.

- «ميلودي، إذا كان عليك أن تختاري؛ فأي شيء يمكنك فعله؛ المشي أم التحدث؟»، فأشرت إلى كلمة التحدث المكتوبة على لوحي عدة مرات. التحدث. التحدث. التحدث؛ فلديّ كثير لأقوله. بناء على ذلك وضعت السيدة V في حسابها أن مهمتها الجديدة هي أن تعلمني اللغة، فعمدت إلى نزع جميع الكلمات المثبتة على لوح التواصل، وبدأت من الصفر؛ فوضعت بدلًا منها كثيرًا من الكلمات بحجم أصغر لتفي بحاجتي إلى مزيد من التعبير والتواصل، بحيث لم تترك في اللوح أي مساحة أو متسعًا لكلمة أو صورة، وغدت لوحة اتصالاتي مليئة بالأسماء والصور لأشخاص في حياتي، وبالأسئلة التي أنا بحاجة إلى أن أسألها، وبمجموعة كبيرة متنوعة من الأسماء والأفعال والصفات، بحيث أصبح بإمكاني أن أركّب ما يشبه الجمل المفيدة! فيمكنني أن أسأل:

- **أين حقيبة كتبي؟** أو أن أقول: **عيد ميلاد سعيد يا أمي**، فقط بالإشارة بإبهامي. فلديّ إبهامان سحريان، بالمناسبة، ويعملان بصورة تامة، وإذا كان بقية جسدي مثل معطف بأزرار مثبتة في الثقوب الخطأ، فإن الإبهامين خلقا دون أي عيوب، ودون أي مواطن خلل. فإذًا كل ما لدي هو إبهامان فقط، للتواصل.

في كل مرة تضيف السيدة V كلمات جديدة، أتعلمها بسرعة، وأستخدمها في جمل، وأصبح جائعة إلى مزيد. أردت أن أقرأ! لذلك صنعت السيدة بطاقات تعليمية، وردية اللون للأسماء، وزرقاء اللون للأفعال، وخضراء للصفات. أكوام وأكوام من الكلمات تعلمت قراءتها. الكلمات الصغيرة، مثل: **السمك والطبق**، أحببت سهولة إيقاعها فهي سهلة التذكر؛ إنها مثل (شراء واحدة، والحصول على الثانية والثالثة مجانًا)، كما تباع الأشياء في مجمع للتسوق. تعلمت كلمات كبيرة، مثل جرافة وبعوضة، وكلمات شاذة. تعلمت أيام الأسبوع كلها، وأشهر السنة، والكواكب والمحيطات والقارات كلها. كل يوم أنا أتعلم كلمات جديدة، كنت أمتصها وأتذوقها، كما لو كانت كعكة الكرز التي تصنعها السيدة V، ومن ثم تنثر الأوراق والبطاقات على الأرض، وتضعني على وسادة كبيرة حتى أتمكن من الوصول إليها، فكنت أدفع البطاقات بإحكام بقبضتي كي أكوّن منها جُملًا، كما لو كنت أنظم حبات قلادة بعضها مع بعض لتقديم شيء رائع حقًّا.

كنت أحب أن أضحكها، ولذلك كنت أضع الكلمات عن قصد بتركيبات مغلوطة لتكوّن جملًا حمقاء في بعض الأحيان؛ **السمكة الزرقاء سوف تهرب بعيدًا لأنها لا تريد أن تكون وجبة عشاء.** وعلمتني أيضًا كلمات لجميع الألحان الموسيقية التي سمعتها في منزلي، وتعلمت الفرق بين بيتهوفن وباخ، وبين السوناتا والكونشيرتو، وكانت تختار مجموعة منها على قرص مضغوط، ثم تسألني عن الملحن. **موزارت.** وكنت أشير إلى البطاقة الصحيحة من الخيارات المكتوبة عليها التي تضعها أمامي، ثم كنت أشير إلى اللون الأزرق على اللوح.

«هاه، ماذا؟» تسألني، وعندما شغلت مجموعة مختارة من باخ، أشرت إلى الملحن الصحيح، ثم مرة أخرى ألمس اللون الأزرق على اللوح. وكذلك

فقد لمست أيضًا الأرجواني فارتبكت، فبحثت في جميع الكلمات المناسبة لشرح ما قصدته، إذ كنت أريد لها أن تفهم أن الموسيقى بالنسبة إلي ملونة عندما أسمعها. أدركت أخيرًا أنه حتى السيدة V لم تستطع أن تعرف كل شيء يدور في رأسي. واستمر بنا الحال على هذا النحو؛ في بعض الأحيان كانت تشغل موسيقى شعبية، وأحيانًا موسيقى كلاسيكية، الموسيقى والألوان التي تنتجها، كانت تتدفق بسهولة كما ملابسها.

أخذتني السيدة V إلى الخارج في جميع أحوال الجو، وفي ذات يوم تركتني أجلس في الخارج تحت المطر. كان المطر دافئًا، وكنت مثبتة وعكرة المزاج. لا بد أن درجة الحرارة كانت تبلغ قرابة التسعين فهرنهايت في الخارج، كنا نجلس على شرفة منزلها، لمشاهدة عاصفة غيوم تتجمع، وقد أخبرتني بأسماء كل الغيوم، ونسجت قصصًا عنها، ثم علمت فيما بعد أنها أعدت بطاقة لكل غيمة مع اسمها من أجلي؛ «نيمبوس القديم الكبير هنالك فوق؛ لأنه أسود وقوي ويمكنه أن يفجر كل الغيوم الأخرى في السماء، وهو يريد أن يتزوج من ملكة الجمال السحابة كوميولوس، لكنها رقيقة جدًا وجميلة، لا تريد أن تزعج نفسها مع مثل هذا الرجل المخيف، وهذا ما يجعله يجن جنونه منها فيثير العواصف»، كانت تحكي لي.

أخيرًا، ذهب نيمبوس القديم في حال سبيله، ونزل المطر إلى أسفل، حولي وحول السيدة V، وهطلت الأمطار بغزارة، حتى إنني لم أعد أرى أبعد من الشرفة، وهبت الرياح، وغسلت برودة المطر الرطبة رأسينا، وهو ما خلق لنا جوًا جميلًا من المتعة. تسرب صغير على شرفة السيدة V سمح لبضع قطرات من المطر أن تسقط فوق رأسي، فضحكت بصوت عال، فحدجتني السيدة V بنظرة مضحكة؛ «تريدين أن تلمسي كل ذلك المطر؟» سألتني، فأومأت برأسي: **نعم نعم نعم**. فدحرجتني إلى أسفل المنحدر الذي صنعه والدي لي،

وكلتانا تبتلان بالماء أكثر فأكثر على حد سواء في كل ثانية، ثم توقفت عندما وصلنا العشب، وتركنا المطر يبللنا. شعري، وملابسي، وعيناي، والذراعان، واليدان؛ مبللة، مبللة. كان ذلك رائعًا؛ فقد كان المطر دافئًا، تقريبًا مثل مياه الحمام. ضحكت وضحكت، وفي نهاية المطاف أعادتني السيدة V إلى فوق، وأدخلتني المنزل، حيث جففتني وغيرت ملابسي، وسقتني كأسًا من حليب الشوكولاتة، بعد أن جففت مقعدي.

عندما جاء أبي لاصطحابي كان المطر قد توقف، وأصبح كل شيءٍ جافًا مرة أخرى، وبعدها كنت أحلم بسحب من الشوكولاته في كل ليلة.

■ ■ ■

الفصل السابع

عندما أنام أحلم، وفي أحلامي أستطيع أن أفعل أي شيء؛ أجدني في ملعب للمباريات، وأعدو ركضًا بسرعة كبيرة جدًّا! وألعب الجمباز، فلا أسقط عن عارضة التوازن؛ وأعرف كيف أرقص، بل أرقص جيدًا، وأدعو أصدقائي وصديقاتي من خلال الميكروفون، ونتحدث لساعات، أهمس بالأسرار، وأُغني.

وعندما أستيقظ في الصباح، دائمًا بنوع من خيبة الأمل، فإن الحقيقة وواقعي يؤلمانني، ولا بد لي من أن أتناول طعامي، وأن أرتدي ملابسي حتى أتمكن من قضاء يوم طويل آخر في الغرفة سعيدة الوجود في مدرسة شارع سبولدينج، جنبًا إلى جنب مع مجموعة متنوعة من المعلمين في الغرفة الصفية H-5، التي امتلأت بمزيد من المساعدات والمساعدين للفصول الدراسية الذين لا أستطيع حصر أعدادهم.

هؤلاء المساعدون، وهم عادة شخص واحد لمساعدة الفتيان، وسيدة واحدة لمساعدة الفتيات، تتمثل أعمالهم في أخذنا إلى الحمام، (أو تغيير حفاظات الأطفال مثل أشلي وكارل)، ويطعموننا في الغداء، ويقودوننا بكراسينا المتحركة إلى حيث نحن بحاجة إلى الذهاب، ويمسحون أفواهنا، ويعانقوننا. وهم -في اعتقادي- لا يتقاضون رواتب مجزية لقاء ذلك؛ لأنهم لا يمكثون معنا وقتًا طويلًا، ولكنهم يستحقون مليون دولار؛ فما يفعلونه حقًّا عمل شاق، ولا أعتقد أن معظم الناس يدركون ذلك. بل إن من الصعب الحفاظ على المعلمين الجيدين بالنسبة إلينا، وأنا أعتقد أنهم لا يلامون على تركهم للعمل؛

لأننا -كما قلت- مجموعة يصعب التعامل معها في بعض الأحيان، ولكننا بين حين وآخر كنا نحظى بالجيدين منهم. فبعد السيدة حياة ذات الطبع الحاد في مرحلة رياض الأطفال، وعروض الألعاب التي تفضلها لنا، جاءنا السيد غروس في مرحلة الصف الأول، وتأهلت السيدة تريسي إلى غرفتنا في الصف الثاني، وهي التي اكتشفت حبي للكتب، فجلبت سماعات الأذن لي وأتاحت لي الاستماع إلى كتب مقروءة ومسموعة من خلال الأقراص المدمجة.

بدأت بكتب موضوعاتها تناسب الأطفال الصغار جدًّا؛ مثل: الطبيب سوس التي قرأتها مع والدي عندما كنت في الثانية من عمري، وبعد أن قذفتُ بها إلى الأرض عدة مرات، بدلًا من معاقبتي أدركت أنني بحاجة إلى شيء أفضل، ومن ثم فقد استمعت إلى كل من كتب نادي جليسات الأطفال، وكتب صرخة الرعب البلهاء. وكانت تسألني أسئلة بعد كل كتاب استمعت إليه، وكانت إجاباتي صحيحة عن كل سؤال. أشياء مثل:

- «أي من هذه ساعدت على حل اللغز؟»، ثم تريني حصاة، ونجم البحر، وقلم حبر. إنها الحصاة، بطبيعة الحال، فتهتف لي بعد أن نكون اجتزنا الأسئلة، ومن ثم تتركني أستمع إلى كتاب آخر.

في تلك السنة استمعت إلى جميع الكتب من تأليف بيفرلي كليري، وجميع الكتب التي تتحدث عن عربة لنقل الأطفال، وقد كانت رائعة، ولكن في العام التالي ذهب كل شيء من ذلك أدراج الرياح. كنت أعلم أن المعلمين من المفترض أن يكتبوا ملاحظاتهم على كل طالب وطالبة للمعلم القادم؛ بحيث يعرفون عن طلبتهم ما يمكن توقعه منهم، ولكن إما أن السيدة تريسي لم تفعل ذلك، أو أن السيدة بِلأبس، معلمتنا في الصف الثالث، لم تقرأ تلك الملاحظات.

كانت السيدة بِلأبس تبدأ كل صباح بتشغيل الـ CD المفضل لديها، الذي أكرهه.

«جدو عندو مزرعة»، «كلن عندن سيارات وجدي عندو حمار»، و«توينكل توينكل ليتل ستار» و«العنكبوت يتسي - بيتسي»؛ كلها يغنيها أطفال لا يستطيعون الغناء، مع نوع من الموسيقى المنبثقة التي يعتقد الكبار أنها لطيفة، لكنها فظيعة في واقع الأمر!

تضعها السيدة بِلأبس -بأعلى صوت- كل صباح، مرارًا ومرارًا وتكرارًا، ومن ثَم فلا عجب أننا كنا دائمًا في مزاج سيئ، ومرة وحيدة وضعت لنا السيدة بِلأبس موسيقى فرقة شعبية لمراجعة حروف الأبجدية -كل يوم- مع طلاب الصف الثالث.

- «الآن، يا أطفال، هذا هو حرف A».

- «مَن منكم يستطيع أن يقول (A)؟»، «جيد!»، ومع ابتسامة منها تقول: «جيد»، وحتى لو لم يستجب لها أحد من الطلاب تبتسم وتقول جيد. كنت أتساءل: هل تستطيع تعليم صف ثالث من القادرين الأصحاء من الطلبة العاديين بالطريقة نفسها التي تتبعها معنا؟ على الأرجح لا تستطيع. كلما فكرت في هذا الموضوع يعتريني الغضب.

- «والآن دعونا ننتقل إلى الحرف (B)، وهذا هو حرف (B)»، «دعونا جميعًا نقول (B)»، «جيد!»، ومرة أخرى يخيم الصمت على الجميع، من غير أن يسترعي ذلك اهتمامها، ومن غير أن تكترث.

ألقيت نظرة شوق إلى الكتب على الشريط والسماعات التي كانت قد ركنت في الزاوية. في أحد الأيام طفح بنا الكيل؛ كانت السيدة بِلأبس قد

توسعت من قول الحروف إلى نطق صوت كل حرف منها، فقالت: «بوه!»، وبصوت عال، فتطاير رذاذ من فمها.

- «(بوه) هو صوت الحرف (B)، دعونا جميعًا نقول (بوه) معًا يا أطفال».
عندها بدأت ماريا التي دائمًا ما تكون في مزاج جيد برمي الطباشير، وبدأ ويلي بالثرثرة، وأنا هدرت؛ فلست قادرة على جعل الأصوات واضحة، ولكن يمكنني إصدار كثير من الضوضاء. صرخت لأنني كرهت الأشياء التي كانت مجرد غباء، ولأنني لا يمكنني أن أقول لها اخرسي! جعلني ذلك أبكي؛ لأنني غير قادرة على أن أخبر أحدًا ما كنت أفكر حقًّا فيه، لذلك صرخت وصرخت وصرخت، وبكيت مثل من هم في عمر السنتين، ووددت ألَّا أتوقف عن ذلك، ثم اندلع إعصاري الانفجاري؛ فارتجفت، وتشنجت، وخبطت ولبطت، ركلت بأقصى ما في طاقتي، ورفست بقوة جعلت حذائي يخرج من الأشرطة المثبت بها على مقعدي، وهو ما جعلني أميل إلى جانب واحد، وصرخت بصوت أعلى.
ارتبكت السيدة بِلأبس ولم تعرف ماذا تفعل، وحاولت تهدئتي، ولكنني لم أكن أريد أن يهدئني أحد، حتى المساعدون لم يتمكنوا من إيقاف إعصاري. ثم شرع جيل وماريا في البكاء؛ وحتى أشلي التي كانت ترتدي اللون الأصفر في ذلك اليوم، بدت مضطربة؛ وشرع فريدي يدير كرسيه دائريًّا في حلقة مفرغة، وينظر إلي نظرة عابرة جانبية بخوف؛ وصرخ كارل لتناول طعام الغداء، ثم تغوَّط في سرواله مرة أخرى.

كان جميع من في الصف بأكمله خارج نطاق السيطرة، وظللت أصرخ، فهُرعت السيدة أنتوني التي استدعتها معلمتنا ومديرة المدرسة، التي جحظت عيناها ما إن فتحت باب صفنا على مصراعيه غير مصدقة ما يحدث، ولما ألقت نظرة واحدة على الوضع قالت باقتضاب: «اتصلي بأمها»، فربما لم تكن قد ابتعدت كثيرًا.

بعد لحظة كانت المعلمة في اتصال مع والدتي على الهاتف:

- «سيدة بروكس، أنا معلمة ميلودي، أناستازيا بِلأبس، أيمكنك أن تأتي إلى المدرسة على الفور؟».

كنت أعرف حجم القلق الذي سوف يعتري والدتي؛ فسوف تنتابها أسئلة شتى؛ هل أنا مريضة؟ أأصبت بنزيف؟ هل متّ؟

- «لا، إنها ليست مريضة؛ إنها بخير، كما نعتقد». كانت السيدة بِلأبس تقول لها ذلك بصوت المعلمة المحترفة مهنيًا، «لكن لا يمكننا إيقافها عن الصراخ، وقد جعلت الصف بأكمله في حالة هياج ويضج بالصراخ كاملًا».

يمكنني أن أتصور حالة أمي على الطرف الآخر من الهاتف وهي تحاول معرفة ما كان يجري، ولحسن الحظ كان ذلك اليوم يوم عطلتها. ولأني كنت أعرف أنها ستحضر في بضع دقائق، فقد هدأت تدريجيًا وصمتُّ في نهاية المطاف، والأطفال الآخرون سكتوا أيضًا، كما لو أن شخصًا ما نقر على مفتاح الإغلاق، واستمرت أغنية (جدي عندو مزرعة).

وصلت والدتي بأسرع مما كنت أعتقد، وعندما رأيتها بالجينز وقميصها المتسخ، أدركت أنها تركت كل شيء بيديها وقفزت في السيارة. هُرعت نحوي وسألتني عن الأمر، فأخذت بالتقاط أنفاسي بعمق، ثم أشرت إلى الأبجدية على اللوح بجانبي، وأصدرت بعض الأصوات الدالة على الإحباط.

- «كل هذا عن حروف الأبجدية؟»، سألتني والدتي، فأشرت إلى نعم فعلًا، وأشرت إلى أن هذه هي الإجابة. التفتت والدتي إلى السيدة بِلأبس:

- «ما الذي كنت تفعلينه قبل بدء كل هذا الصراخ؟»، فأجابت السيدة بِلأبس، وبلهجة التفوق التي يستخدمها المعلمون الذين يرتدون البزّات الرسمية عندما يتحدثون لأمهات بقمصان متسخة:

- «كنا نقوم بمراجعة الأبجدية، بطبيعة الحال، صوت الحرف (B)، إذا أسعفتني الذاكرة، فأنا دائمًا أبدأ بالأساسيات التي يحتاجها هؤلاء الأطفال، وتحتاج إلى مراجعة مستمرة؛ لأن هؤلاء الأطفال لا يحتفظون بالمعلومات مثلنا نحن».

أدركت والدتي كامل الصورة؛

- «وهكذا كنت تقضين الوقت في تعليم حروف الأبجدية».

- «صحيح»، فقالت والدتي:

- «هذا شهر شباط»، فقالت المعلمة:

- «أستميحك عذرًا؟»، فأوضحت والدتي:

- «بدأت المدرسة في شهر آب، وخلال ستة أشهر لم تتجاوزي تعليم الحرف (B)؟». وبدأت قبضتا أمي بالتكور، والارتخاء والتكور مجددًا، ومع أنني لم أرَ قط أمي تضرب أي شيء من قبل، ولكنني عندما رأيتها تفعل ذلك جال ببالي خاطر وسألت نفسي: أتفعلها وتضرب؟

- «من أنت لتقولي لي كيفية إدارة صفي؟»، سألت المعلمة بغضب.

- «ومن أنت لتكدير صفو هؤلاء الأطفال بأنشطة لا معنى لها؟»، تراجعت أمي بظهرها قليلًا.

- «كيف تجروئين!» قالتها المعلمة وقد بدت لاهثة.

- «أجرؤ على أي شيء من أجل ابنتي»، «ومن أجل بقية هؤلاء الأطفال!» أجابت أمي بصوت ينذر بالخطورة.

- «أنت لا تفهمين...»، ما إن بدأت المعلمة بالقول، حتى قاطعتها أمي قائلة:

- «لا، سيدة بِلأبس، أنت التي لا تفهم!»، وبدت أمي وكأنها في محاولة لتهدئة نفسها باستمرار؛ لأنها قالت بعد ذلك:

- «انظري، هل قلت لنفسك لو أنهم عرضوا هذه الإعلانات التجارية الغبية على شاشة التلفاز مرة أخرى؟ أعتقد أني سوف أصرخ»، فأومأت السيدة بِلأبس ببطء.

- «أو لو كنت مضطرة إلى التوقف خمس دقائق أكثر مما يجب في زحمة حركة السير، ألا تحسين أنك ببساطة على وشك الانفجار؟»، فاعترفت المعلمة قائلة:

- «نعم، أعتقد ذلك».

- «حسنًا، أعتقد أن هذا هو ما حدث لميلودي؛ فقد قالت في نفسها: «إذا كان عليَّ أن أقضي مزيدًا من الوقت على تلك الحروف مرة أخرى، فسوف أصرخ»، وهكذا فعلت. «أنا حقًّا لا ألومها، أليس كذلك؟».

صرفت السيدة بِلأبس نظرها من والدتي نحوي.

- «أظن بلى، الآن وبعد أن شرحت الأمر على هذا النحو»، قالت السيدة بِلأبس أخيرًا، وصوتها الآن هادئ مثل هدوء صوت أمي:

- «ميلودي تعرف الحروف الأبجدية، وجميع أصوات الحروف كلها، ومئات من الكلمات بمجرد رؤيتها، ويمكنها أن تضيف وتطرح الأرقام في رأسها، وقد ناقشنا كل هذا في آخر مؤتمر لأولياء الأمور الأمهات، أليس كذلك؟».

يمكنني القول إن والدتي كانت تحاول السيطرة على أعصابها، فقالت المعلمة:

- «أعتقد أنك كنت تبالغين»، وأضافت: «أولياء الأمور غير واقعيين دائمًا عندما يتعلق الأمر بمثل هؤلاء الأطفال».

- «إذا سمَّيتِهم بـ(هؤلاء) الأطفال ولو مرة واحدة أخرى، فسوف أقوم أنا بالصراخ»، حذرتها والدتي.

- «لكن قدرات ميلودي العقلية والبدنية محدودة»، جادلت السيدة بِلأبس، في محاولة لوضع أمي في مكانها هي كما أظن، «وعليك أن تتعلمي قبول ذلك»، واشتعلت النيران بينهما ثانية.

- «ربما لا تستطيع ميلودي المشي، وربما لا يمكنها التحدث أو النطق، ولكنها ذكية للغاية! ومن الأفضل أن تتعلمي أنت قبول ذلك!»، قالت لها أمي ورذاذ لعابها يتطاير من فمها، فتراجعت المعلمة شبرًا أو اثنين.

- «ألم تقرئي سجلات العام الماضي الخاصة بها؟» سألتها والدتي، «ميلودي تحب الاستماع إلى الكتب على شريط مسموع».

- «أحاول الاقتراب من كل طفل بعقل منفتح، ولا أتأثر بالمعلمين الآخرين، والسجلات كلها مركونة في صندوق في مكان ما»، فردت عليها أمي قائلة:

- «ربما يجب أن تجدي هذا الصندوق»، قالتها والدتي وشفتاها تضيقان:

- «حسنًا، أنا لن أبحث عن الصندوق مطلقًا!»، ردت السيدة بِلأبس، فقالت والدتي:

- «ربما هذه هي مشكلتك!»، أجابت أمي مع ابتسامة، ثم مالت برأسها، واتجهت نحو مشغل الأقراص المدمجة.

- «أوه، بقي شيء واحد، هل لي أن أسمع هذا الـ CD الرائع الذي كنت تشغلينه؟»، فقالت السيدة بِلأبس مبتسمة قليلًا:

- «بالتأكيد».

- «الأطفال يحبونه، أليس كذلك؟» سألتها أمي، فرفعت المعلمة القرص من المشغل. توينكل، توينكل، ومن بعده الصمت المطبق، ثم تنهدت ويلي بصوت عال، وأخذت أمي القرص المدمج، ومدت يدها عميقًا في حقيبتها للحظة، وأعطت السيدة بِلأبس فاتورة بخمسة دولارات، وكسرت القرص المدمج إلى نصفين.

- «كانت تلك الموسيقى قاسية فظة، وعقابًا غير عادي!».

هلل فريدي وماريا، وهمست غلوريا: «شكرًا لك».

للحظة شعرت تقريبًا بأسف للسيدة بِلأبس؛ فقد بدت مشوشة جدًّا ومرتبكة؛ لأنها لم تستوعب الوضع.

مشت أمي إلى المغسلة في الغرفة، وفتحت الماء الدافئ مبللةً كومة من المناشف الورقية تحت الحنفية، ثم عادت إلي ومسحت بلطف وجهي بالماء الدافئ. لا شيء في أي وقت مضى بدا مهدئًا أكثر من ذلك. ثم مشطت لي شعري، وعدلت لي الأشرطة، وأبازيم مقعدي المتحرك، وعانقتني بسرعة، وعادت إلى البيت.

استقالت السيدة بِلأبس من وظيفتها بعد عطلة الربيع، وهكذا انتهينا من مكبرات الصوت حتى نهاية العام. أعتقد أنها رأت أنه سيكون من السهل عليها العمل مع أناس أكثر غباء منها، لكنها كانت مخطئة.

■ ■ ■

الفصل الثامن

عشت مدة طويلة، مع أمي وأبي، وسمكتي الذهبية التي أسميتها أولي، والتي حصلت عليها عندما كنت في الخامسة من عمري، وقد عاشت سنتين تقريبًا، وأظن أن هذا عمر طويل لسمكة ذهبية. لا أحد يعرف اسمها غيري، ولكن هذا شيء جيد. كانت أولي جائزةً من مهرجان كان أبي قد اصطحبني إليه، وأعتقد أن حياة أولي كانت أسوأ من حياتي.

فقد عاشت في وعاء صغير على الطاولة في غرفتي، غُطِّي الجزء السفلي من الوعاء بالصخور الوردية الصغيرة، وجذع شجرة بلاستيكي زائف ثُبِّت في الصخور. أظن أنه كان من المفترض أن يبدو المشهد وكأنه شيء من تحت البحر، ولكنني لا أعتقد أن هناك أي بحيرات أو محيطات صخورها بذلك اللون.

كانت أولي تقضي يومها في السباحة في هذا الوعاء الصغير، ثم تغوص وتدور حول الجذع الزائف، ثم تعود للسباحة مرة أخرى. كانت تسبح دائمًا في الاتجاه نفسه، والوقت الوحيد الذي تغير فيه اتجاهها هو عندما كانت تلقي أمي لها بضع حبات من طعام الأسماك في الوعاء كل صباح ومساء، فأقضي الوقت في مراقبتها وهي منشغلة في ابتلاع الطعام، ثم في إخراجه، ثم تسبح حول الوعاء مرة تلو أخرى.

شعرت بالأسف لها، فأنا أستطيع الذهاب خارج المنزل وإلى المتجر والمدرسة على الأقل، أما أولي فتسبح فقط في دائرة كل اليوم. وكنت أتساءل

هل ينام السمك، ولكنني عندما أستيقظ في منتصف الليل أجد أولي لا تزال تسبح، وفتحة فمها الصغير تغلق وتفتح كما لو كانت تحاول أن تقول شيئًا.

ذات يوم عندما كان عمري قرابة سبعة أعوام، قفزت أولي من الوعاء، يومها كنت أستمع للموسيقى من المذياع، فقد أدركت أمي أخيرًا أنني أحب محطة الأغاني الشعبية، وكنت في مزاج جيد. بدت لي الموسيقى وأنا أستمع إليها برتقالية وصفراء، وانتشر من حولي شذى زهر الليمون؛ كنت أشعر بالاسترخاء وأنا أشاهد أولي تفعل ذلك جولة بعد جولة في الوعاء، ولكن فجأة ومن دون سبب، هبطت أولي إلى قاع الوعاء، ثم سبحت بقوة إلى الأعلى، وألقت نفسها خارج الوعاء، وسقطت على الطاولة تلهث وتتخبط، وأنا متأكدة أنها فوجئت بأنها لا تستطيع التنفس. انتفخت عيناها، وخياشيمها على جنبيها تنبض بجهد، أما أنا فلم أكن أعرف ما يجب فعله؛ سوف تموت دون ماء، سريعًا حقًّا.

لذلك صرخت، ولكن أمي كانت في الطابق السفلي، أو ربما في الخارج لإحضار البريد، فلم تأتِ حالًا، فصرخت مرة أخرى بصوت أعلى، وبكيت، وانتحبت، واستمرت أولي بالتخبط واللهاث، وأصبحت أكثر يأسًا، فأولي بحاجة إلى الماء.

صرخت مرة أخرى، ولكن أمي لم تأتِ ركضًا، فأين هي؟ كنت أعرف أن علي أن أفعل شيئًا، لذلك وصلت إلى الطاولة، ومددت ذراعي، وبصعوبة أمكنني لمس وعاء أولي، وأدركت أنه يجب أن أمنحها القليل من الماء، قطرة على الأقل، فأكون بذلك قادرة على إنقاذها. شبكت أصابعي بحافة حوض السمك، وسحبت، فاندلق الماء في كل مكان، في جميع الأنحاء؛ على الطاولة، وعلى السجاد، وعليَّ، وتوقفت أولي عن التخبط لثانية أو ثانيتين، وظللت

أنتحب، وأخيرًا سمعتُ أمي هادرة تصعد الدرج، وعندما جاءت ألقت نظرة واحدة على الفوضى، وعلى السمكة الذهبية التي تموت، وصاحت:

- «ميلودي! ماذا فعلت؟ لماذا كنت تدقين على حوض السمك؟ ألا تعرفين أن السمكة لا يمكنها أن تعيش من دون ماء؟».

بالتأكيد كنت أعرف ذلك، فأنا لست غبية، لماذا لا تعرف أنني كنت أصرخ لكي تأتي؟

هُرعت إلى الفوضى، والتقطت أولي ووضعتها بلطف مرة أخرى في الوعاء، ثم ركضت إلى الحمام، فسمعت المياه، لكنني كنت أعرف أن الوقت قد فات، إما بسبب الوقت الطويل الذي مضى على خروجها من الوعاء، أو لكون ماء الحمام ليسَ بدرجة الحرارة المناسبة لتظل أولي على قيد الحياة. جاءت أمي مرة أخرى ووبختني ثانية:

- «سمكتك الذهبية لم تفعل ذلك يا ميلودي، أنا لا أفهم ذلك، لماذا فعلت ذلك لسمكة صغيرة مسكينة؟ كانت سعيدة في عالمها الصغير».

كان يدور في بالي أن أولي ربما لم تكن سعيدة جدًّا بحياتها في نهاية المطاف، وربما كانت مريضة ومتعبة من هذا الوعاء ومن هذه الدائرة، وربما لم تستطع احتمال ذلك أكثر، فأنا أشعر بمثل هذا الشعور أحيانًا عندما لا أجد أي وسيلة أستطيع من خلالها شرح ما كان يحدث لأمي؛ فقد حاولت حقًّا إنقاذ حياة أولي، وأشحت ببصري بعيدًا عن أمي، فقد كانت غاضبة، وكنت أنا أيضًا، فلو أنها لم تكن بطيئة جدًّا لأُنقِذت حياة أولي، ولكني لم أكن أريدها أن تراني أبكي. ثم شرعت هي في تنظيف الفوضى بأسى، وتركتني مع موسيقاي، وبقعة فارغة على طاولتي، وقد اختفت الألوان التي كانت تشع من الوعاء.

مر وقت طويل قبل أن أكون مستعدة لقبول حيوان أليف آخر. ولكن في يوم عيد ميلادي الثامن جلب أبي صندوقًا كبيرًا إلى المنزل، وكان يبدو عليه أنه مرهق من حمله. عندما وضعه على الأرض أمامي، اندفعت منه متعة ذهبية متموجة. جرو! جرو صيد ذهبي! فصرخت وركلت من الفرح. جرو! انطلق الكلب الصغير يحوم ويتعثر في جميع أنحاء الغرفة، ويتشمم كل زاوية. راقبت كل حركة له، وكل خطوة، بمحبة فورية له، وبعد استكشافه لكل ساق طاولة، وقطعة من الأثاث، توقف الجرو، وتأكد من أن كل واحد منا كان يشاهده، ثم جلس القرفصاء وتبول على السجادة! فصرخت أمي، ولكن فقط مرةً واحدة، فعرف الكلب أنها هي صاحبة القرار في المنزل، فتفحص أصابع قدم أبي العارية، وبقي بعيدًا من أمي التي كانت تحاول تنظيف البقعة عن السجادة بالمناشف الورقية والمنظفات التي تستخدمها في المطبخ.

أخيرًا دار الجرو حول الكرسي المتحرك مرات ومرات، كما لو كان يريد معرفته، وتشممه، وتشمم ساقيَّ وقدميَّ، وتطلع في وجهي لدقيقة واحدة، ثم قفز على ركبتيَّ كما لو أنه قد فعل ذلك مليون مرة من قبل. بصعوبة كنت أتنفس، فأنا لا أريد أن أزعجه، ثم بنجاح باهر، واو، واو، استدار ثلاث مرات واتخذ لنفسه وضعًا مريحًا، وأظن أنه أصدر صوتًا يشبه تنفس الصعداء من الارتياح، وأذكر أنني فعلت كذلك مثله، فمررت يدي على ظهره بلين، وعلى رأسه بلطف ما استطعت.

كنت أنا من منحه اسمًا، وظلت أمي وأبي يقترحون أسماء غبية؛ مثل: الأربد، والبني، ولكنني عرفت الاسم الذي يجب أن يكون له ما إن رأيته، وأشرت إلى الوعاء على الطاولة، التي احتوت على معظم أشيائي المفضلة؛ حلوى الكاندي، وحلوى الكراميل اللينة بما يكفي لتذوب في فمي، التي لا تحتاج مني إلى المضغ، وأوه، ما ألذ طعمها!

- «أنت تريدين أن ندعوه كاندي؟»، سألني أبي، فهززت رأسي (لا)، بلطف، كي لا أوقظ الجرو الصغير من النوم.

- «كراميل؟»، سألتني أمي، فهززت رأسي مرة أخرى بـ(لا).

- «لماذا لا ندعوه النتن؟» اقترح أبي مبتسمًا، في حين حدقت أنا وأمي في وجهه فقط. واصلت الإشارة إلى طبق الحلوى، وأخيرًا قالت أمي:

- «أنا أعلم! تريدين تسميته الزبد الأسكتلندي بترسكوتش؟».

أردت أن أصرخ، فهذا ما كنت أريده، ولكنني أجبرت نفسي على التزام الهدوء، وحاولت بجد عدم فعل أي شيء من شأنه أن يصيب الجرو بالذعر فيهرب من حضني، «آه»، قلت بهدوء وأنا أواصل تمسيد الفراء الحريري الملمس للكلب.

لم أكن أعرف أي شيء يمكن أن يكون أكثر نعومة وليونة من فراء الجرو الذي أصبح كله ملكًا لي، كان أفضل عيد ميلاد لي.

ينام بترسكوتش عند أسفل سريري في كل ليلة، وكان يتصرف وكأنه قد قرأ كتابًا عمَا يجب على كلب عظيم أن يفعله: أن يعوي عند وجود شخص غريب عند الباب، ألَّا يتبول أو يتبرز في المنزل (إنه يتصرف وكأنه أكثر من مجرد كونه جروًا)، وحريص على إسعاد ميلودي. بترسكوتش لا يهمه أنني لا أستطيع أن أتحدث معه؛ فهو يعرف أنني أحبه، ويفهم ذلك.

ذات يوم، بعد بضعة أشهر من امتلاكي له، سقطت عن الكرسي المتحرك، وهذا عادة ما يحدث، وكانت أمي قد ناولتني طعام الغداء، وأخذتني إلى المرحاض، وأعادتني بكرسي العجلات إلى غرفتي، فهرول بترسكوتش ورائي، ملاصقًا لي طيلة الوقت. أدارت أمي لي قرصًا مدمجًا، وحرصت أن تكون يدي في وضعية صحيحة تمكنني من الترجيع والتسريع إلى الأمام وإلى

الخلف للفيلم الذي أشاهده، ولكنها لم تلاحظ عدم تثبيتها لحزام مقعدي، ولم أنتبه أنا أيضًا لذلك.

راحت تنزل على الدرج وتصعد جيئة وذهابًا وهي تحمل بعض الأشياء التي جلبتها للمنزل؛ مثل الغسيل من المصبغة، وكنت في حالة من الفوضى، وأعتقد أنها بدأت بإعداد طعام العشاء؛ فالرائحة الزكية لصلصة الطماطم طفت صاعدة الدرج. كانت أمي تعرف أنني أحب المعكرونة، خاصة السباغتي.

أطلت برأسها للاطمئنان على وجهي، وقالت لي:

- «أنا ذاهبة لأستلقي بضع دقائق يا ميلودي، هل أنت بخير لمدة وجيزة؟»، فأومأت برأسي موافقة، وأشرت بذراعي نحو الباب لأخبرها أن تمضي قدمًا.

كانت أحداث الفيلم تسير على ما يرام، وتكوَّر بترسكوتش بجانب مقعدي، ولم يكن في حضني، وهكذا ودعتني أمي بقبلة وأغلقت الباب، وكنت أشاهد شيئًا رأيته مرات عدة: **ساحر أوز** الموسيقي والكوميدي الخيالي. أعتقد أن معظم الناس في العالم يمكنهم اقتباس مقاطع من ذلك الفيلم -من دون الحاجة إلى ذكاء إضافي- لأنه واحد من الأفلام التي تبث مرارًا وتكرارًا على قنوات الكابل، وأنا أعرف كل كلمة فيه؛ فأعرف ماذا ستقول دوروثي قبل أن تفتح فمها، وكانت عبارة:

- «لا أعتقد أننا في كانساس بعد الآن، يا توتو!» تجعلني أبتسم، فأنا لم أزر كانساس، أو أوز، أو أي مكان أبعد من بضعة أميال من المنزل.

على الرغم من أنني كنت أعرف أن المشهد كان على وشك الظهور في الفيلم، عندما يصل الفيلم إلى الجزء حيث الرجل التنك يرقص قليلًا على موسيقى «لو أن لدي قلبًا فقط»، أخذت أضحك، وأضحك بشدة، واهتززت إلى

الأمام في مقعدي، ثم وجدت نفسي ووجهي على الأرض. قفز بترسكوتش على الفور، وشرع يتشممني ليتأكد من أنني لم أُصَب بأذى. كنت بخير، ولكنني لم أستطع أن أعود إلى مقعدي، والأسوأ من ذلك أنني لن أشاهد الجزء الذي يتلقى فيه الأسد الجبان صفعة قوية على الأنف من دوروثي. كنت أتساءل كم ستطول قيلولة أمي؟ لم أصرخ كما صرخت عندما قفزت أولي من حوض السمك، ولم أكن مستاءة، كنت فقط غير مرتاحة قليلًا.

حاولت أن ألتوي قليلًا، ولكنني لم أستطع تغيير الموقع والوضعية التي هبطت عليها، ولو كان بمقدوري مشاهدة التلفاز من حيث كنت قد سقطت فلربما كنت بخير على الأرض لبعض الوقت، واتخذ من بترسكوتش وسادة كبيرة لي، لكنه ذهب إلى الباب المغلق وأخذ يخرمش، وكنت أسمع مخالبه وهي تخرمش الخشب، ولن يكون أبي سعيدًا عندما يرى ذلك، لكن أمي لم تأتي، فأخذ بترسكوتش ينبح؛ أولًا بضعة نبحات في بادئ الأمر، ثم بصوت أعلى وأكثر إلحاحًا. أخيرًا قفز الجرو وألقى بكل جسمه على الباب محدثًا جلبة كبيرة ودويًا بصوت عال، كان ينبح، ثم يجلجل، نباح، ثم جلجلة، ولم يكن باستطاعة أمي أن تتجاهل هذه الجلبة كلها.

كنت متأكدة من أن ذلك لم يستغرق سوى بضع دقائق فقط، ولكنها بدت لي كأنها مدة أطول.

ثم جاءت أمي إلى الباب، تبحث مترنحة، وشعرها لم يكن مرتبًا:

- «ما الذي يحدث هنا؟»، بدأت بالقول، ثم عندما رأتني:

- «ميلودي، طفلتي الصغيرة! هل أنت بخير؟»، وركضت نحوي، وجلست على الأرض، ورفعتني إلى حجرها، وتفحصت كل شيء؛ ذراعي وساقي، مرة أخرى، وجهي، وفروة الرأس، وحتى لساني. أردت أن أخبرها أنني بخير، وكل

ما كان يلزم فعله لي هو أن تضعني مرة أخرى في مقعدي الذي أعادتني إليه، ولكنها كانت تفعل الشيء الواحد مرتين كي تتأكد. -«بترسكوتش، أنت جرو جيد، جيد!»، قالت وهي تداعبه وتعانقني بحب، «سأضاعف طعام الكلب هذه الليلة!».

- أنا متأكدة من أن بترسكوتش كان يفضل قطعة عظم مكتنزة لذيذة بدلًا من ذلك، لكنه لا يستطيع أن يتكلم، مثلي، ولذلك أنا والكلب نأكل ما يقدمونه لنا.

وضعتني أمي بعناية مرة أخرى في مقعدي، وتأكدت من أن الحزام في مقعدي مغلق بصورة صحيحة، وتكوّر بترسكوتش أمامي، للتأكيد -كما أظن- أنه إذا انزلقتُ مرة أخرى فإنه سيكون موجودًا لمواساتي والتلطيف من سقطتي، إنه كلب مدهش!

أعادت أمي تشغيل الفيديو من البداية، ولكن بطريقةٍ ما فإن الطريق الطوبي الأصفر الذي سارت عليه دوروثي كان قد فقد بعضًا من تألقه. لا أحد يحصل حقًا على الأمنيات التي تمنحها أوز العظيمة.

وأنا أشاهد الفيلم، تساءلت ما الذي يمكن أن نطلبه من الساحر لو انتقلت إلى أوز مع كلبي؟

- لنرَ. أدمغة؟ لدي كثير منها.

- شجاعة؟ بترسكوتش لا يخشى شيئًا!

- قلب؟ لقد حصلت على كثير من القلوب، أنا وجروي. إذًا ما الذي أود أن أطلبه؟ أود أن أغني مثل الأسد الجبان، وأن أرقص مثل رجل التنك. لم يحسن أي منهما فعل تلك الأشياء، لكن هذه الأمنية ستكون جيدة بما يكفي بالنسبة إلي.

الفصل التاسع

عندما بلغت الثامنة، تغيرت الأمور. أعتقد أنني عرفت أن أمي كانت على وشك إنجاب طفل حتى قبل أن تلد؛ فقد أصبح لها رائحة مختلفة، مثل الصابون الجديد، وأصبحت بشرتها أكثر نعومة وأكثر دفئًا.

ذات صباح حملتني من سريري، ثم وضعتني مرة أخرى على الفراش؛ «يا للعجب!»، قالت، ثم أضافت: «لقد أصبحت ثقيلة جدًّا يا ميلودي، لا بد لي من التدرب على رفع الأثقال!». كان العرق يتصبب من جبينها، مع أنني لا أظن أن وزني قد زاد ألبتة، بل كانت أمي هي التي اختلفت عن السابق. جلست على الكرسي المجاور لسريري بضع دقائق، ثم فجأة خرجت مسرعة من الغرفة، وسمعتها تتقيأ في الحمام، ثم عادت بعد بضع دقائق، شاحبة الملامح، ورائحة أنفاسها مثل غسول الفم؛ «لا بد أنني أكلت شيئًا فاسدًا»، تمتمت وهي تلبسني ملابسي، ولكنني أعتقد أنها عرفت حينذاك أنها حامل. أراهن أنها كانت خائفة، وعندما تأكدت أمي أخيرًا من ذلك، جلست معي لتخبرني هذه الأنباء:

- «ميلودي، لدي شيء رائع لإخبارك به!»، بذلت قصارى جهدي لأبدو تائقة. «سيكون لك أخ طفل أو أخت عما قريب»، فابتسمت ابتسامة عريضة، وبذلت قصارى جهدي لأبدو منفعلة من المفاجأة والإثارة، واقتربت منها واحتضنتها، ثم ربت على بطنها وأشرت إلى نفسي، وكانت تعرف ما قصدته. حدقت في عيني تمامًا، وقالت:

- «نحن نصلي من أجل أن يكون هذا الصغير سمينًا لطيفًا ومعافى. أنت تعرفين أننا نحبك يا ميلودي، تمامًا كما أنت، لكننا نعيش على أمل ألَّا يواجه هذا الطفل التحديات التي تواجهينها».

تمنيت ذلك أيضًا.

منذ ذلك الحين تحمَّل أبي مسؤولية حملي. وعلى الرغم من أنها لم تتكلم عن ذلك مرة أخرى أمامي، كنت أعرف أنها كانت قلقة؛ فقد أصبح لديها حبوب الفيتامين الخضراء العملاقة، وتأكل كثيرًا من البرتقال الطازج والتفاح، وكان لديها هذه العادة في لمس بطنها المنتفخ والغمغمة بالصلاة، ويمكنني أن أقول إن أبي كان خائفًا أيضًا، ولكن قلقه كان يظهر بطرق قليلة مضحكة؛ مثل جلبه لأمي أكوامًا من الورد الأرجوانية المفضلة لها، أو تثبيت غالوناتها من عصير العنب أو أطباق كبيرة من العنب، ولا أعرف ما الذي جعل أمي تحب الأشياء الأرجوانية.

وبدلًا من مشاهدة قناة الاكتشافات وما تبثه ديسكفري لساعات وساعات، وجدت نفسي في غرفتي أحدق فقط في شاشة التلفاز الفارغة، وأفكر بصمت. كنت أعلم أن المولود الجديد يحتاج إلى وقت طويل من الرعاية وأنا أيضًا، فكيف يمكن أن يكون لدى والديَّ الوقت لكلٍّ منا؟ ثم برزت فكرة رهيبة حقًّا في دماغي؛ ماذا لو قررا النظر في مقترحات الطبيب هغلي لإرسالي إلى سكن داخلي؟ لم أتمكن من طرد هذه الأفكار من دماغي.

ذات يوم سبت، بعد الظهر قبل بضعة أشهر من ولادة الطفل، كنت غافية على الأريكة، وكانت أمي قد وضعت الوسائد حولي للتأكد من أنني لن أسقط عنها، وبترسكوتش نائم في مكان قريب، وأبي يستمع لمحطة موسيقى الجاز المفضلة التي تعزف على الساكسفون. جلست أمي وجلس أبي بجانبها على

أريكة صغيرة، وأخذا يتحدثان معًا بهدوء؛ أنا متأكدة أنهما اعتقدا أنني كنت نائمة، وقالت أمي:

«ماذا لو؟»، بصوت يبدو عليه الضيق، فأجابها أبي:

«لن يحدث ذلك، وهناك احتمالات ضئيلة جدًّا، يا حبيبتي»، لكنه بدا غير متأكد مما يقول.

- «لا أستطيع تحمُّل ذلك»، قالت أمي له.

- «عليك أن تجدي القوة»، قال بهدوء ثم أضاف: «ولكنه لن يحدث، فالاحتمالات...»، فقاطعته والدتي بإصرار:

- «ولكن ماذا لو؟»، وللمرة الثانية فقط يمكنني أن أتذكر أن والدتي بدأت بالبكاء.

- «كل شيء سيكون على ما يرام»، قال والدي في محاولة لتهدئتها، وأضاف:

- «علينا التفكير في الأفكار الإيجابية»، فقالت أمي بهدوء:

- «كل ذلك بسببي».

استنهضت قواي كي أسمع بصعوبة، وسأل أبي:

- «ماذا تقصدين؟»، فقالت:

- «هو خطئي أن ميلودي بمثل ما هي عليه الآن»، ثم انتحبت أمي بالبكاء بشدة حينذاك، ولم أكد أتمكن من سماع كلماتها.

- «ديان، إن هذا ضرب من الجنون! لا يمكنك الإبقاء على هذا النوع من الشعور بالذنب، فهذه الأمور تحدث فقط». يمكنني أن أقول إن أبي كان يحاول أن يكون عقلانيًا.

- «لا! أنا الأم!»، وصرخت، «لقد كانت وظيفتي جلب طفل بسلام إلى هذا العالم، وأنا التي انتزعتها انتزاعًا! وكل امرأة أخرى على هذا الكوكب قادرة على ولادة طفل طبيعي؛ يجب أن يكون قد حدث خطأ معي!»، فقال والدي:

- «حبيبتي، إنها ليست غلطتك، إنها ليست غلطتك»، وكنت أسمعه يضم أمي إلى صدره، وأضافت:

- «لكنني، يا تشاك، خائفة جدًّا أن يكون هذا الطفل... أيضًا»، قالت ذلك بفزع، وصوتها يرتجف ولا تكاد تتنفس.

- «أرجوكِ عدم الشطط في تفكيرك، بل إياكِ أن تفكري بهذه الطريقة»، غمغم أبي، «إحصائيًّا، كم الفرص؟ طفلان...»، وفجأة لم أعد أسمع شيئًا بعد ذلك؛ لأن رأسي كان ينبض بأشياء كنت أريد أن أقولها ولكنني لم أستطع؛ أردت أن أخبر أمي أنني آسفة؛ لأنها كانت حزينة جدًّا، وخائفة جدًّا؛ وأنه لم يكن ذنبها، وأنني خلقت هكذا، وأن لا حيلة لها في ذلك، والجانب الذي آلمني أكثر هو أنني لا يمكنني أن أقول لها أي شيء من كل هذا.

طوال مدة حمل أمي -مع ذلك- لم يتأثر اهتمام والديَّ بي قط، على الرغم من أنني كنت حقًّا قلقة من أن ذلك من شأنه أن يؤثر في اهتمامهما بي. كان أبي ينجز معظم الأعباء المنزلية عندما اقترب الموعد المحدد للولادة؛ فكان يسهم في التغسيل، ومعظم أعمال الطبخ، وكل أعمال الرفع وحمل الأشياء، وكنتُ أصل إلى المدرسة في الوقت المحدد كل يوم، وأستمع

لقراءة قصصي كل ليلة، وثلاثتنا ننتظر ونأمل ونصلي، ولكن أختي بيني وُلدت مكتملة خالية من أي مشكلة، ومثل النحاس اللامع، تمامًا مثل اسمها.

من لحظة عودتها إلى البيت من المستشفى، كانت طفلة سعيدة حقًّا، لقد حملت لنا أمي حقًّا باقة صغيرة من الفرح في المنزل، ولكنني أعتقد أن مولودًا جديدًا هو عبء إضافي على أي أبوين، خاصة إذا كان لديهما طفل مثلي في المنزل. في بعض الأحيان يحدث جدال ومناقشات كنت أسمعها من خلال جدار غرفة النوم.

- «أنا بحاجة إلى مزيد من المساعدة هنا، يا تشاك»، تقول أمي في محاولة للحفاظ على صوتها منخفضًا:

- «حسنًا، أنت تولين الطفل مزيدًا من الاهتمام أكثر مما تهتمين بي!».

- «إذا ساعدتني أكثر فسوف يكون لدي وقت أكثر للاهتمام بك! وبطفلين، أحدهما ميلودي، وهي ليست سهلة!».

- «لا بد لي من الذهاب إلى العمل، أنت تعرفين!».

- «لدي وظيفة أيضًا! لا ترمِ ذلك في وجهي. بالإضافة إلى استيقاظي مرتين في الليل لإرضاع الطفلة!».

- «أعرف، أعرف، أعتذر يا ديان»، يقول أبي مخففًا دائمًا ليترك أمي تفوز، فتقول أمي: «أنا فقط متعبة جدًّا طوال الوقت»، تقولها بصوت مكتوم، فيقول والدي:

- «أنا آسف، سوف أفعل ما هو أفضل، أعدك بذلك، غدًا سوف أتولى رعاية البنتين على حد سواء، لماذا لا تذهبين لمشاهدة فيلم أو تصطحبين السيدة فالنسيا لتناول الغداء؟»، يخيم الهدوء مرة أخرى، ولكن على الرغم

من ذلك، فإنني بطريقة ما دائمًا ما أنتهي بالشعور بقليل من الذنب؛ فالحياة ستكون أسهل لو كان لديهما طفل واحد فقط بأطراف سليمة.

ذات مرة حصلت على واحدة من تلك الدمى الإلكترونية في عيد الميلاد، وكان من المفترض لتلك الدمية أن تتكلم، وتبكي، وتحرك ذراعيها وساقيها بمجرد النقر على الأزرار الصحيحة، ولكن عندما فتحنا العلبة كان أحد ذراعيها منفصلًا عن جسدها، وكانت كل الدمية، بغض النظر عن أي زر تقوم بالضغط عليه، لا تصدر سوى صرير. أخذتها أمي مرة أخرى إلى المتجر واستردت ثمنها، فكنت أتساءل: أتُراها تمنت -ولو مرة واحدة- أن تسترد تعويضًا ماليًّا عني؟ لكن بيني! بيني حقًّا كانت طفلة مثالية، فبعد بضعة أشهر فقط كانت تنام طوال الليل، وتبتسم خلال كل نهار، وجلست بالضبط في السن الذي من المفترض للرضع أن يجلسوا فيه، وأخذت تحبو في الموعد المحدد، وتزحف كذلك كباقي الأطفال في سنها. كانت تبدو مدهشة، وسهلة جدًّا! لا ريب أنها سقطت على وجهها مرات عدة، ولكنها بدأت تسيطر على نفسها، ولم تعد تقع على الأرض، وكانت تقفز هنا وهناك مثل لعبة، وتعلمت أن المرحاض كان متعة عندما يتدفق الماء، وأن المصابيح سوف تقع إن شددت الحبل، و أن كلاب الصيد الذهبية ليست أمهارًا صغيرة، وأن البازلاء طعمها مضحك، وأن عليها أن لا تلمس الذباب الميت على الأرض، لكن حلوى الكاندي جيدة حقًّا، وكانت تضحك طيلة الوقت.

تعلمت أن شقيقتها، ميلودي، لا يمكنها أن تفعل ما يمكنها هي فعله، لكنها لا يبدو أنها أَوْلت الأمر أي أهمية، ولذلك حاولتُ ألَّا أهتم أنا أيضًا مثلها.

كان أبي بكاميرة الفيديو هو وأمي يلاحقانها مثل المصورين الذين يلاحقون نجوم السينما! فأصبح لدينا مئات الساعات من اللقطات المسجلة لبيني وهي تجري وتفعل أشياء رائعة. حسنًا، أنا أعترف أنه في بعض الأحيان

مللت من مشاهدة أشرطة الفيديو الجديدة في كل مرة تتعلم شيئًا جديدًا. ثمة شعور ما ينتابني لمشاهدة الطفل الذي يفعل ما كنت أرغب في أن أستطيع فعله:

بيني تمسك بزجاجتها الخاصة؛ بيني تأكل بنفسها؛ بيني فرحة وراء صينية أمامها على كرسي عال؛ بيني تتحدث فتقول: «ما-ما» و«با-با»، تمامًا مثل الأطفال في برنامج افتح يا سمسم؛ بيني تزحف على الأرض، وتطارد الجرو؛ بيني تصفق بكلتا يديها.

كيف لدماغها الصغير أن يقول لها كيف يمكنها سحب نفسها إلى وضعية الوقوف؟ إلى البقاء على الأريكة لتحقيق التوازن؟ كيف تعرف كيفية الوقوف بنفسها؟ في بعض الأحيان كانت تقع، ولكنها سرعان ما تنهض من تلقاء نفسها، ولم يحدث مرة واحدة أن وقعت على ظهرها، وأصبحت عالقة مثل سلحفاة في قوقعتها.

ظل أبي يواصل القراءة لنا ليلًا، ولكن الآن بيني هي التي في حضنه، وأنا غدوت كبيرة جدًّا ولا أستطيع بجد تحقيق التوازن، لذلك جلست في كرسيي المتحرك، وكلبي جالس عند قدميَّ، وهما يقرآن القصص التي حفظتها عن ظهر قلب، بترسكوتش لا يزال ينام فقط في غرفتي، وقد أعجبني ذلك حقًّا.

كنت سعيدة أن أعرف أن بيني تتعلم الكتب نفسها التي أحببتها كثيرًا. كنت أتساءل هل كانت تحفظها؟ لكنها على الأغلب لا تحتاج إلى ذلك، وأعتقد أن الكلمة الثالثة التي تعرفها بيني كانت (دي-دي)؛ لأنها لا تستطيع أن تقول (ميلودي)، فتكتفي بالجزء الأخير! أحببت وضع أمي لبيني بجانبي في السرير بعد حمام الصباح لها، فقد كانت بيني تداعبني بيديها المبتلتين قليلًا، وتنبعث منها رائحة بودرة الأطفال مع القبلات في جميع أنحاء وجهي. «دي-دي!» تظل تناديني مرارًا وتكرارًا.

عندما بلغت سنة واحدة من العمر، أصبحت بيني تمشي وتتهادى في كل أنحاء المنزل على ساقيها المكتنزتين قليلًا، وكثيرًا ما كانت تقع على الأرض، فتضحك في كل مرة تتعثر فيها، ثم تنهض من كبوتها كي تحاول مرة أخرى من جديد، وهو الشيء الذي لا يمكنني محاولته.

مع وجود طفلتين في المنزل، تغيرت رتابة الأسرة؛ فقد تضاعف الوقت الذي يستغرقه تجهيز طفلة واحدة كل صباح لمغادرة المنزل. كانت أمي تتأكد كل يوم من أن بيني ترتدي ملابس جميلة، على الرغم من أنها كانت فقط تغادر إلى منزل السيدة V المجاور لمنزلنا، وكانت ملابسي مقبولة، ولكنني كنت ألاحظ أنه في الآونة الأخيرة كانوا يلبسونني ملابس عملية لطيفة ليسهل على أمي أن تلبسني إياها، ويسهل خلعها؛ لكوني أصبحت ثقيلة الوزن؛ لبلوغي الثامنة من عمري.

ربما يجب أن أذكر أن تغذيتي عملية صعبة بحد ذاتها؛ إذ لا يمكنني أن أمضغ جيدًا، لذلك فأنا في الغالب أعتمد على الأطعمة اللينة مثل البيض المخفوق، أو دقيق الشوفان، أو عصير التفاح، ومنذ أن ولدت لا يمكنني أن أحمل شوكة أو ملعقة، وأنا أحاول، ولكنها تظل تسقط من يدي، لذلك لا بد من أن يضع شخص ما الطعام في فمي، ملعقة واحدة في كل مرة. يا لها من عملية بطيئة؛ ملعقة، شفط، بلع؛ ملعقة، مضغ، ابتلاع. وكان كثير من المواد الغذائية يسقط على الأرض، وكان بترسكوتش يحب ذلك؛ إنه مثل المكنسة الكهربائية.

المشروبات صعبة للغاية بالنسبة إلي؛ فأنا لا أستطيع أن أمسك كأسًا، ولا يمكنني أن أرشف رشفة من عود المصاص، لذلك يجب على شخص أن يحمل الكوب بعناية، ويقربه من شفتي، ويسكب برفق قليلًا من السائل في فمي حتى أتمكن من ابتلاعه. وكثيرًا ما أصاب بالاختناق والسعال، ومن ثم نبدأ

من جديد، فكان حصولي على وجبة يستغرق وقتًا طويلًا، وهو ما جعلني أكره العملية برمتها، وبكل وضوح.

كانت صباحات بعض الأيام مرهقة حقًّا.

- «تشاك! هل يمكنك أن تحضر لميلودي القميص الوردي من سلة الملابس النظيفة؟ لقد سال العصير على جميع أنحاء قميصها!»، صاحت أمي وهي تصعد الدرج.

- «لماذا ألبستِها ثيابها، ديان؟»، صاح أبي متراجعًا إلى الخلف، وأردف:

- «أنت تعرفين أنها تتسبب بفوضى! لماذا لا تنتظرين وتلبسينها ملابسها بعد أن تأكل؟» قال والدي، فردت عليه والدتي:

«إذًا، أنتَ تريد مني إطعامها وهي بلا ملابس؟ طلبت منك جلب قميص فقط!» قاطعته أمي، «وحفاظات لبيني، لقد تغوَّطت على ملابسها»، فرد والدي:

- «بلغ عمرها سنتين ولم تتعلم الجلوس على القعادة؟» سألها أبي وهو يأتي من الطابق السفلي بقميص أزرق بيده كنت أرتديه وأنا صغيرة، وباليد الثانية يحمل حفاظة.

- «أنت محِق! سأدرِّبها على الجلوس على القعادة هذه الليلة في الساعة الخامسة والعشرين من يومي!».

حمل أبي بيني بين يديه:

- «آه أوه، هذا سيئ»، يبدو أن الرائحة زكمت أنفه.

- «هل أطعمتِها البطاطا الحلوة مرة أخرى الليلة الماضية؟ أظن أننا توقفنا عن إطعامها تلك البطاطا؛ لأنها دائمًا تسبب لها الإسهال».

- «حسنًا، لو ذهبت إلى البقالة مثلما طلبتُ منك، لتمكنتُ من أن أعطيها شيئًا مختلفًا! وهذا قميص أزرق وليس ورديًا، وصغير جدًا على ميلودي!»، خرجت أمي باندفاع من المطبخ وصعدت الدرج.

- «عذرًا يا بنات»، قال أبي لنا، وأخذ يصدر صفيرًا بهدوء وهو ينظف بيني، مهددًا باستدعاء فريق الإطفاء.

انتهى من إطعامي وجبة الإفطار، غير مبالٍ بأن دقيق الشوفان قد غطى جميع أنحاء قميصي الملطخ بالعصير.

- «لِمَ لا؟ قد نجعلها فوضى حقيقية ونجعلها تستحق كل هذه الضغوط!» قالها وهو يضحك، وابتسمتُ في وجهه، ولطختُ صينيتي بدقيق الشوفان. عادت أمي بماكياج جديد، مع ابتسامة على شفتيها المرسومتين بأحمر الشفاه، وشعرها ممشط ومرتب، ومعها قميصي الوردي. احتضن أبي أمي في المطبخ، وكلاهما أخذ نفسًا عميقًا، ثم غادرنا جميعًا المنزل في الوقت المحدد، ومرَّت علينا كثير من الأيام من هذا القبيل.

■ ■ ■

الفصل العاشر

بيني تستيقظ كل صباح تسأل عن (دودل)؛ الحيوان المحنط الناعم، بني اللون، الذي قد يكون قردًا أو ربما سنجابًا. لا أحد يعرف على وجه اليقين حقيقته، وتستمر في النداء في كل مكان: «دودل!»، تنادي كما لو كان يختبئ في بطانياتها. (دودل!)، تنادي كما لو كان بجانبها. بطبيعة الحال، يبدو الاسم مثل (دو دو) عندما تقول ذلك، وهذا ما يجعل أبي يقهقه.

أبتسم عندما أسمع خُطًا خارج باب غرفتي، الخُطا الكبيرة منها والصغيرة. أمي وبيني، ودودل، بطبيعة الحال. أحيانًا أجد ساقيَّ وذراعيَّ متصلبة نتيجة البقاء في الوضعية نفسها طوال الليل، وأحيانًا ترتعش أصابع قدمي. يفتح باب غرفة نومي، لا يكترث بإصلاح الصرير الصادر عن الباب، أما أمي فتمسد خدي بأصبعها، وكأنها تريد التحقق من أنني ما زلت أتنفس، فأفتح عيوني وأتمنى أن أقول: **صباح الخير**، ولكنني فقط أبتسم بدلًا من ذلك. تسحبني وتعانقني، وتضعني في الكرسي الهزاز وتدفع بي إلى الحمام؛ لأنني عادة ما أكون بحاجة ماسة إلى الذهاب إليه في الصباح، وبيني وراءنا تقتفي أثرنا، مرتدية الثوب الأحمر الضخم، والقبعة البيضاء؛ كان لديها هوس القبعة الكبيرة وتحمل دودل معها دائمًا. ولم يكن بترسكوتش يفارقها، ويسمح لها بوضع القبعات عليه، ويصبر على عناق بيني له، وهو عناق أشعر أحيانًا أنه أشبه بالخنق له. لقد حدث ذلك معي بضع مرات قليلة! إنه ينبح لتنبيه أمي أو أبي إذا اقتربت بيني من القابس الكهربائي أو الباب الأمامي.

حمام منزلنا مصبوغ بالأزرق الداكن مثل لون المحيطات، وهو واسع وكبير بما فيه الكفاية لبيني، وبترسكوتش، وأنا وأمي -ومقعدي- دون أي شعور بالازدحام، وهذا أمر جيد؛ لأننا نقضي كثيرًا من الوقت فيه. كنا أنا وبيني نحدث فوضى كبيرة هناك، ولكني على الأقل لم أعد أستخدم الحفاظات. ومع أنه أمر سيئ للغاية أن يصطحبك شخص ليضعك على المرحاض، ولكن الحفاظات؟ أمر مقرف!

على الرغم من أن الأطباء قالوا إنه سيكون من المستحيل، إلا أن أمي دربتني عندما كنت في الثالثة من عمري على الجلوس على القعادة مثل أي طفل آخر في سني؛ لقد كرهت الجلوس في الحفاظات القذرة، وهي كرهت تغييرها، لذلك ابتكرت وسيلة لأجعلها تعرف بأنني مضطرة إلى الذهاب إلى المرحاض.

بإمكاني أنا وأمي التفاهم أحيانًا من دون كلام؛ إذ أشير إلى السقف، وهي بطريقة ما تعرف أني أتحدث عن المروحة في السقف، أو عن القمر، أو البقعة المظلمة من أثر المطر الذي تسرب من خلالها في أثناء العاصفة الرعدية الماضية، ويمكنها معرفة كوني حزينة، أو أنني أشعر بحاجة إلى حضنها. تدلك ظهري وتجعلني في حالة من الاسترخاء عندما أكون متوترة ومستاءة، وتقول النكات في بعض الأحيان، وكلانا تضحكان.

في صباح أحد الأيام، بينما كانت تلبسني ثيابي وتجهزني للمدرسة، أشرتُ إلى بطنها، ثم غطيت عينيَّ كما لو كان مرأى ذلك به كثير مما يدعو للخجل. حدث ذلك بعد مدة وجيزة من ميلاد بيني، وكانت لا تزال منتفخة البطن بما يكفي لحجم طفل.

- «أنتِ تَسمِينني بالسمينة؟» سألتني، وهي تتظاهر كما لو أنها قد أهينت. ضحكتُ قليلًا وقلتُ: «أه»، وهي أقرب صوت لدي إلى **نعم**، فقالت:

- «اسحبي كلامك!»، ودغدغت الجزء السفلي من أقدامي، وبدلًا من ذلك، رفعت ذراعيَّ عاليًا، وكأنني كنت أصنع دائرة كبيرة، وضحكتُ بصوت عال. **ضخمة! هائلة! مثل الفيل!** يمكنني أن أقول إنها عرفت ما كنت أفكر فيه، فانفجرنا معًا بالضحك، وبعد ذلك عانقتني بمحبة شديدة، وكنت أتمنى لو أخبرها أنني أحبها.

أمي تعرف متى أكون جائعة أو عطشى، وإذا كنت أحتاج إلى كوب من الحليب أو فقط بعض الماء، ويمكنها معرفة كوني كنت حقًّا مريضة أو مجرد متمارضة. ببساطة؛ فأنا في بعض الأحيان أدعي أنني لست بحالة جيدة فقط حتى أتمكن من البقاء في المنزل. يمكنها أن تعرف كم درجة حرارتي عن طريق لمس جبيني فقط، وتستخدم ميزان الحرارة لإثبات ذلك. كذلك أستطيع معرفة ما تفكر فيه أيضًا. قبل نهاية اليوم، بعد أن تكون قد قضت طيلة يومها في المستشفى، تعد لنا طعام العشاء، ثم تغسِّل بيني وتغسِّلني وتضعني في السرير، وأستطيع أن أقول إنها قد أُنهكت؛ فهي تتنفس بصعوبة، وجبهتها تتصبب عرقًا، وأحيانًا أمد يدي لتلمس يدها، فأستطيع أن أشعر بها تهدأ لذلك، فتمرر أصابعها على خدي، مثلما تفعل في الصباح، وتعطيني قبلة تصبحين على خير.

كل صباح سبت، بعد أن تناولني طعامي، تقرأ الصحيفة وهي تشرب قهوتها، وبيني تهشم الموز على صينية الكرسي العالي. وعلى الرغم من أن بترسكوتش لا يحب الفاكهة، فإنه يظل جالسًا على مقربة منها لعل أحدًا يُسقط قطعة من اللحم المقدد. في عطلة نهاية الأسبوع تنال أمي قسطًا من الراحة، وفي بعض الأحيان تقرأ لي مقالات، أو تخبرني بآخر الأحداث التي تقع في العالم؛ مثل إعصار أو انتفاضة أو انفجار.

- «مزيد من القتال في منطقة الشرق الأوسط»، تقول، وكنت قد رأيت ذلك على شاشة التلفاز؛ القنابل والدموع والوجوه المليئة بالخوف، ثم تقول:

- «هناك فيلم سوبرمان جديد قادم قريبًا»، تقرأ وتهز الصحيفة لتقلب الصفحة.

- «ربما نذهب لمشاهدته». أنا أحب الأبطال الخارقين، وأعتقد أن سوبرمان هو المفضل لدي؛ لأنه يستطيع أن يطير، ما أعظم ذلك! تقرأ أمي لي الصفحات الكوميدية المصورة أيضًا، وأنا أحب فيلم القط غارفيلد.

- «غارفيلد يغش في نظامه الغذائي مرة أخرى»، تقول أمي.

- «أكل لازانيا جون ولحمة أودي»، فأضحك وأشير إلى وركي أمي.

- «أنت تلقبينني بالسمينة مرة أخرى يا آنسة دي - دي؟ لمجرد أنني أجهزت على حصتك من السباغيتي الليلة الماضية؟»، فأبتسم.

- «سوف تأسفين عندما أقدّم الخس للجميع على الغداء!»، ونغرق معًا في الضحك. ومع أن أمي ليست حتى قريبة من البدانة، لكنني أحب أن أداعبها.

في عيد ميلادي العاشر حصلت على الكتاب الكامل برسوم الكارتون لغارفيلد، فبات هو شغلي الشاغل! جعلت أبي يقرؤه لي مرارًا وتكرارًا. غارفيلد هو القط الذي لديه كثير من الأمور ليقولها، ولكن كل كلماته مكتوبة في دوائر صغيرة فوق رأسه، فهو لا يمكنه التحدث حقًّا. بالتأكيد؛ إنه قط!

لكنني في بعض الأحيان أشعر أنني مثله. أَوَلَيس لطيفًا أن يكتب شخص ما كلمات فوق رأسي ليعرف الناس ما أفكر فيه؟ يمكنني أن أتعايش مع ذلك؛ فقاعات كبيرة تعوم فوقي، تتحدث لي. ألن يكون رائعًا أن يتمكن شخص ما من اختراع جهاز لفقاعات الكلام قبل أن يبدأ الصف الخامس ببضعة أسابيع؟

مهه! عندما أحاول أن أتحدث، تتفجر الكلمات في دماغي، ولكن كل ذلك يخرج أصواتًا لا معنى لها وصريرًا. أما بيني فيمكنها قول كثير من الكلمات، ونتفًا من كلمات، ولكن شفتيَّ لا تلتقيان معًا للفظ حتى الأصوات البسيطة من هذا القبيل، لذلك فمعظم الأصوات عندي هي حروف العلة، فأستطيع أن أقول (اه) و(آه) واضحًا جدًّا، وإذا استطعت أن أركز أحيانًا فيمكنني أن أنطق (بوه) أو (هاه)، ولكن هذا كل شيء، وعادة ما يستطيع والدي معرفة ما أحتاجه فقط من خلال الاستماع بعناية، أما بالنسبة إلى الغرباء فربما أبدو مثل واحدة من هؤلاء الأطفال الذين ربّتهم الذئاب.

لوحة تواصلي -حتى مع كل شيء جيد أضافته السيدة V لها- فإنها لا تخدمني أحيانًا؛ فعلى سبيل المثال بعد ظهر أحد الأيام من هذا الصيف، اشتقت لتذوق طعم الماكبرغر الكبير والفانيليا؛ فأنا أحب الوجبات السريعة. لم تكن أمي في المنزل، فأردت من والدي معرفة ما أريده، وهذه في بعض الأحيان مهمة كبيرة؛ فأشرت إلى صورة والدي، وكلمة **الذهاب**، وكلمة **تناول الطعام**، ووجهٍ سعيدٍ، هذا كل ما كان عليَّ أن أعمله. حاول أن يفهمني، فسألني مليون سؤال، من أجل أن أشير أنا إلى **نعم** أو **لا**.

- «هل أنت جائعة؟».

- «**نعم**».

- «حسنًا، سوف أجهز لك بعض سلطة التونة».

- «**لا**»، فقال:

- «اعتقدت أنك قلتِ إنك كنتِ جائعة، هل تريدين بعض السباغيتي؟».

- «**لا**»، بلطف هذه المرة.

- «إذًا ماذا تريدين؟» لا إجابة، لا شيء مما أريده من الكلمات مكتوب على لوح تواصلي ويمكنه أن يصف ذلك، فأشرتُ إلى كلمة **الذهاب** مرة أخرى.

- «أنت تريدين مني أن أذهب إلى المطبخ لطهي بعض الشيء لكِ؟».

- «**لا**».

- «أنتِ تريدين مني أن أذهب إلى محل البقالة؟».

- «**لا**». بدأت أنزعج، وأقصف اللوحة بإبهام اليد اليمنى مرة أخرى.

- «لم أفهمك؛ قلتُ لك هل تريدين مني أن أجلب لك شيئًا للأكل».

نعم مرة أخرى، وأشرتُ إلى صورة والدي، ثم انتقلت إلى **تناول الطعام**، ثم إلى الوجه السعيد. وبدأت أشعر أن إعصاري على وشك الانفجار، وبدأت أركل، وتشنج ذراعي. إن ذلك يقودني إلى **الجنون** لأنني لم أستطع أن أخبره عن شطيرة ماكبرغر الكبيرة الغبية.

- «حبيبتي، اهدئي»، قال أبي بهدوء، في حين شعرت أن الفكين في رأسي مثل قضبان الصلب. كنت أعرف أنني أتنفس بصعوبة، وأن لساني ما عاد في فمي، وضربتُ لوحي مرة أخرى دون أن أستهدف أي كلمة على وجه الخصوص.

»آرغواك«! صرخت.

- «أنا آسف ميلودي، ولكن لا يمكنني معرفة ما تعنين، وأنا ذاهب لتجهيز بعض المعكرونة والجبنة لك، هل هذا سيكون على ما يرام؟»، فتنهدت، واستسلمت، وأشرت إلى **نعم**. وهدأتُ في أثناء قيامه هو بالطبخ، فالشعرية كانت جيدة جدًا.

بعد بضعة أسابيع، كنت مع والدي في السيارة، ومررنا بماكدونالدز، فصرخت وركلت، وأشرت مثل بطلة فيلم غدزيلا القادمة من أسفل الشارع. لا بد أن أبي فكر في أنني كنت مجنونة، وأخيرًا قال:

- «هل ترغبين في التوقف وتناول وجبة بيج ماك وعصيرًا للعشاء الليلة على حسابي؟» صرخت: «أه!»، بأعلى ما يمكنني من صوت، وحرصت على الركل تعبيرًا عن فرحة عارمة وهو يدخل بسيارته إلى مسرب المطعم. لم يربط والدي بتاتًا بين وقفته هذه عند الوجبات السريعة وبين محاولتي التعبير عنها قبل أسبوعين، ولكن هذا لا يهم، وحتى لو أنه استغرق منا ساعة حتى انتهينا، فقد كانت واحدة من أفضل الوجبات التي تذوقتها في حياتي.

■ ■ ■

الفصل الحادي عشر

بدأ الصف الخامس قبل بضعة أسابيع، واثنان من الأشياء الجميلة حدثا؛ حسنًا، لم أحصل على الأداة التي تجعل فقاعات غارفيلد تتكلم من فوق رأسي، لكنني حصلت على كرسي متحرك كهربائي، ومدرستنا بدأت بما يسمى (فصول الدمج)، وأعتقد أنها كانت مسلية. لم يسبق لي أن أدرجت في أي شيء، ولكن هذه الصفوف من المفترض أن تعطي الأطفال مثلي فرصة للتفاعل مع ما يدعوه الجميع الطلاب (الطبيعيين). ما هو الطبيعي؟ بالله عليكم!

مقارنة مقعدي الجديد بالقديم مثل مقارنة المرسيدس بلوح التزلج؛ فالعجلات في الغالب تشبه إطارات السيارات تقريبًا، وهو ما يجعل الركوب سلسًا وسهلًا، مثل ركوب الوسائد. لا أستطيع أن أسير بسرعة!، ولكن يمكنني أن أدفع نفسي إلى أسفل القاعة فقط مع القليل من الاعتماد على الدرابزين، أو إذا أدرت الكرسي من الكهربائي إلى اليدوي، تظل إمكانية دفعي من الخلف قائمة إذا لزم الأمر. عندما رأى فريدي الكرسي الكهربائي أول مرة، صرخ: «وو هووو!»، وكأنني كنت فزت لتوي بسباق السيارات.

- «ميلي تحركي بسرعة الآن! أتريدين أن نتسابق؟»، وحرَّك كرسيه الخاص متحمسًا على صورة دوائر من حولي. كنت متأكدة من أنه يمكن أن يسبقني، حتى مع أقصى السرعات المجهزة عليها مقاعدنا.

الكرسي الكهربائي الجديد أثقل بكثير من الكرسي اليدوي القديم، ومن غير الممكن أن يرفعه أمي وأبي لأي مكان.

- «عندما تقررين التحول إلى سفينة ناقلة للصواريخ»، قال أبي ممازحًا في البداية، وهو يحك ظهره:

- «سوف تكونين بحاجة إلى توظيف سوبرمان ليضعها في السيارة!». عبست، لكنني أعرف أنه يرى مشاعري الممتنة في عيوني، ولذلك اشترى مجموعة من السلالم المحمولة ممكنة الطي للكرسي المتحرك، تناسب رفعه إلى الجزء الخلفي من سيارتنا العائلية، مع تلك القوة العضلية البدنية أيضًا لرفعه. بالنسبة إلي، إنه كل شيء متعلق بالحرية؛ فالآن لم أعد بحاجة إلى انتظار شخص ما لنقلي إلى الغرفة، فقد أصبح بإمكاني الذهاب إلى هناك. لطيف! حتى عندما قرروا توزيعنا على الصفوف العادية، كان الكرسي الكهربائي مفيدًا حقًا لذلك.

معلمتنا للصف الخامس في غرفة H-5 تذكرني بجدة في أحد برامج التلفاز؛ إنها السيدة شانون؛ قصيرة وبدينة، تستخدم دهونًا برائحة الخزامى كل يوم، وأعتقد أنها لا بد أن تكون من جنوب البلاد؛ لأنها تتحدث بتشدق واضح، بطريقة تجعل كل ما تقوله يبدو مثيرًا. قالت لنا في اليوم الأول:

- «سأعملُ كل ما بوسعي (بالتأكيد) لكي نحصل كلنا على كل ما يمكننا تحصيله من هذه السنة الدراسية، هل تسمعونني؟ ما سنفعله هو: القراءة، والتعلم، والنمو. أعتقدُ أن كل واحد منكم لديه طاقات كامنة محشوة في الداخل، ومعًا سنعمل على محاولة جعل بعضها يتوهج».

أحببت تلك المعلمة التي أحضرت لي أكوامًا من الكتب الجديدة للقراءة، وكذلك الألعاب والموسيقى والفيديو.

على عكس السيدة بِلأبس؛ لا بد أن تكون السيدة شانون قد قرأت جميع سجلاتنا؛ لأنها نفضت الغبار عن سماعات الرأس، وجلبت مزيدًا من الكتب المسجلة على أشرطة لي.

- «هل أنتم على استعداد لحصة الموسيقى؟»، سألتنا صباح أحد الأيام، «دعونا نستفد من حصص الإدراج!».

حينها رقصت من الإثارة. وعندما ساعدنا المساعدون على الانتقال عبر القاعة إلى غرفة الموسيقى، تساءلت: إذا ما قُدر لي الجلوس إلى جانب طفل عادي ماذا لو فعلتُ شيئًا غبيًّا؟ ماذا لو صرخ ويلي بأغنيته السويسرية، أو عطس كارل بجنون؟ أو أفشت ماريا من غير تفكير شيئًا مجنونًا. هل ستكون هذه فرصتنا الوحيدة؟ ماذا لو أننا أفسدنا هذا الأمر؟ تمكَّنت من ضبط نفسي بصعوبة؛ فقد كنا ذاهبين إلى قاعات الفصول الدراسية العادية!

كانت معلمة الموسيقى، السيدة لافليس، أول متطوعة لفتح صفها لنا.

كانت غرفة الموسيقى ضخمة؛ تقريبًا ضعف حجم الفصول الدراسية لدينا، وبدأ العرق يكسو يديَّ، وكان الأطفال في الغالب هناك من طلاب الصف الخامس أيضًا، وربما سيدهشون لو علموا أنني أعرف كل أسمائهم. لقد شاهدتهم في الملعب في وقت الغداء، وفي عطلة السنة. زملائي الذين يجلسون تحت الشجرة ويتنسمون الهواء بعد لعبهم وركل الكرة أو لعبة البطاقات، لهذا كنت أعرفهم وأعرف كيف يتصرفون، وأنا -مع ذلك- أشك أنهم يعرفون اسم أي واحد منا.

حسنًا، كان كل الأمر تقريبًا كارثة؛ فويلي ربما أصيب بالضيق والخوف من كونه في غرفة جديدة، وبدأ الصياح بأقصى ما تمكنه رئتيه؛ وبدأت جيل بالبكاء؛ وأمسكت قبضة الووكر بإحكام ورفضت التحرك أبعد من المدخل؛

أما أنا فأردت أن أختفي، وأما الأطفال (العاديون) في قاعة الموسيقى؛ فقد التفت قرابة ثلاثين منهم محدقين بنا؛ بعضهم ضحك، وبدا آخرون غير مهتمين، لكن فتاة واحدة في الصف الخلفي وضعت ذراعيها على صدرها، وتجهمت في زميلاتها معترضة على تصرفهن بحضورنا.

الفتاتان مولي وكلير كان الجميع يعرفهما؛ لأنهما كانتا سيئتين مع الجميع تقريبًا في الملعب؛ وكانتا تقلدان ويلي؛ فحرصتا على البقاء متواريتين عن نظر المعلمة، ولكنني رأيت ذلك، وكذلك ويلي.

- «يا كليرا» قالت مولي، ولوت ذراعيها فوق رأسها، وثنت جسدها حتى بدت معوجة، «انظري إليَّا أنا معوقةا»، ضحكت بجد، ثم سحبت مخاطها، فضحكت كلير كذلك، ثم تركت لعابها يسيل من فمها، «دوه بوه ووه بوه»، متظاهرة بالحول في عينيها، ومدعية أنها تسقط من كرسيها.

أخيرًا لاحظتهما السيدة لافليس؛ وقالت بحزم:

- «قفي من فضلك، كلير».

- «أنا لم أفعل أي شيءا» أجابت كلير.

- «أنت قفي أيضًا يا مولي»، أضافت السيدة لافليس.

- «كنا نضحك فقط»، قالت مولي بلهجة دفاعية، لكنها وقفت بجانب كلير.

أزاحت السيدة لافليس كرسيي البنتين، وأمرتهما بالوقوف ووجهيهما إلى الحائط.

- «لماذا فعلتِ ذلك؟»، صرخت كلير احتجاجًا.

- «جسداكما جيدان تمامًا، وساقا كليكما سليمتان، فاستخدماها»، أوعزت السيدة لافليس.

- «لا يمكنك أن تجعلينا نقف حصة كاملة!»، قالت كلير مشتكية.

- «إن مجلس التعليم يتطلب أن أعلمكن موسيقى، ولا يوجد شيء في مادة الكتاب يتطلب بقاءكن جالسات وأنا أقوم بذلك، والآن قفن هناك وحافظن على الهدوء، وإلا أرسلتكن إلى مكتب الإدارة لإظهاركن عدم الاحترام لضيوفنا».

وقفتا بصمت في منتصف الصف الثالث من المقاعد، حيث كان يجلس الجميع جلوسًا مريحًا.

هذه المعلمة رائعة!

سارت الأمور بعد ذلك أكثر سلاسة، لكن جيل التي استمرت في البكاء، أعادتها إحدى المساعدات مرة أخرى إلى الغرفة، والبقية منا جلسوا بهدوء في آخر الغرفة.

بدأت السيدة لافليس حصتها مرة أخرى.

- «أعتقد أننا نحتاج إلى بعض الوقت لتجهيز أنفسنا أيها الأطفال»، ثم جلست إلى البيانو، وبدأت بعزف (نهر القمر)، ثم تحولت إلى أغنية من أحد تلك الأفلام الجديدة عن مصاص الدماء. أوه، نعم، إنها تعرف ما كنا نود سماعه. عندما بدأتُ برؤية الألوان، كنت أعرف أنها كانت جيدة؛ الغابات الخضراء، والليمون الأخضر، والزمرد.

نظرت إلى غلوريا، كانت بدلًا من جلوسها متكورة كما تفعل عادة، تمد ذراعيها كما لو كانت تحاول التقاط الموسيقى لتجعلها ملكًا لها، ووجهها متوهج تقريبًا، وقد بدأت تتمايل مع الموسيقى. ثم غيرت السيدة لافليس

وتيرة العزف تمامًا، وعزفت الألحان الافتتاحية لـ(أخرجني إلى لعبة الكرة)، فصفق ويلي بيديه بعنف.

أخيرًا، بدأت المعلمة بعزف لحن راقص كان أبي يحبه، فبدأ أطفال يهتزون في مقاعدهم. نهضت ماريا وبدأت ترقص! وتصفق بصوت عال، ليس بحسب اللحن تمامًا، ولكن وفق إيقاعها هي. توقفت السيدة لافليس في نهاية الأغنية، وقالت:

- «الموسيقى عظيمة يا أصدقائي الصغار»، وأضافت: «فهي يمكن أن تربطنا بذكرياتنا، ويمكنها أن تؤثر في مزاجنا وردود أفعالنا على المشكلات التي قد نواجهها».

نظرت إلى كلير ومولي، اللتين ما زالتا واقفتين ومقعداهما فارغان.

أردت أن أخبر السيدة لافليس أنني أحببت الموسيقى أيضًا، وأنني أريد أن أعرف هل كانت قد سمعت أغنية (ألفيرا)؟ أو هل ستعلمنا كيف نصنع الموسيقى الخاصة بنا؟ حاولت أن أرفع يدي، لكنها لم تنتبه لي؛ فلا بد أن تكون حركتي تشبه واحدة من تلك الحركات العشوائية التي تصدر عن الأطفال أمثالي، ولكن كان ينتابني شعور بأن السيدة لافليس كانت شخصًا سيفهمني مع مرور الوقت.

ثم استمرت المعلمة:

- «وقبل أن أواصل الدرس، دعونا نجعل هذه تجربة دمج حقيقية، ربما سيكون لدينا أصدقاء من غرفة H-5 يرغبون في الجلوس معنا بدلًا من بقائهم في مؤخرة الصف».

حين سمع فريدي ذلك سنحت فرصته، ووضع كرسيه في حالة تأهب، وتقدم إلى الجزء الأمامي من تلك الغرفة الكبيرة وصاح: «أنا فريدي، أنا

أحب الموسيقى، وسريع الحركة!». ضحك الصف. أستطيع التمييز بين الناس الذين يسخرون منا والناس اللطيفين معنا، وكذلك فريدي، لهذا شاركنا هو أيضًا في الضحك. بدت على السيدة لافليس الدهشة للحظات، ثم ذهبت إلى فريدي لتحييه، فصافحته، ورحبت به في الصف المدرسي، وأجلسته في المقدمة إلى جانب صبي يدعى رودني، الذي صافح فريدي، وابتسم كل منهما للآخر ابتسامات عريضة. حسنًا، أعترف أنني أحسست بالغيرة.

طلبت السيدة لافليس من المساعد جلب غلوريا إلى مقربة من البيانو، فحملقت فتاة تدعى إليزابيث في غلوريا بعصبية، ولكنها لم تتحرك لتفسح مكانًا عندما تقدمت عجلات كرسي غلوريا منها. أفضل صديقة لإليزابيث هي فتاة تدعى جيسيكا، وقد كانتا في وقت الاستراحة تجلسان معًا بالقرب من السياج تتبادلان الأحاديث، ولطالما وددت أن أعرف ما تتهامسان به. لاحظت أيضًا أن كل شيء تفعله إليزابيث، تحاول جيسيكا فعله والتفوق به؛ فإذا سبقتها إليزابيث مثلًا ركضًا إلى السياج، فإن جيسيكا تصر على أن تعيد الكرة مرة أخرى حتى تتمكن هي من أن تفوز أيضًا بالوصول أولًا، وإذا اشترت إليزابيث حقيبة كتب جديدة، فإن جيسيكا تشتري واحدة جديدة في اليوم التالي، ولذلك عندما بدأت إليزابيث تتحدث إلى غلوريا التي بدت مرعوبة، أثار ذلك جيسيكا، فرفعت يدها وسألت: هل يمكن أن تجلس واحدة من H-5 بجوارها؟

قد يكون لدى ماريا صعوبة في معرفة بعض المواد، ولكنها شخصية ودودة بحق.

- «أريد الجلوس قرب صاحبة القميص الأزرق»، ثم اندفعت إلى مقعد جيسيكا، وجلست بجانبها، ثم قفزت من مكانها وعانقت جيسيكا، ثم عانقت الأطفال الجالسين قريبًا من جيسيكا. ومع أن أحد الأطفال تأفف عندما

لمسته، لكنني فوجئت كيف أن معظم الأطفال سمحوا لها بعناقهم. أما مولي وكلير، فلأنهما كانتا واقفتين فلم يكن لديهما خيار.

- «أوه، يوك!» همست كلير.

- «قرف!» همست مولي.

رفعت السيدة لافليس حاجبيها، ثم تنحنحت.

- «يبدو أنكما أنتما الاثنتين تحبان الوقوف، سوف يستمر وقوفكما بقية هذا الأسبوع».

- «أوه، يا إلهي! هذا سيئ!»، سمعتُ كلير تقول.

كانت مولي عاقلة بما يكفي لتظل صامتة. لم تلاحظ ماريا شيئًا، حتى إنها قبَّلت كلير على خدها، وكان ذلك مسليًّا.

انتهى المطاف بويلي بجانب صبي كبير ودود اسمه كونور. كانت أشلي وكارل غائبتين في ذلك اليوم، فبقيت جالسة في الجزء الخلفي من الفصل بمفردي.

خيم الهدوء الحقيقي على الغرفة، وشعرت فجأة بالبرودة، كأنما كان التكييف على درجة عالية، وانتابتني قشعريرة.

جال بصر المعلمة في جميع أنحاء الغرفة، وعلى ملامح وجهها التوقعات، أعتقد أنها كانت تأمل أن يتطوع شخص ما ليأخذني إلى جانبه، وفي تلك اللحظة وددت لو أمنحُ أيَّ شيء مقابل أن أعود إلى غرفة بلوبيرد H-5، بدلًا من أن أجلس هنا مع ثلاثين من الأطفال الذين يحدقون في وجهي. وأخيرًا، رأيت فتاة تغادر مقعدها وتمشي نحو مقعدي، وحين اقتربت انحنت ونظرت مباشرة في وجهي، ثم ابتسمت. كانت هذه الفتاة ذات الشعر الطويل هي التي عبست

في وجه أصدقائها الذين ضحكوا. «أنا روز»، قالت بصوتها الناعم. فرحبت بها بابتسامة، وحاولت بصعوبة حقًّا ألَّا تبدر مني ركلة، أو أي ضوضاء من شأنها أن تخيفها فتبتعد. تنفست بعمق، وحصرت أفكاري فقط في السكون والأشياء المهدئة، مثل أمواج المحيط، ونجحت. تنفَّست بعمق وببطء، ثم أشرت إلى كلمة شكرًا لك على لوحي، وبدا أن روز قد فهمت. أظهرتُ لها أنني يمكنني تشغيل مقعدي الخاص، فدحرجته إلى حيث قالت إنها تريدني أن أجلس. وجلسنا معًا ما بقي من تلك الحصة، ولم يبدر عني أي فعل محرج!

انتهى الوقت بسرعة، ولكن منذ ذلك الحين، وفي كل يوم أربعاء، واظب فصلنا الصغير من المنبوذين على الانضمام إلى حصة الموسيقى للسيدة لوفليس الرائعة! جيل، وأشلي، وكارل، أصبحوا في نهاية المطاف جزءًا من التجمع، وكل واحد منا عُيِّن له (صديقٌ) للجلوس بجانبه والتفاعل معه أو معها. وما إن التقوا أشلي حتى هرعت جميع الفتيات يردن صداقتها، لأنها -أعتقد- مثل الدمية الصغيرة جدًّا لهن، وبد أن أشلي أحبت مثل هذا الاهتمام.

كلير ومولي في نهاية المطاف عادتا إلى كرسيهما، لكنهما لم تختارا أن تكونا رفيقتين لأحد بعد، وهذا جيد بالنسبة إلي؛ وإليزابيث وجيسيكا أصبحتا مرافقتين لغلوريا وماريا؛ وجيل تجلس باقتناع بجانب فتاة اسمها أستر تشنغ، ورودني يأتي في الواقع كثيرًا في وقت الاستراحة، ويتحدث مع فريدي، وأحيانًا كان يدفع فريدي سريعًا في كرسيه، فَيُسَرَّ فريدي لذلك؛ وأنا أجلس مع روز كل يوم أربعاء، وكنت في يوم الثلاثاء أكاد لا أنام لأنني أكون متحمسة جدًّا للقاء روز.

كنت أطلب من والدتي أن تختار لي أجمل ملابسي صباح يوم الأربعاء؛ ملابس متناسقة الألوان مثل التي يرتديها الأطفال الآخرون، وكنت أهمهم حتى يحدث تناسق في كل قطعة من ملابسي مع القطع الأخرى، وأتأكد من أنها نظفت أسناني حتى لا تخرج من فمي أي رائحة كريهة.

كنت أفكر في صديقتي روز طيلة الوقت؛ فأنا قلقة من أن تغير رأيها وتتبدل مشاعرها نحوي فلا تعود تحبني، ولكن روز تتحدث لي بطريقة أفهمها، وهي تحاول معرفة ما أود قوله كذلك.

ذات يوم أشرت إلى كلمة **جديد**، وإلى كلمة **حذاء**، وإلى كلمة **لطيف**، على اللوح الخاص بي، ثم نظرت إلى قدميها؛ لأتيح لها أن تعرف أنني لاحظت أنها تلبس حذاءً رياضيًّا جديدًا، وأنني أحببت ذلك. في البداية دهشت من تمكني من فعل ذلك، ولا سيما أنه في بعض الأحيان يلزمني وقت طويل لجعل أفكاري منطقية باستخدام اللوح. وذات يوم أشرت إلى **الموسيقى** **وسيئة**، ثم بدأت بالضحك، في البداية لم تفهم روز ماذا أعني، ولذلك أشرت إلى الكلمات مرة أخرى، ثم أشرت إلى السيدة لافليس، التي كانت تسمعنا نوعًا من موسيقى الجاز على مشغل الأقراص المدمجة، فأنا مثل أمي؛ لست من محبي موسيقى الجاز؛ فهي تربكني لأنها خالية من إيقاع النغم.

أخيرًا فهمت روز ذلك، وقالت: «أوه! أنت لا تحبين موسيقى الجاز؟ ولا أنا!»، ثم ضحكنا بجد، فوضعت السيدة لافليس إصبعها على شفتيها لتقول لنا: صه، هدوء. في حياتي كلها لم يسبق لمعلمة أن طلبت مني الهدوء لأنني كنت أتحدث إلى شخص ما في الصف! وهذا كان أفضل شعور في العالم! شعرت أنني مثل بقية الأطفال.

أخبرتني روز بأسرار في بعض الأحيان، فأنا أعلم أنها تقضم أظافرها، وأخبرتني أنها تكره الحليب؛ وأنها تذهب إلى الصلاة كل يوم أحد ولكن لتغفو حتى ينتهي الأمر، وأنا أيضًا؛ وأن لديها أختًا أصغر مثلما أنا لدي أخت صغرى كذلك؛ وأنها تحب موسيقى الريف؛ وكانت في بعض الأحيان تروي لي رحلاتها إلى مراكز التسوق مع صديقاتها. وسيكون من العسير جدًّا أن أكون قادرة على فعل ذلك.

الفصل الثاني عشر

بحلول نهاية أكتوبر، كان برنامج الدمج قد توسع؛ فأضيفت ماريا وجيل لدرس الفنون ولحصص الصالة الرياضية، وفريدي وويلي إلى العلوم. أما أنا، فكانت المرة الأولى في حياتي التي أغيّر فيها الصفوف في مواد مختلفة!

الآن عندما يرن جرس، بدلًا من التساؤل عما يحدث في غرف الصفوف الدراسية الأخرى أصبحت في تلك الصفوف أيضًا. هذا رائع! فقد أصبحت بالكرسي الكهربائي المتحرك أحرث طريقي من خلال الحشود مثل جزازة العشب الكثيف، وكان الأطفال أحيانًا يلوحون لي بأيديهم أو يسألونني: «ما الأمر؟»، وفي كل مرة كان أحد الأطفال يسير بمحاذاتي إلى الصف التالي. هذا رائع!

لكن (الإدراج) لا يعني أنني مدرجة في **كل** شيء، وعادة ما أجلس في الجزء الخلفي من الغرفة، وأكاد أصاب بالجنون؛ لأنني أعرف الأجوبة عن الأشياء ولا أستطيع أن أقولها نطقًا لأي شخص.

«ما تعريف كلمة (كرامة)؟»، سألت هذا السؤال واحدة من معلماتي قبل أيام قليلة. كنت أعرف بالتأكيد، لذلك رفعت يدي، ولكن المعلمة لم تلاحظ الحركة الصغيرة التي أقدر على فعلها، وحتى لو كانت لاحظتني وطلبت مني الإجابة، فماذا بعد ذلك؟ لا أستطيع أن أصيح جيدًا بالإجابات. إنه لأمر محبط حقًّا!

خلال اجتماعات مجالس أولياء الأمور في وقت سابق من هذا الشهر، جاء أبي وأمي للقاء السيدة شانون والمعلمين الآخرين، وبدلًا من تركي وحدي في زاوية في مكان ما، سحبتني السيدة شانون إلى دائرة المعلمين الذين يشاركون في برنامج الدمج؛ إنها امرأة عظيمة!

ربَّتت على مسند الكرسي وابتسمت. «هذه الطفلة ذكية جدًّا! سوف تكون نجمة في هذا البرنامج»، فبادرت إلى حركات الغمغمة والركل المعتادة، وأظن أني كنت سأقبلها لو استطعت، لكن هذا لن يكون لائقًا، كما أعتقد.

- «حسنًا، لقد آن الأوان ليعترف شخص ما بما كنا نعرفه دائمًا»، قال والدي لمعلمتي شانون، «نحن نقدر حقًّا فرصة السماح لها بإظهار ما يمكنها أن تفعله».

كانت أمي مسرورة خصوصًا لمعرفة أنهم عيّنوا (مساعدة حركية) لي؛ مساعدة خاصة بي وحدي.

- «أخيرًا!» قالت أمي، والارتياح بادٍ في صوتها، «كنا نرجو هذا من سنوات».

- «إنه العمل المكتبي المكلف؛ هذا النظام يعتمد على الحزم بدلًا من المنطق والحس السليم. أنا آسفة لذلك»، أجابت السيدة شانون، وهزت رأسها.

- «أنا أحاول الحصول على الخدمات التي يحتاجها جميع الطلاب في H-5، وقد وضعت حاجة ميلودي إلى مُساعِدة على رأس قائمتي، ولذلك سنرى كيف ستسير الأمور. أتوقع سنة دراسية رائعة!».

رائع جدًّا!، أشرت إليها في لوحي. مساعدة؟ يا للروعة! إن وظيفة هذا المساعدة أن تأخذني إلى الصفوف، وتجلس معي لمساعدتي على المشاركة.

تساءلت كيف ستبدو؟ وما صورتها وصفاتها؟ هل ستكون شابّة ولطيفة ا وذكية، أم كبيرة وغاضبةً؟

في اليوم التالي حضرت المساعدة الجديدة إلى المدرسة قبل أن أحضر. كانت تتحدث مع السيدة شانون في الغرفة 5-H في أثناء دخولنا بكراسينا المتحركة إلى الصف. جاءت مباشرة نحوي وأمسكت يدي.

- «مرحبًا ميلودي، أنا سعيدة لمقابلتك. اسمي كاثرين، وأنا أدرس في الجامعة، وسوف أكون إلى جانبك كل يوم».

تحدثت إليّ وكأنني مثل أي طالب آخر تمامًا، لا طفلًا على كرسي متحرك. حاولت ألا أركل، ولكن كان من الصعب أن أسيطر على فرحتي، ثم قالت لي:

- «قميصك جميل»، وهي تتفحص الطائر المفرد أمامي الذي اشترته أمي لي، فأشرت إلى (**شكرًا**) على اللوح.

- «ما لونك المفضل؟»، سألتني بعد ذلك، فأشرت إلى اللون **الأرجواني**، ولكن سرعان ما انزلق إبهامي إلى اللون **الأخضر**، فارتسمت ابتسامة عريضة على وجهها.

- «أنت سريعة ميلودي، أستطيع أن أرى أن كلًّا منا يحب الألوان الغريبة، وسنكون معًا على ما يرام».

كانت كاثرين ترتدي حذاء تنس أرجوانيًا، وجوارب خضراء، وتنورة جلد الغزال باللون الأرجواني، وأقبح سترة خضراء شاهدتها حتى الآن، وقد أردت أن أداعبها بخصوص الزي، ولكنني لم أكن أريدها أن تعتقد أنني وضيعة، فقد التقيت بها للتو. بحثت في جميع أنحاء اللوح عن وسيلة لجعل ممازحتها

بخصوص ملابسها متعة، ولكنني لم أستطع التفكير في أي طريقة لفعل ذلك، فاكتفيت؛ فمن الصعب جدًّا أن أقول الأشياء.

والآن كاثرين هي التي تساعدني على الغداء، ولذلك لا أتسبب بفوضى، وكاثرين هي من يقرأ الإجابات التي أشير إليها على اللوح، وأضافت بعض كلمات وعبارات أكثر لها، وساعدت السيدة شانون على ترتيب الكتب التي أحتاج إلى قراءتها، حتى إنها تتأكد من سماعات الرأس كي لا تسقط عن أذني.

معلمة فنون اللغة في الصف الخامس العادي، الآنسة جوردون، ليست أكبر سنًّا كثيرًا من كاثرين، وهي غالبًا ما تضج بالطاقة لتجعل الكتب تبدو وكأنها مسرحيات للعرض واللعب، فهي تقفز على الطاولة، وأحيانًا تغني، وتسمح لطلاب الصف بتمثيل أجزاء من القصص، وفي بعض الأحيان تحول الكتب إلى ألعاب.

- «مفردات البنغو!»، أعلنت الآنسة جوردون ذات صباح، «الدونات للفريق الفائز!»، كسر زملائي رقابهم وهم يحاولون الحصول على التعريف الصحيح، وصرخوا بالأجوبة، وتأوهوا عندما أخفقوا، وخلال نصف ساعة فقط صار كل طالب في الغرفة يعرف المفردات العشرين كلها. أعطت الآنسة جوردون الكعك للفريق الخاسر، أيضًا، ولكن الفائزين حصلوا على القطع مع رشات الشوكولاتة. كنت أعرف جميع التعاريف، ولكن الأطفال الآخرين كانوا أسرع مني بكثير. كانت الشوكولاته ستتسبب في اتساخ ملابسي على أي حال.

في يوم دافئ على غير العادة من هذا الأسبوع، جلبت الآنسة جوردون زجاجات المياه والرش بالرذاذ، وسمحت لنا بأكل المصاصات في الصف. كانت برتقالية اللون؛ تكريمًا لعيد الهالوين، في حين قرأت قصائد عن القرع

والأشباح. أمسكت كاثرين المصاصة لي مع منشفة ورقية تحت ذقني، ولم تنز قطرة واحدة منا!

فعلت الآنسة جوردون أشياء لطيفة أخرى أيضًا؛ فعندما فرضت على الصف قراءة قصة آن فرانك، جعلت الأطفال يتناوبون على الانحشار في مساحة صغيرة كانت قد صنعتها تحت الطاولة؛ حتى يتمكنوا من فهم شعور آن، ومع أنني لم أستطع أن أفعل ذلك، فقد فهمت الفكرة. وقررت كتبًا عظيمة أخرى في هذا الفصل الدراسي. وأنا أقرأ حاليًا -حسنًا، أستمع إلى- شيلوه، التي كتبها فيليس رينولدز نايلور، والمعطاء التي كتبها لويس لوري. وهناك كتاب الثنية الأبدية.

الأطفال لا يكبرون أبدًا، وأن تبقى طفلًا إلى الأبد ليس بالأمر اللطيف مثلما قد يتصور بعض الناس، وبفضل السيدة V يمكنني قراءة الكتب، ولكن الطباعة عادة ما تكون صغيرة جدًا، ومن الصعب علي أن تبقى عيوني على السطر الصحيح، ولم يدرك أحد بعد أفضل طريقة لي للإمساك بالكتاب من دون أن يفلت من يديَّ على الأرض مليون مرة، لذلك فأنا استخدم الكتاب المسموع بدلًا من النسخة المكتوبة.

كما صرت أقدّم الاختبارات الآن! كاثرين تقرأ لي الأسئلة، وأنا أشير إلى الإجابات على ورقة تضعها على الصينية التي أمامي. أجتاز كل اختبار، ولا تساعدني ألبتة بحرف واحد، بل ربما أحصل على نتيجة 100 في المئة على كل اختبار، لكن بعض الأسئلة تتطلب إجابات طويلة، وذلك ما لا تمكنني الكلمات على اللوح من شرحه.

ذات مرة في امتحان الإملاء، كانت الآنسة جوردون تقرأ الكلمات بصوت عال، وأشير بدوري إلى الحروف على اللوح، وكاثرين تكتب أسفل ما أشرت إليه بحيث يمكنني متابعة الاختبار، في ذلك اليوم كانت كلير ومولي، اللتان

دائمًا تراقبانني، تشعران على ما يبدو بالتذمر، «هذا ليس عدلًا!»، قالت كلير باكية، وملوحة بيدها للفت انتباه الآنسة جوردون، «كاثرين تغش!»، أضافت مولي. ماذا بهما هاتان البنتان؟ كأنهما تشعران بالغيرة مني أو بشيء من هذا، وهذا جنون محض واضح. في الوقت نفسه أدركت أنهما كانتا تعتقدان فعلًا أن أموري تسير بسهولة! وذلك هو الأمر في المقام الأول بالتأكيد.

صباح الإثنين الماضي أخبرت الآنسة جوردون الصف:

- «كما يعلم بعضكم، لأنني أفعل ذلك كل عام، لدينا مشروع بعيد المدى في الصف الخامس هذا العام؛ هو وحدة السيرة الذاتية؛ إذ سنقرأ سير المشاهير، وستكتبون تقريرًا عن الشخص المشهور الذي يختاره كل منكم، وسوف يكتب كل واحد منكم سيرته الذاتية أيضًا».

- «حسنًا، يجب أن تكون قصيرة؛ فماذا يمكنك أن تفعل في إحدى عشرة سنة؟» صاحَ كونور، الطفلُ الكبير، بهذه الجملة، فضحك الجميع.

- «في حالتك يا كونور»، أجابت الآنسة جوردون، «أنا متأكدة أنك سوف تفكر في الأمر كثيرًا».

- «هل يمكنني أن أكتب تقريري عن الرجل الذي اخترع الهامبرغر؟»، سأل كونور مسببًا مزيدًا من الضحك.

- «أنا أشك أننا نعرف أول من عمل البرغر الأول، ولكن يمكنك كتابة تقريرك عن الشخص الذي أسس ماكدونالدز؛ فقد صنع كثيرًا من الهامبرغر والبطاطا المقلية»، فقال كونور:

- «رائع! هذا الرجل صديقي».

رفعت روز يدها، وأنا أحب حقيقة أنها موجودة في كل ما أحضره في فصول الإدراج: «آنسة جوردون، متى سيطلب منا كل هذا؟».

روز من النوع الذي يسجل كل أنواع الملاحظات في مفكرتها الحمراء، ولا يفوتها أبدًا واجب منزلي.

- «فلتطمئني يا روز؛ ثمة وقت طويل حتى نهاية شهر أيار، وسوف نمشي معًا خطوة بخطوة في ذلك؛ غدًا سوف نتحدث عن كيفية كتابة ذكرياتك».

بدت روز راضية، لكني لاحظت أنها خربشت ما يقرب الصفحة الكاملة في دفترها، وأنا مستعدة لأعطي أي شيء لأفعل مثلها. لكن العمل على الأشياء التي يحددها المعلمون في الفصول العادية فكرة رهيبة.

حصة التاريخ أفضل من حصة فنون اللغة، على الرغم من أن المعلم الأستاذ ديمنغ، لا يمتلك شيئًا من ألمعية الآنسة جوردون، وهو أصلع وقصير وبدين، ومارس التدريس في المدرسة لأكثر من عشرين عامًا، ويقول الأطفال إنه لم يكن يومًا شارد الذهن ولا مرة واحدة، ومن الواضح أنه يحب ما يفعل، وسيارته دائمًا في موقف السيارات عندما تصل حافلتنا، وهي هناك دائمًا عندما نغادر المدرسة. أما ملابسه فمثل ملابس الوعاظ الذين يظهرون في جهاز التلفاز، وتتكون من ثلاث قطع متناسبة مع سترات معظم أيام الأسبوع، ولم أره قط من دون قميص أبيض مجعد وربطة عنق زاهية. وكنت أتساءل: أزوجته هي من تختارها له؟ فبعضها صارخة الألوان حقًّا.

الأستاذ ديمنغ يحب التاريخ، ويمكنه أن يقتبس الوقائع والتواريخ والحروب والجنرالات مثل شخص يمارس لعبته المفضلة، وأراهن أنه يمكنه أن يفوز في مسابقات المعلومات، ولكن لا يبدو أن الطلاب الآخرين يحبون الأستاذ ديمنغ كثيرًا، فقد كانوا يطلقون عليه (الغبي ديمنغ) من وراء ظهره،

وأعتقد أن هذا شيء غير لائق؛ لأن الأستاذ ديمنغ حقًّا ذكي، ذكي بما فيه الكفاية ليقود فريق مسابقة. عندما تطرق الأستاذ ديمنغ للرؤساء الأمريكيين في الصف، هززت قدميّ كالعادة! أعطى الطلاب قائمة بالرؤساء، وجميع نواب الرئيس، وأخبرنا أنه سيجري اختبارًا في غضون أسبوع. قرأت كاثرين الأسماء لي عدة مرات، «لم يسبق لي أن سمعت حتى عن بعض هؤلاء الرجال»، هذا ما اعترفت به لي عندما قرأت القائمة أول مرة.

- «كان هانيبال هاملين النائب الأول للرئيس أبراهام لينكولن؛ من يعرف هذا؟»، حفظت أسماء كل منهم. وعندما قدم الأستاذ ديمنغ الاختبار، كل ما كان عليَّ فعله هو أن أشير إلى الإجابات الصحيحة؛ إنه فحص للتأكد من أن كاثرين لم تكن تساعدني في الإجابات الصحيحة، بل إنني انتهيت من الإجابات قبل بعض الطلاب الآخرين، وبينما كان الأستاذ ديمنغ يستعيد أوراق الاختبار، أعطى الصف بضع دقائق من الوقت الإضافي لشحذ أقلام الرصاص أو المراجعة أو التحدث، وفوجئت برؤية روز تمشي نحو مكتبي:

- «كيف كان الاختبار يا ميلودي؟» سألتني.

- «حصلتُ على خمسة وسبعين فقط»، وبدت عليها خيبة الأمل، أما أنا فكنت قد حصلت على خمسة وثمانين، لكنني كنت سعيدة للغاية لأنها أتت إلي، وقد اختلط عليَّ كل شيء؛ لذا فقد أشرت إلى 8 ثم 5 على اللوح، فلمست يدي وعيناها مليئتان بالتعاطف.

- «لا تقلقي»، قالت، «سوف تفعلين ما هو أفضل في المرة القادمة»، وفعلت هذا بحق أمام مولي وكلير وبقية الصف. لم يكن هناك وسيلة لأقول لها ما حدث فعلًا في الاختبار، حاولت أن أفكر في شيء أقوله لها لأبقيها معي مدة أطول، فكان قميص وجميل هو كل ما يمكنني أن أقوله لها مع استخدام لوحة ناقصة. أنا متأكدة من أن خيار استخدام كلمة الزي ألطف، ولكن السيدة

V كانت قد تجاهلت تلك الكلمة: الزي، ولكن روز قالت: «أنت تبدين لطيفة اليوم أيضًا!». أنا حقًّا لم أكن كذلك، فقد كنت أرتدي البلوزة الزرقاء الكالحة المطابقة لبنطال الرياضة، فأمي لم تشتر لي غيرها في هذه الأيام، ولكنني **أكره** ملابس الرياضة؛ إذ إنه يمكنني أن أختار، لو كنت أرتدي الجينز الأزرق مع الشارات اللامعة، وبلوزة بأزرار مزينة، وسترة! ولكنني لم أستطع إخبار روز بذلك؛ لذا أشرت فقط لـ **أشكرك**. وبصورة لا تصدق لمست يدي مرة أخرى، ثم عادت إلى مقعدها وأصدقائها، ثم رن الجرس، وانتهت الحصة، وكان عليَّ العودة إلى H-5.

لا مزيد من حصص الاندماج اليوم، ولا وقت أكثر مع روز، وأربع ساعات تبقى من يوم المدرسة، وحتى كاثرين غادرت باكرًا لتحضر فصول بعد الظهر في الجامعة، فسارعت إلى الوصول إلى هناك في الوقت المحددكانت السيدة شانون مجازة مرضيًّا في ذلك اليوم، لذلك جلست بهدوء مع أشلي وماريا وكارل وويلي ونحن نشاهد فيلم **الملك الأسد** مرة أخرى، وقد رأيت ذلك مليون مرة، ويمكنني أن أقتبس منه. ثم أعطتنا المعلمة البديلة درسًا في الرياضيات؛ عن الجمع، مرة أخرى، متى يمكننا أن نأخذ القسمة المطولة؟ وكان يدور بخلدي سؤال عن روز: ماذا تفعل روز في ذلك الوقت؟ لقد كانت مدة بعد الظهر طويلة جدًّا.

■ ■ ■

الفصل الثالث عشر

(بيني! كلا!) السيدة V تنادي.

ساحبةً لعبتها دودل خلفها، خرجت بيني من الباب الأمامي لمنزل السيدة V، وصارت في منتصف المسافة أسفل منحدر شرفتها، صارخة: «وداعًا وداعًا!»، من تحت قبعة البيسبول الخضراء. لو كان بترسكوتش في الفناء الخلفي لبيتنا، لما تركها تفعل ذلك لو أنه رآها تحاول. كان يومًا من الأيام الأولى لشهر تشرين الثاني الذي يحبه الفنانون، بحمرته البرونزية، وأشعة الشمس الذهبية الساطعة، من بقايا الصيف. أنا لا ألوم بيني لمحاولتها الهروب.، وقد أمسكت بها السيدة V، وأعادتها مرة أخرى إلى المنزل:

- «ذاهبة إلى العمل»، قالت بيني متجهمة.

- «ليس اليوم، يا حبيبتي»، قالت السيدة V بقوة، مع إقفالها الباب الأمامي. تحب بيني ارتداء القبعات ولعبة ارتداء الملابس، ومع أن أمي نادرًا ما تشتري القبعات الفاخرة لنفسها، فإنها تشتريها لبيني، فأحيانًا تختار قبعة جنونية من القش مع الأقواس والأشرطة وتحضرها إلى البيت. أما بيني في المنزل فتقضي وقتًا جنونيًا أمام مرآة القاعة مع اثنتين من القلائد البلاستيكية المتدليتين تقريبًا لحذائها، ومحفظة على كل ذراع، وقبعة تميل جانبيًا على رأسها.

- «سنذهب للعمل»، تقول، مع وضعها يدًا واحدة على وركها.

- «من الذي سبق له وأن رأى مثلها ترتدي هذا الزي وتذهب لتعمل؟»، تسألها أمي، ونحن جميعًا نضحك.

- «عمرها سنتان فقط! لن أكون قادرًا على تحمل نفقاتها عندما تبلغ من العمر ما يكفي للذهاب للتسوق وحدها»، يقول هذا أبي دائمًا، ثم يلتقط صورًا لكل حركة تند عنها بكاميرة هاتفه النقال.

عندما كانت السيدة V تعيدها إلى البيت كانت بيني تزم شفتيها، وتلقي باللعبة على الأرض، وتلف ذراعيها حول صدرها، وكنت أضحك، وأتمنى لو كنت أملك قدرة التنسيق الكافية لأكون في ذاك (الموقف)!

- «اسمعي يا بيني، لماذا لا تجلسين وترسمين لي صورة بدلًا من ذلك»، تقول لها السيدة V، مخرجة صندوقًا من الطباشير. بعدما نسيت ما حدث، أخذت بيني كمشة من الأقلام ثم بدأت على الفور بخربشات في جميع أنحاء كتاب التلوين، وكذلك على طاولة السيدة V.

أتمنى لو أستطيع استخدام الطباشير؛ كي أرسم وردة مخملية اللون، وساقها خضراء، وأوراقها مزيج من الأصفر والأخضر طالعة منها. أستطيع أن أرى ذلك بوضوح في ذهني، ولكن -بطبيعة الحال- عندما أضع قلم الرصاص أو التلوين في يدي بين أصابعي الصغيرة الغبية التي لا تحكم الإمساك، كل ما يمكنني رسمه هو خطوط متعرجة، لا يبدو شيء منها قريبًا من وردة.

أريد أن أرسم من أجل روز التي لديها تصاميم وَرْد على حاسوبها المحمول، وعلى حقيبة الكتب. لا أعرف من أين تجد أمها مثل هذه الأشياء الجميلة. اسم روز يناسبها حقًا، فهي جميلة وحساسة، ولها حضور جميل لمن حولها. هل لديها شوك مثل الوَرْد الحقيقي؟ لا أعرف، ولم ألاحظ ذلك قط.

بينما كانت بيني مشغولة بطباشيرها، تفحصت السيدة V بريدها، ففتحت مظاريف عدة، ثم صاحت بالمفاجأة:

- «انظرن يا بنات!»، تصيح، ثم تقول: «لقد فزت بمسابقة!».

نظرت إلى وجهها باهتمام، بينما استمرت بيني بالخربشات متجاهلة كِلَينا.

- «شاركت في مسابقة كتابة مقال في محل لبيع الكتب»، تشرح لي، «وكان الموضوع لماذا يعد السمك مهمًّا في بيئة عالمنا»، فأشير إلى الطعام على اللوح بابتسامة متكلفة.

- «لا، يا سخيفة»، قالت ثم اقتربت مني أكثر ودغدغتني، «كتبت شيئًا عن المحيطات والتوازن في الطبيعة، وأنا لا أتذكر بصراحة ما قلته، لكنني فزت لأول مرة بالجائزة: رحلة لستة أشخاص إلى حوض السمك الجديد وسط المدينة، وجميع التكاليف مدفوعة. مذهل!».

كنت قد رأيت الإعلانات التجارية عن الحوض في التلفاز. من المفترض أن يكون لأسماك القرش والسلاحف وطيور البطريق وملايين الحيوانات البحرية الأخرى. اذهبي؟ قلت لها مشيرة إلى تلك الكلمة في اللوح.

- «حسنًا، بالإضافة إلي، لا أعرف من أصطحب معي»، قالت وهي تحك رأسها وتبتسم ابتسامة عريضة، فركلت بقدمي فسقطت جواربي الفضفاضة. أنا! أنا! كنت أريد أن أصرخ، وبدلًا من ذلك أشرت إلى نفسي.

- «حسنًا، من يمكنني اصطحابه معي؟»، السيدة V تغيظني وهي تجول بعينيها حول المطبخ، وأستطيع أن أقول إنها تحاول جاهدة عدم الضحك. أنا! أنا! أنا. قلت وأنا أحاول أن أقفز.

- «حسنًا، بالتأكيد سآخذك، ميلو الصفراء»، تقول السيدة V، وتبتسم، -«فكري في كل الكلمات الجديدة التي سوف نجمعها، سوف أكتب لك اسم كل سمكة لتتعلميها!».

ضربت رأسي، متظاهرة أنني غير راضية.

«وهكذا، إذا أخذتك أنت وبيني، وأمك وأبيك، فسنصبح خمسة، ولا أدري من يمكنني إضافته أيضًا لنصطحبه معنا؟ ثم أخذت تفكر، فعرفت فورًا؛ روز يمكنها أن تذهب معنا! وهجأت اسمها R-O-S-E، ومرة أخرى: R-O-S-E... ثم ضربت: أرجوكِ.

- «آه، صديقتك روز من المدرسة؟»، فحركت قدمّي بإثارة.

«أعتقد أنها فكرة عظيمة يا ميلودي، سأطلب من والديك ووالديها، وإذا كانت على استعداد فسيكون يومنا رائعًا».

لا أستطيع التوقف عن الركل بقدمي! سيستغرق الأمر عدة أسابيع قبل أن تحصل أمي وأبي على إجازة من العمل يوم السبت، ولكن عيد الشكر في نهاية الأسبوع يكون عطلة للجميع. لم أستطع النوم في الليلة السابقة.

يبدو أن والدَي روز حقًّا لطيفان، ذلك ما يمكنني أن أعرفه من الاستماع إلى أمي في نهاية المحادثة. لم أستطع أن أصدق أن روز قادمة! وتريد أن تأتي معي، مع طفلة في الكرسي!

وفي المدرسة همست روز إليَّ حول الرحلة، تمامًا مثلما كنت أرى الأطفال الآخرين يتهامسون عندما يكون لديهم أسرار، وشعرت مثلما تشعر فتاة حقيقية.

في يوم السبت، تكوَّمنا جميعًا في سيارتنا ذات الدفع الرباعي في وقت مبكر من صباح اليوم. وعلى الرغم من أن الجو أصبح باردًا جدًّا، إلا أنني حرصت على أن تلبسني أمي زيًّا لطيفًا مناسبًا (جينز لطيف من دون قميص رياضة). لم تقل روز أي شيء حول ما أرتديه، ولكنها ظلت تتأمل بيني، ثم قالت:

- «أختك رائعة يا ميلودي!»، فابتسمت ونكست رأسي. صفقت بيني بيديها السمينتين وهي تقول:

- «وو - زي»، فصاحت روز:

- «أعتقد أنها قالت اسمي! شقيقتك ليست لطيفة فقط، بل إنها عبقرية!». وبينما كانت السيارة تنطلق بنا، كانت روز تتحدث مع والديَّ والسيدة V كما لو أنها تعرفهم طوال حياتها، وكنت أشاهد كل ذلك بصمت، ويحملني التفكير على تخيُّل أن هذا اليوم يجب أن يكون أفضل يوم في حياتي.

عندما وصلنا إلى الحوض، أنزل والدي مقعدي وأجلسني فيه، في حين كانت والدتي تنزل عربة بيني وربطتها إليها. راحت روز تدفع عربة بيني، وراحت أمي تدفع الكرسي المتحرك بي؛ ولذا فقد كنا نسير جنبًا إلى جنب. كان المكان مزدحمًا؛ لأنه يوم عطلة نهاية الأسبوع كما أعتقد. لا أحد يعيرني أي اهتمام، وهذا ممتاز جدًّا؛ فأستطيع أن أنسى في الغالب من أنا. في الداخل كانت الأسماك تسبح من الأرض حتى السقف، فتذكرت سمكتي أولي؛ لربما كانت سعيدة لو كانت هنا. في أحد الخزانات كانت أسماك القرش تسبح فوق رؤوسنا، كما لو كنا ننظر من قاع المحيط. حسنًا، لذلك قد لا تكون أولي سعيدة جدًّا في ذلك الخزان.

لم أر قط في حياتي مثل هذا العدد الكبير من الأسماك، التي كانت من جميع أنحاء العالم؛ سمك بمقدمات كالمسامير، وسمك مرقط بالبقع، وسمك بعلامات جميلة جدًّا، يبدو كما لو أنه مرسوم رسمًا وملون. كانت بيني كلما اقتربت سمكة منها تشعر بالفرح فتضرب زجاج الحوض صائحة: «سماك! سماك!». أما السيدة V، فكانت -كما وعدتني- تكتب أسماء الأنواع، وتلتقط الصور؛ حتى أتمكن من تذكرها عندما نعود إلى البيت. وكانت أمي وأبي يتهامسان كما يتهامس المراهقون، ولم أرهما قط في مثل هذا الاسترخاء من قبل.

كنا نتوقف أمام كل مشهد، أمام قنديل البحر الذي أحبه، والذي يذكرني بالقماش اللامع، وسمك الأسد، الذي يبدو حقًّا مثل الأسود وهي تسبح، وفي الخزان أيضًا حصان البحر الذي لاحظت روز أنه يشير برأسه إلى الوراء! ويبدو أنها كانت مستمتعة بوقتها.

ثم من الزاوية ظهر شخصان كانا آخر ما كنت أتمنى أن ألتقيهما: مولي وكلير. كانتا مع فريق كشافة للبنات وكانتا تتدافعان، ولا توليان اهتمامًا كبيرًا لقائد مجموعتهما الذي يتحدث للفريق حول نسبة الملح الموجودة في مياه المحيطات. كانتا ترتديان الجينز، والقمصان ذات الأكمام الطويلة، والسترات الكشفية الواقية، وقد بدا وجود روز لهما مفاجأة.

- «روز! أنت هنا مع والدتك؟»، سألت كلير.

- «آه، لا»، تقول روز تهربًا، وهي تمشي بعيدًا عنا نحوهم.

- «والدك؟» سألتها مولي، وهي تنظر في وجهي وكأنني ذات رائحة سيئة، وتتصرفان كأن والديَّ لا وجود لهما.

- «أنا هنا مع ميلودي وأسرتها»، غمغمت روز.

- «بمحض إرادتك؟» قالت كلير. وبدأت كلير ومولي تضحكان بصوت عال.

- «الوضع ليس سيئًا للغاية»، قالت روز بهدوء، ولكنني سمعتها. بدأت أمي تقول شيئًا للفتيات، ولكن أبي أمسك بذراعها، وقال لها:

- «إنهن أطفال، دعيهن يتصرفن بأنفسهن»، ولكن أمي كانت الخناجر تلمع في عينيها؛ تلك التي تطلقها على الناس الذين يقولون عني أشياء غبية، ولكنها بقيت هادئة وقد تكورت قبضات يديها. لكن السيدة V، مع ذلك، لا تسمح لأحد أن يمنعها، وبِطُولها الذي يقرب من ست أقدام، قالت من فوق مولي وكلير:

- «أنت! أيتها الفتاة التي تركِّب سلسلة على أسنانها!». نظرت إليها كلير بذهول.

- «نعم يا سيدتي؟»، قالت كلير بهدوء.

- «لماذا تعتقدين أن والديك ينفقان المال الكثير ليشتروا لأسنانك سلسلة؟» فقالت كلير وهي مرتبكة:

- «هاه؟»، قالت كلير بارتباك بينما اختفت مولي في الفرقة الكشفية.

- «كانت أسنانك معوجة، لذلك ركَّب والداك لك سلسلة، ويومًا ما سوف تشكرينهم عندما تكونين على موعد لحفلة موسيقية». هكذا زمجرت السيدة V، وقد توقف فريق الكشافة كله، بالإضافة إلى عدد قليل من الزوار الآخرين للحوض، لسماع ما تقول.

- «ما علاقة أسناني بأي شيء؟» سألت كلير، ونظرت حولها بعصبية.

- «بعض الناس يشترون السلاسل لأسنانهم، وبعضهم الآخر يشترونها لأرجلهم، وبالنسبة إلى آخرين فالسلاسل غير مجدية، لذلك يحتاجون

الكراسي المتحركة والمشايات وكذا، فأنت فتاة محظوظة لأن أسنانك فقط هي التالفة. تذكري ذلك».

- «نعم يا سيدتي»، قالت كلير ذلك مرة أخرى، ثم هرعت للانضمام إلى صديقاتها.

مشت روز وراءنا بعد ذلك، وقد أحست بالحرج قليلًا، على ما أعتقد.

- «كلير يمكن أن تكون جاهلة»، همست إلي. أتظنين؟

بعد بضع مشاهدات للأسماك تعبت بيني وبدأت بالأنين، لذلك تركنا الحوض حتى قبل أن نصل إلى رؤية طيور البطريق، وأوصلنا روز إلى بيتها، وقد أعربت عن شكرها لنا بصورة مناسبة قائلة إنها قضت وقتًا ممتعًا معنا، ولكن هل حقًّا ما تقوله؟

■ ■ ■

الفصل الرابع عشر

في يوم الإثنين اللاحق لعيد الشكر، دخلنا أنا وكاثرين حصة فنون اللغة للآنسة جوردون قبل دقائق قليلة من قرع الجرس، ويبدو أنه ما من سبيل لمعرفة شعور روز الحقيقي عن الرحلة إلى حوض السمك؛ لأن من الواضح أن لديها أشياء أكثر إثارة تنشغل بالتفكير فيها.

احتشد الجميع حول طاولتها.

- «رائع!».

- «أنا أحب هذا اللون، لم أكن أعرف أن لونه أخضر ليموني!».

- «يا إلهي، هكذا تبدو إذاً!».

- «كم عدد الأغاني التي حمَّلتها حتى الآن؟».

«ما عنوان بريدك الإلكتروني الجديد؟».

- «هل اشتركت في مجموعة دردشة؟».

- «الوقت لا يتسع لذلك!».

- «أتمنى أن تشتري لي أمي حاسوبًا محمولًا مثله».

اقتربت أكثر، فإذا روز تريهم حاسوبها المحمول.

- «يمكنني الدخول إلى شبكة الإنترنت، والبحث عن الأشياء للمدرسة، وأكتب كل واجباتي المنزلية»، قالت للمجموعة حولها، وأضافت:

- «لقد سبق ونشرت صور كلبي، ولقد حصلت على صفحة إنترنت خاصة بي!».

هززت رأسي بينما كانت كاثرين تعيدني إلى مكاني المعتاد في الجزء الخلفي من الغرفة.

حاسوب محمول، وأنا لا أزال أشير إلى الكلمات والعبارات التي كتبتها السيدة V وأمي لي على هذه اللوحة المثبتة على كرسيّ متحرك؟ وروز لديها إنترنت، وهذا يعني أن الكون كله في متناول أصابعها.

أغمضت عيني، في محاولة لعدم البكاء، حالمة بحاسوب من صنع ميلودي. أولًا وقبل كل شيء، يجب أن يتحدث! أوه، نعم، بحيث يجب على الناس أن يطلبوا مني أن أصمت! وسيكون فيه مساحة لتخزين كلماتي كلها، وليس فقط أكثرها شيوعًا التي أُلصقت على لوح بلاستيكي أبكم، ولا بد أن تكون مفاتيحه كبيرة؛ حتى يتمكن الإبهام من نقر الأزرار الصحيحة، وسيكون مثبتًا وموصولًا بالكرسي المتحرك، ولن يكون بلون الأخضر الليموني. فتحت عيني باندهاش، لا بد أن مثل هذا الشيء موجود، أليس كذلك؟ أو شيء من هذا القبيل، ربما.

أمسكت بذراع كاثرين وأشرت إلى حاسوب روز، لي أيضًا، وأشرت إلى الكلمات على اللوح، وفعلت ذلك عدة مرات.

- «أنت تريدين حاسوبًا مثل روز؟»، قالت كاثرين ذلك وهي تنظر أكثر إلى حاسوب روز المحمول.

- «إنه حقًا لطيف، حتى أنا ليس لدي واحد مثله».

- **لا**، أشرت.

- «انتظري، أنت لا تريدين حاسوبًا؟»، قالت كاثرين بصوت حائر.

لقد تعلمت أن أتحلى بالصبر مع الناس، ومن ثم فقد أشرت مرة أخرى إلى حاسوب روز ثم إلى كلمتي لي أيضًا. بحثت في جميع أنحاء لوحة التواصل، عن كلمة **أفضل**، **أجمل**، **أروع**، فلم تكن مثل تلك الكلمات موجودة، فلذلك اكتفيت بالإشارة إلى جيد، ثم انتقلت إلى شريط الأبجدية لأضيف لكلمة جيد حرفي التفضيل. كنت أبدو مثل الحمقاء.

- «أوه!»، قالت كاثرين أخيرًا، «أنت تريدين حاسوبًا أفضل من حاسوب روز؟».

- نعم حقًّا! ثم أشرت إلى لي وأنا.

- «فهمتك!»، صرخت كاثرين، «أنت تريدين شيئًا مصممًا لك خاصة! يا لروعة الفكرة يا ميلودي!»، ثم ضحكنا.

بدأت الآنسة جوردون الحصة، مذكرة الجميع بالمواعيد المحددة لمشروع السيرة الذاتية، معلنة:

- «غدًا سيلتقي الصف في مركز الوسائط بحيث يمكنكم اتخاذ قرارات نهائية حول الشخص الذي سيكتب كل منكم عنه. الأسبوع القادم سوف نبدأ بتقديم الخطوط العريضة لقصص حياتكم. هل من أسئلة؟».

رفع كونور -وهو دائمًا مهرج الصف- يده:

- «لقد وجدت أن الرجل الذي اخترع مرحاضًا دافقًا يدعى توماس كرابر، أيمكنني أن أكتب تقريري عنه؟»، فضحك الأطفال، حتى رودني أيضًا ضحك بجد، حتى احمر وجهه، فهدأت الآنسة جوردون رودني والآخرين.

- «أعتذر يا كونور، فأنا أحصل على هذا الطلب كل عام. المرحاض الدافق اخترع في عام 1596م من قبل جون هارينغتون. ليس الاسم مضحكًا. أما زلت تريد البحث عنه؟».

بدا كونور محبطًا.

- «كلا، أعتقد أنني سوف أبقى مع الذين بدؤوا بماكدونالدز، إذا كنت سأقضي كثيرًا من الوقت في البحث عن أشياء، فالبرغر أفضل من المراحيض».كان رودني يحاول أن ينفجر في الضحك مرة أخرى، ولكن الآنسة جوردون تسكته بنظرة.

- «من الذي اخترتِ الكتابة عنه؟» سألتني كاثرين حين كانت الآنسة جوردون تتمشى وتتحدث للطلاب حول مشاريعهم. فكرت لدقيقة ثم مررت إبهامي على الأحرف S-T-E-P-H-E-N H-A-W-KI- N-G, I، فقد كنت أريد أن أعرف كيف كان يتدبر الأشياء العادية، مثل تناول الطعام والشراب، ففي نهاية الأمر هو رجل، هل كانت زوجته تدخله إلى المرحاض؟ كان لديه أطفال، فكيف يتمكن من أن يكون أبًا لهم؟ وأريد أن أعرف عن أجهزة التحدث الخاصة به، وأجهزة الحاسوب المتفوقة التي تساعده على التحدث وحل المسائل الرياضية الصعبة، مثل العثور على الثقوب السوداء في الفضاء. أشرت بالسؤال لكاثرين:

- حاسوب لي أنا؟

- «ليس لدي أي فكرة!» أجابت. «دعينا نتحقق من ذلك».

■ ■ ■

الفصل الخامس عشر

في صباح اليوم التالي تساقطت الثلوج الأولى من الموسم؛ رقائق مسطحة كبيرة سقطت خارج نوافذ الغرفة H-5.

يحدث فريدي الأزيز مرارًا، ويلمس النافذة، ويقول: «لطيف».

كانت السيدة شانون قد جمعتنا كلنا على مقربة من النافذة؛ حتى نتمكن من مشاهدة الثلوج وهي تتراكم على العشب والأشجار. إنها حقًّا جميلة! حتى جيل تبدو مسترخية.

- «سنلعب بالثلج؟»، سألت ماريا.

- «لا يا ماريا، الجو بارد جدًّا في الخارج ولا يمكن اللعب، ولكن خمني ماذا؟ «نحن على مقربة من عيد الميلاد!».

هتفت ماريا.

- «لقد سمعت أنه نوع من التقليد هنا تزيين هذا رجل الثلج القديم المصنوع من الفلين»، واصلت السيدة شانون، وهي تسحب رأس سيدني من الصندوق المخصص له.

بدأت ماريا تعانقه، ولكن السيدة شانون أوقفتها عن فعل ذلك قائلة:

- «أنا أومن برائحة أشجار الصنوبر الطازجة في الأعياد، وحلوى القصب الحقيقية، وإكليل الفشار. غدًا سأجلبُ شجرة حقيقية، وسوف نجعلها نحن جميلة!».

عندها ضرب فريدي وكارل راحتيهما ببعض، وأصيبت ماريا بخيبة أمل للحظة، ولكنها على ما يبدو نسيت رجل الثلج عندما أعطت السيدة شانون الجميع قطعة ناعمة من حلوى الشوكولاته، وبحكمة حشت سيدني مرة أخرى في صندوقه.

وبينما كانت السيدة شانون تدل بقية الصف كيف يصنعون رجل ثلج من الورق، جلسنا أنا وكاثرين معًا أمام الحاسوب في أحد الفصول الدراسية لنبحث على شبكة الإنترنت عن أجهزة الاتصالات. إنه بطيء جدًّا جدًا، وأحيانًا يحدث تشويش، ويقف دون استجابة، وهو ما يوجب علينا إعادة تشغيله والبدء من جديد في كل مكان؛ ذلك أن غرفة H-5 تحصل دائمًا على أجهزة الحاسوب القديمة التي لم تعد الفصول الدراسية الأخرى تريدها.

بحثت أنا وكاثرين عن جميع أنواع التحدث الإلكترونية، وأجهزة الاتصال التي صُمّمت لأشخاص مثلي. وكان كثير منها يبدو غريبًا مثل الحاسوب في غرفتنا. بعضها تبدو معقدة حقًّا، ولكنها كلها مكلفة، ومكلفة بأسعار جنونية، حتى إن بعض المواقع لا تورد قائمة أسعار؛ فهم يخافون تحديد مقدار تكلفة الأشياء. الأجهزة التي تستخدم لوحة مفاتيح الحاسوب القياسية لن تجدي نفعًا، ولا أمتلك وسيلة للنقر على المفاتيح، فأنا بحاجة إلى شيء من شأنه أن يعمل بالإبهام فقط. وجدنا أجهزة حاسوب جرى تكييفها، ولوحة المفاتيح التي تتحدث فتنطق الكلمات، وأنظمة الضغط على الزر، وحتى الأجهزة التي تعمل مع وميض العين، أو بالإيماءات من الرأس، وأخيرًا وجدنا شيئًا يدعى المتكلم (ميديا-توكر)، الذي يبدو متوافقًا مع مثل هذا الاحتمال؛

ففيه مساحات كبيرة بما يكفي الإبهام للوصول إليها، والملايين من الكلمات والعبارات التي بنيت في ذلك! شاهدت مقطعًا مصورًا على شبكة الإنترنت عن صبي في عمري يستخدم واحدًا منها، وعلى الرغم من أن الصبي كان بلا صوت، فإن هذا الصندوق الصغير يتيح معرفة كل تفاصيل حياته في حفلة عيد ميلاده الأخيرة! شعرت بالسعادة حتى إن ساقِي بدأتا بالركل، وبدأت ذراعي بالضرب، فبدوت مثل حوَّامة بشرية مجنونة، وطبعت كاثرين المعلومات ووضعتها في حقيبة الكتب المعلقة على الجزء الخلفي من الكرسي، ثم همست وهي تغادر ذلك اليوم:

- «حظًّا سعيدًا يا ميلودي!».

عند النزول من الحافلة بعد المدرسة، كانت السيدة V تنتظرني كالمعتاد، وعلى الفور كدت أسقط تقريبًا من مقعدي؛ وأنا أحاول الإشارة إلى حقيبتي لتعرف أن لدي شيئًا مهمًّا في حقيبتي.

- «اهدئي!»، قالت السيدة V، «منذ متى كنت متحمسة لأداء واجباتك المنزلية؟ ماذا حدث لكم جميعًا من انفعال اليوم؟»، فاكتفيت بأن ابتسمت وركلت.

بعد تناول وجبة خفيفة من حلوى الكرامل (أولًا)، وساندويش التونة (آخر)، وبعد أن أفاقت بيني من قيلولتها، ثم شربت عصير التفاح، سحبت أخيرًا السيدة V الأوراق من حقيبتي.

- «حسنًا، هذا هو بالضبط ما تحتاجينه»، قالت السيدة V، ووضعت المطبوعات على الطاولة بعد قراءتها.

«لا عجب أنكم كلكم مشتعلون حماسًا».

- «نعم حقًا! نعم حقًا! نعم حقًا!»، أشرت، ثم أشرت إلى كلمات فردية: نقاش. إلى. أمي. و. أبي. حديث. حديث. حديث.

- «سأفعل ذلك تمامًا، فور وصولهما المنزل من العمل، يا ميلودي»، هكذا وعدتني السيدة V، ولم أكن أطيق الانتظار. وبينما كانت بيني تشاهد وحش الحلوى وهو يلتهم الجزر بدلًا من الحلوى في برنامج افتح يا سمسم، كنتُ أحلم بالتحدث، والكلام، والنطق.

عندما جاءت أمي لتأخذنا، وفت السيدة V بوعدها وكلمتها، ولم تظهر لأمي المطبوعات فحسب، بل جعلتها تشاهد صفحة الإعلان على الموقع من خلال الحاسوب بالفعل، والإعلان على الويب عن الجهاز المتكلم وعن كيفية بيعه، وكانت بيني حينها تجلس في حضن أمي، وبقيت تعبث بمفاتيح الحاسوب، حتى أحدثت خللًا في الشاشة، واختفت صفحة الويب عن الشاشة، وهو ما وتر لي أعصابي، لكن أمي شاهدت المقطع المصور الذي يظهر الناس وهم يتحدثون في الواقع، ويطلقون النكات، بل يلتحقون بالكليات باستخدام هذا الجهاز.

بيَّنت السيدة V لأمي أن هذا هو الأنسب تمامًا لي، وبدا أن أمي موافقة على ذلك، بدلًا من أن تكون عملية ومقتصدة مثلما هي في العادة.

- «يبدو أن التأمين يمكن أن يسدَّ قرابة نصف التكلفة»، قالت وهي تفكر وتتصفح الموقع، وأضافت: «دعيني أتحدث إلى تشاك، فهذا أمر طال انتظاره».

هذا المساء؟ سألت من خلال اللوح.

- «نعم! هذه الليلة!»، قالت أمي وهي تضغط على يدي مؤكدة، ولكن لا شيء يحدث على الفور في عالمي.

ملأت أمي بيانات الطلب على الإنترنت للجهاز في اليوم التالي وأرسلته، وأنا أنتظر، ثم كان علينا أن نسأل طبيبي ليرسل بالفاكس وصفة طبية، وقد سمعت عن الوصفات الطبية للمضادات الحيوية، ولكن لآلات؟ يبدو هذا جنون! فمن الذي يريد هذا الجهاز ما لم يكن بحاجة إليه؟ وأنا أنتظر.

بعد ذلك، كان لا بد لنا من الحصول على موافقة من شركة التأمين، ومن ثم مزيد من الاتصالات والأوراق والمكالمات الهاتفية، ومزيد من الأسئلة والأجوبة، وأنا أنتظر. ثم لا بد من بيان مالي للوالدين. أتمزح! لماذا الأمور معقدة إلى هذا الحد؟ وأنا أنتظر. أحد التوقيعات الطبية ناقص، ولا بد من استكماله. وأنا أنتظر. موافقة أخيرة من مسؤول المدرسة لا بد منها. وأنا أنتظر. أنا مدركة أنني كنت في انتظار لهذا الشيء طوال حياتي.

وأخيرًا، أخيرًا، أخيرًا، يوم الأربعاء قبل عيد الميلاد، وصل ميدي المتكلم. لا أحتاج أي هدية أخرى. يومها حين عدت إلى المنزل من المدرسة أخبرتني السيدة V أنها سارعت إلى منزلي عندما شاهدت شاحنة الشركة تشق طريقها إلى بيتنا فورًا، فوقَّعت على تسلم الرزمة، وأدخلتها إلى منزلها لحفظها، وها هو ذا الصندوق البني الكبير هناك رابض وآمن، معنونًا بعنواني!

تمايلت وولولت وأصررت على فتحه على الفور، وأنا أستطيع أن أشعر أن واحدًا من أعاصيري على وشك الاندلاع. **يا مدينة المشلولين ها أنا قادم إليك!**

- «اهدئي، ميلو يلو»، قالت السيدة V ووضعت يدها على كتفي، ولكنني لا أستطيع الاسترخاء.

- افتح! افتح! افتح! أشرت.

- «حسنًا، لقد عرفت أمك أنك لن تكوني صبورة»، قالت السيدة V، «حتى عندما اتصلت بها لأخبرها أن البضاعة وصلت، أخبرتني أن من الأفضل لنا أن نفتحه».

كنت أشعر وكأنني سأصاب بنوبة قلبية وأنا أشاهد السيدة V وهي تفتح بعناية حواف الصندوق، وقد سمحت لي أن أسحب الورقة البنية من الداخل، ثم تحت نحو ميل من الفقاعات الملتفة، ها هو الميديا-توكر؛ أصغر مما كنت أتوقع، إنه بحجم علبة الكرسي المتحرك، ولكنه أنيق ولامع، وبارد الملمس، إنه مثل فراشة تتأهب لفرد جناحيها. بوه، أوه، بو. لا أستطيع الانتظار لمحاولة استخدامه.

أمسكت السيدة V بالمقابس قبل أن تتحول إلى مقبس الحائط لشحن البطارية، ثم سحبت كراسة ضخمة من التعليمات.

- «يا للعجب!»، قالت، «هذا سيستغرق سنة لقراءته وفهمه»، ثم جلست على كرسي مريح لين وبيني في حضنها، وبدأت القراءة، وأنا بدأت الانتظار، وأنتظر، وأنتظر. وأخيرًا، عندما أدركت أنني سوف أنفجر، عندها بالضبط تحركت بالكرسي الكهربائي نحو الطاولة حيث الجهاز، فقد رأيت الأطفال في ملعب المدرسة يلعبون ألعاب الفيديو التي لم يسبق لهم أن رأوا مثيلًا لها من قبل، ورأيتهم يبرمجون هواتفهم النقالة، وأجهزة الحاسوب من دون أن يلمسوا كتاب تعليمات وإرشادات، ولذلك فقد استخدمت إبهام اليد اليمنى، ونقرت على زر التشغيل؛ فأَنَّ الجهاز قليلًا ثم أضاءت الشاشة، لتظهر رسالة ترحيب على الشاشة، فنقرت على زر آخر، وإذا بصوت يبدو وكأنه لإنكليزي مصاب بنزلة برد حقًا يقول:

- «مرحبا بكم في ميديا-توكر!».

قفزت السيدة V من الأريكة، وأنا أصرخ بفرح، وقالت:

- «يبدو أنك تسبقينني يا ميلودي، ولستُ متعجبةً من ذلك».

رفعت بيني من حضنها ووضعتها على الأرض.

«الآن دعونا نرى ما بوسع هذا الجهاز أن يفعل!».

شعرت أنني كريستوفر كولومبوس يكتشف أمريكا، وقد كانت موجودة هناك منذ قديم الزمان، لكنه كان أول واحد من عالمه يعثر عليها. أكانت دقات قلبه أسرع من دقات قلبي أنا؟

سرعان ما اكتشفنا أن لميدي المتكلم أكثر من عشرة مستويات، كلها يمكن الوصول إليها بسهولة، بنقرة زر واحد فقط، وهكذا ففي المستوى الأول نبرمج أسماء جميع من أعرفهم؛ اسمي، واسم جميع أفراد أسرتي، والأطفال والمعلمين في المدرسة، والأطباء، والجيران، وأصدقاء والديَّ، وبطبيعة الحال: السيدة V. وعلى المستوى الثاني أصرت السيدة أن نضيف كل المفردات والكلمات التي كنا نجمعها على موقعنا متعدد الألوان وبطاقات الفلاش التي لا تتعدى مساحتها ثلاث بوصات بخمس. وهي تطبع وتحفظ، تطبع وتحفظ.

كانت أصابع السيدة V تطير وهي تحتفظ وتطبع، وتضيف الكلمات لي. كثير من مفرداتنا موجودة بالفعل في ذاكرة الجهاز، لكنها تعطيني أكثر، وأكثر، وأكثر؛ الأسماء، والأفعال، والأحوال، والصفات؛ آلافٌ منها، وكذلك صانع الجُمل الذي يقع في مستوى آخر، فيمكننا أن نعد المئات من العبارات والجمل، ونحصل عليها بلمسة فقط: **هل سمعت آخر أغنية لهم؟ هذا كل ما في الأمر! كيف فعلت في اختبار الإملاء؟** والكلمات العادية، والمحادثة العادية، لم يكن باستطاعتي ذلك قطُّ.

رائع! وثمة مستوى آخر للأرقام، وحتى للحساب، وسوف أكون قادرة على إنجاز عمليات الرياضيات الآن، ولعلي لن أخبر معلماتي عن ذلك. وهناك مستوى كامل من النكات المبتذلة والأقوال السخيفة، مع مساحة تُركت لنا لإضافة مزيد، وثمة كذلك مرحلة أخرى لتشغيل الموسيقى! ويمكنني وصل الجهاز بجهاز حاسوب، وتحميل أي أغنية أريدها، لا أستطيع الانتظار للبحث عن موقع الموسيقى. ربما أستطيع أن أطلب من روز بعض الأغاني. روز! أستطيع التحدث الآن إلى روز!

توقفنا عن البرمجة بعد حين؛ بسبب ضرورة تبديل ملابس بيني، وحتى تظل منشغلة عنا، ولكني كنت متحمسة كثيرًا بحيث لم أفكر في الراحة، وهكذا بعد أن فرغت السيدة V من احتياجات بيني التي انشغلت بدميتها عند طرف الأريكة، أضفنا مزيدًا من الكلمات والعبارات، ثم توقفت أخيرًا عن الطباعة قائلة:

- «هل ترغبين في محاولة التجريب بنفسك؟».

كانت الغرفة هادئة تمامًا، نقرت على حافة الآلة بهدوء، ثم نقرت اثنين من الأزرار: «شكرًا، سيدة V»، قال صوت الحاسوب، إنه يومض بسرعة حقيقية. بحثت السيدة V عن محرمة ورقية لتمسح دموعها وكنت أنا أيضًا بحاجة إلى محرمة أخرى. وضعت السيدة V المحرمة في جيبها، ثم بدأت القراءة مرة أخرى من دليل التعليمات:

- «استمعي لهذا!»، وقالت لي: «بهذا الحبل الموصل يمكنك أيضًا حفظ الأشياء الطويلة التي كنت تريدين أن تكتبيها؛ مثل القصص أو القصائد على الحاسوب!».

- «يا للروعة»، قال الجهاز، وأومأت السيدة V بالموافقة.

- «هذه ستكون متعة، ولكنك ستحتاجين إلى كثير من الممارسة لجعله يقول ما تريدينه، يا طفلتي»، وقد كانت على حق.

تُركت مستويات عديدة فارغة للمستخدمين لإدخال معلوماتهم الخاصة؛ من كلمات، وجمل، وأرقام هواتفهم، وحتى الصور، ويمكنك أن تكتب المعلومات مباشرة في الجهاز، أو يمكن تحميلها من جهاز الحاسوب. إنه ساحق.

- «يمكننا تصميم هذا ليصلح لك يا ميلودي»، قالت السيدة V، وأردفت: «سيكون هذا عالمك الذي تعيشين فيه، لذلك دعينا نتريث ولا نتعجل، حتى نضبط ما تحتاجينه».

أنا سعيدة كثيرًا، وأشعر تقريبًا وكأنني أود معانقة الجهاز، ولكن ذلك يبدو سخيفًا، وبدلًا من ذلك فأنا أود تسميته، وهذه فكرة ربما تكون غبية جدًّا، ولكنك في بعض الأحيان من الجيد أن يكون لديك شيء لا أحد غيرك يعرفه، ولكن لن أكتب الاسم في الجهاز، فتلك معلومة شخصية، ولكن في ذهني أنا سوف أسميه (ألفيرا)، فأنا أحب تلك الأغنية. نعم، قلبي على النار لألفيرا!

بينما كانت السيدة V تلعب مع بيني، كنت ما زلت أريد استكشاف ما يمكنك القيام به يا ألفيرا. أحد التغييرات الأولى التي أريد أن أجريها هي الرسالة الترحيبية، والصوت الذي يتحدث ذلك. التحية المنتجة للحاسوب تبدو حقًّا وهمية، ولكن الجهاز يقدم عديدًا من الأصوات النسائية للاختيار من بينها، فضلًا عن مجموعة من اللغات المختلفة، وقد اخترت صوتًا يسمى (تريش)، ويبدو في الواقع مثل فتاة، ليست كبيرة، وأنا لا أمانع أن يكون صوتي مثل صوتها لو كان بإمكاني التحدث. (بيوفِني Bienvenue)، تقول تريش باللغة الفرنسية، وأنا أعلم أنها تعني (مرحبًا بكم)، وإذا نقرت على الزر للألمانية تقول: (فلكومِن Willkommen)، بل إنني عثرت على شيء يبدو وكأنه (فون يِنغ) عندما لمست زرًّا للغة الصينية؛ توقفت هنيهة وحدقت في اللوحة؛ لم

يخطر لي أنه يوجد أطفال مثلي في ألمانيا والصين وفرنسا يحتاجون إلى آلة لمساعدتهم على الكلام.

عادت السيدة V لتساعدني على تغيير رسالة الترحيب الأصلية من طريقة النطق الآلية جدًّا: «مرحبًا بكم في ميديا - توكر»، إلى صوت يقول: «مرحبًا! أنا ميلودي، تحدث معي!»، ليس بوسعي الصبر لأخذه إلى المدرسة وتقديمه بصفته حاسوبًا جديدًا لي للجميع هناك، وأتساءل ماذا ستقول روز؟

بعد أن اتصل كلٌّ من أمي وأبي ليطَّلعا على ما نفعله، وكم من التقدم الذي حققناه، باتا كلاهما على حد سواء حريصين على الوصول إلى هنا ورؤية الجهاز. وبينما كنا ننتظر وصولهما اقترحت السيدة V أن نبقى فقط على برمجة الجهاز، مضيفين إليه أكثر وأكثر، فهي تعتقد أنني يجب أن أستخدمه أسبوعين قبل نقله إلى المدرسة، ولكني لا أريد حقًّا أن أنتظر، غيرَ أنني أوافقها على أن هذا سيستغرق بعض الوقت. أريد أن أكون قادرة على استخدام النظام للتحدث مثل الأطفال العاديين، نوعًا ما؛ ولذلك علينا أن نعود إلى الكلمات؛ أريد أن أُدخل آلاف المدخلات منها: **مفكرة. علامة. واجب منزلي. مهمة. اختبار. إيجابي. سلبي. ظفر. طلاء الأظافر. ملابس. على ظهره. محفظة. خائفة. منفعلة. أرجواني.** ثم نكتب مزيدًا من العبارات، المئات منها: **إلى المركز التجاري، من مسافة بعيدة، في منتصف، ونتيجة لذلك، السبب.** وأخيرًا، نصل إلى بعض الجمل، العشرات منها: **كم الساعة؟ ما الجديد في ذلك؟ أنت حطمتني. أنا متشوقة جدًا. قبل دق جرس الباب.**

عندما جاء أبي وأمي لأخذنا أنا وبيني، كان أبي مجهزًا كاميرة الفيديو، ويداه تهتزان قليلًا. - «أرينا كيف يعمل، يا حبيبتي»، قال. لا أكاد أستطيع تصديق أن أبي يسجل على شريط فيديو لي أول الكلمات، إنه تقريبًا مثلما كان

يصور جيدًا كلمات بيني الأولى؛ حسنًا، هي ليست كلماتي حقًّا. وبدأت أكتب بعناية فائقة، وأضغط على الزر لجعل الجهاز يتكلم:

- «مرحبًا أبي. مرحبًا أمي. أنا سعيدة جدًّا»، فانهمرت الدموع من عيني أمي، واحمر أنفها، ونظرت إلى وجهي كله بحنان ورقة. عندما أفكر في ذلك أدرك أنني لم أقل كلمة واحدة في حياتي مباشرة لوالديَّ قط، ولذلك نقرت على الأزرار، والآلة تتحدث بالكلمات التي لم أكن قادرة على نطقها: «أحبكم»، عندها فقدت أمي تمامًا سيطرتها على نفسها، وامتلأت عيناها بالدموع، وحضنت أبي الذي -أعتقد- ذرف هو أيضًا دمعتين، لكنه كان يسجل كل شيء.

■ ■ ■

الفصل السادس عشر

انتظرت إلى ما بعد العطلة لاصطحاب الآلة إلى المدرسة، وكنت قد تمرنت عليها مع السيدة V كل يوم من عطلة عيد الميلاد؛ تعلمت كيفية نقر الأزرار الصحيحة، وكيفية التبديل بسلاسة من مستوى إلى آخر، وكيفية وضع البدائل. وتعلمت كيف أقول الاختصارات بوضع فاصلة فوقية تشير للحرف الذي نحذفه عند الاختصار. كان ذلك صعبًا بالنسبة إلي، وظللت أخطئ، ولكن السيدة V لم تسمح لي بالإقلاع عن التمرين، وأنا لم أكن أريد ذلك.

وهكذا؛ في أول يوم إثنين من المدرسة، أصبح ألفيرا نجم ذلك اليوم، وهو ما جعلني مركز الاهتمام، لكن هذه المرة لا لشيء محرج فعلته؛ مثل رمي أو إراقة طعامي، ولكن لشيء رائع حقًّا بدلًا من ذلك. شيء لا يصدق! يبدو أن المعلمين أيضًا معجبون:

- «انظر أيها العالم!»، تعلن السيدة شانون عندما تراني في الردهة، «ميلودي مستعدة لتهزكم جميعًا!». فأبتسم، وأنقر على زر واحد، فتنبعث أغنية من أحدث الأغاني الشبابية.

- «يا فتاة، لقد فعلتِها حقًّا! لقد وضعت عليه الموسيقى وكل شيء!»، قالت ذلك السيدة شانون وهي تبدأ بالترنح أسفل القاعة على إيقاع الموسيقى الخاصة بي، وكان ينتابني الفرح.

أما في الغرفة H-5، فقد ظلت ماريا ملتصقة بي كل صباح.

- «يا له من شيء رائع»، ظلت تكرر دائمًا. «شيء رائع. هل يمكنني أن ألعب؟»، إنها تريد أن تلمس الأضواء المتوهجة والأزرار اللامعة، ولكن خطوات السيدة شانون تصرفها عن ذلك نحو لعبة حاسوب جديدة محملة على آلة الفصول الدراسية.

عندما جاءت كاثرين، قبل قرع جرس حصة فنون اللغة، كنت مستعدة لها؛ كانت ترتدي قميصًا أخضر منقوشًا، وتنورة زرقاء، وجوارب الركبة البرتقالية. خططت لأول شيء أريد أن أقوله لها، لذلك فقد برمجت ذلك أنا والسيدة V في وقت مبكر؛ فصرت أنقرُ الزر وأبتسم:

- «دعينا نذهب للتسوق»، فصاحت كاثرين، ثم ضحكت بشدة، حتى لا تكاد تستطيع التقاط أنفاسها، وركضت نحوي وعانقتني.

- «أنا سعيدة للغاية بك يا ميلودي! أنت حقًّا تحتاجين هذا! وبالتأكيد سيأتي يوم تعلمينني فيه كيف أختار الأزياء».

- «لا بد أن نسرع»، كتبتُ في الجهاز، وكان مزاجي في أحسن حال، فقالت كاثرين معلنة وهي لا تزال تضحك:

- «أنت فتاة رائعة القلب!»، وأضافت: «لكن في الوقت الحالي دعينا ندخل حصص الدمج الخاصة بك ليروا هذا الجهاز الجديد الرائع!»، فارتعدت من الشوق. عندما توغلت في فصل الآنسة جوردون، كالعادة، لم يلتفت أحد إليَّ، باستثناء روز التي أومضت لي بابتسامة، ولكنني بعد ذلك رفعت مستوى الصوت عاليًا، ونقرت على الزر:

- «مرحبًا بالجميع، لدي حاسوب جديد»، فاستدارت الرؤوس والأصوات تتهامس، وسمعت أحدها يقول:

- «إنهم يصنعون أجهزة حاسوب للحاجات الخاصة؟».

- «تلك تتكلم؟ حاسوبي لا يفعل ذلك».

- «أنت لست بحاجة إلى أن يتكلم جهازك!».

- «يبدو غريبًا».

«وكذلك أنت».

- «ما الذي يمكنها أن تقوله على أي حال؟».

لكن كونور قفز، بشعره الأشعث الأشقر الذي يغطي عينيه، وقال بصوت عال:

- «هذا رائع يا ميلودي!»، ولأنه واحد من الأطفال الذين يحظون بالشعبية، وربما أكبر وأطول طفل في الصف الخامس، أعتقد، لأنه أعرب عن استحسانه فقد قرر بقية الطلاب التزام الصمت.

حسنًا، لنقل معظمهم. كلير التي كانت أول طالبة في الصف تحصل على حاسوب محمول خاص بها، وتحرص على أن يعرف الجميع عندما تحصلت أيضًا على هاتف ذكي، وقفت وقالت بغطرسة:

- «شكل هذا الحاسوب مضحك! ولكن أظن أنه مثالي لطفلة مثلك». قالت ذلك وتبادلت النظرات مع مولي. أقسم أنهم يعتقدون أنني عمياء. الآنسة جوردون التي يبدو أنها كانت تريد عصرها مثلما تعصر أنبوب معجون الأسنان الفارغ قالت لها:

- «كلير، أنا لا أسمح بالوقاحة في فصلي، اجلسي بصمت!».

لكن حتى كلير لا يمكنها أن تعكر مزاجي، فنقرت على زر آخر لقول جملة كنت أنا والسيدة V قد أعددناها في وقت مبكر، كنت -بطريقة ما- أعرف أنني سوف أكون بحاجة إليها! لتقول الآلة:

- «أنا أتحدث إلى الجميع الآن؛ ومن بينهم كلير، أيضًا!»، فرأيتها تتجهم، ولكن الجميع كان يضحك.

كان الجميع يريدون أن يلمسوا الجهاز، أو ينقروا على زر من أزراره، أو محاولة تشغيله، ولكن كاثرين كانت تحاول أن تبقيهم بعيدًا عنه، وتتيح لي كل هذا العرض له. ذهبت إلى المستوى الأخضر؛ ألا وهو النكات. أسمعتهم نكتة، فضحك الجميع معي على نكتة سخيفة. حتى على الرغم من أن ذراعي وساقي ارتختا، فقد سال لعابي قليلًا وأنا أضحك، وهذه هي المرة الأولى في حياتي التي أشعر بها أنني جزء من المجموعة، حتى إني تمنيت لو تمكنت من نقر زر الحفظ؛ حتى أتمكن من استعادة هذه اللحظة مرارًا وتكرارًا وتكرارًا.

في الجزء الخاص بالطباعة كتبت «اليوم هو الإثنين، والجو بارد»، ثم دفعت الزر الأزرق على الجهاز، الذي صوَّت قليلًا، ومثل لسان يخرج، اندلعت ورقة رقيقة مطبوعة من جانب الجهاز، مكتوبًا عليها الكلمات التي كتبتها للتو.

- «واو!» قال رودني، بطولة لعبة الفيديو في الفصل «له طابعة! هذا جميل جدًّا!».

أومأت لي الآنسة جوردون بالتشجيع، في حين كانت كاثرين تمرر الورقة المطبوعة في جميع أنحاء الصف؛ حتى يستطيع الجميع قراءة كلماتي، ثم قالت مخاطبة الفصل:

- «الميديا-توكر جهاز حاسوب يجمع بين قدرات عدة؛ فهو مشغل للموسيقى، وجهاز نطق، ويحتوي على تكنولوجيا متطورة جدًّا، وهو مصمم

لموسيقى الروك، وليمكنها ويمكنكم من التواصل مع عالمها، ويوصلكم إليه. تمهلوا واستمعوا إلى ما لديها لتقوله».

رفعت كلير يدها، فقالت الآنسة جوردون بنظرة الإنذار في عينيها:

- «نعم، كلير».

- «أنا لا أسعى إلى أن أكون وضيعة، بصدق، ولكنه لم يخطر لي أن ميلودي كانت لديها أفكار في رأسها».

هز اثنان من الأطفال الآخرين رأسيهما قليلًا، فلم ترفع الآنسة جوردون صوتها، وبدلًا من ذلك كانت ردة فعلها مدروسة، فقالت مخاطبة الجميع:

- «لقد كنت دائمًا قادرة على قول كل ما مر في عقلك، يا كلير، وفي عقولكم جميعًا، لكن ميلودي اضطرت أن تبقى صامتة، وربما لديها جبال من الأشياء لتقولها».

- «نعم حقًا. نعم حقًا. نعم» جعلت الجهاز يقول، ومنحت الآنسة جوردون ابتسامة شكر، ثم جعلت رودني وكونور يشاهدان لعبة الفيديو التي جاءت مرفقة بالجهاز المتكلم، وكنت أشك أنه سيكون بإمكاني التسريع بما فيه الكفاية لتشغيل لعبة جنود الفضاء، ولكن من الجميل أن يعرفوا أنها موجودة في الجهاز. وربما يستطيع رودني إتقانها في يوم ما.

تفحصت الآنسة جوردون مختلف المستويات، وبدت معجبة بالجهاز.

- «يا لها من مفردات ضخمة لديك الآن يا ميلودي!»، قالت لي، «أنا أعلم أنك تشعرين وكأن طنًا من الطوب قد زال عن كاهلك»، فأومأتُ برأسي موافقة، «هذا رائع»، قالت الآلة بصوت عال. شعرت بوجهي يزداد سخونة وأنا أسمع كلير ومولي تهمهمان، ولكن روز اقتربت من مقعدي.

- «هذا رهيب جدًا يا ميلودي»، قالت بهدوء، وتركتها تلمس المفاتيح.

- «أوه، نعم»، أجبتها، ثم نظرت في وجهها.

- «أصدقاء؟» كتبت لها، فأجابت دون تردد:

- «نعم أصدقاء!»، فكتبت:

- «سعيدة»، ثم توترتُ، وكنت آمل ألا أفعل أي شيء غبي؛ كضرب شيء نتيجة الإثارة، وكانت روز تبحث باهتمام في وجهي.

- «لا أستطيع أن أتخيل ما هو شعوري لو أنني مثلك؛ كل كلامي عالق بداخلي»، قالت أخيرًا.

- «هذا مؤلم!»، كتبتُ، فقالت روز:

- «أنا أشاركك الشعور، أحس بك!».

■ ■ ■

الفصل السابع عشر

تعودت على استخدام ألفيرا طوال الشهر الماضي، وكانت الحياة في المدرسة غالبًا لطيفة، في معظمها؛ فأنا أستطيع أن أسأل كونور عن برنامج تلفازي في الليلة الماضية، أو أن أخبر جيسيكا أنني أحببت حذاءها الجديد.

كان الثلج يتساقط -دفقات فقط- كل يوم تقريبًا، وفي وقت متأخر من أحد أيام يناير، بعد الظهر كتبت: «آمل أن يكون لدينا يوم عطلة مدرسية للثلوج»، ووافق الجميع على ذلك. كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها باسم الصف. صرت أستطيع الإجابة عن الأسئلة أفضل بكثير بمساعدة ألفيرا، وللمرة الأولى بدلًا من الدرجات (الظاهرية) التي من شأن المعلمين إعطائي إياها لأنهم لم يكونوا متأكدين تمامًا من معرفتي الإجابة أم لا، بدأت أحصل على درجات حقيقية، مسجلة في دفاتر درجات المعلمين التي تستند إلى الإجابات الفعلية التي أعطيتها، مطبوعة ومستوفية كل شيء!

لكنني بقيت أجلس وحدي في وقت الاستراحة؛ فالبرد شديد في الخارج، ولا أحد يخرج، لذلك كنا نجلس في الزاوية البعيدة من المقصف المدفأ جيدًا حتى يحين الوقت للعودة إلى الصف. لم تكن أي من الفتيات تحكي لي بعض الأشياء السخيفة التي تفوه بها صبي من الصبيان، ولا أحد يعدني بالاتصال بي بعد المدرسة، لا أحد يطلب مني الحضور إلى حفلة عيد ميلاد أو لقضاء ليلة عنده، ولا حتى روز.

بالتأكيد، كانت تتوقف وتدردش معي دقيقة أو اثنتين، ولكنها كانت تستجيب فورًا لجانيس أو بولا عندما تدعوانها للاطلاع على صورة على الهاتف الخلوي، فتقول روز:

- «سأعود لك مرة أخرى!»، ثم تنصرف بعيدًا كما لو أنها سعيدة لقطعها الدردشة معي، فلا يبدر مني سوى ابتسامة، آملة ألَّا يكون لعابي قد سال من فمي، ومدعية أنني لم ألاحظ شيئًا، وبعد بضع دقائق من التظاهر، أدفع زرًّا للجملة (العودة إلى H-5) ، ثم نتوجه أنا وكاثرين عائدتين عبر الممر.

بعد ظهر أحد الأيام قريبًا من نهاية يناير، أعلن الأستاذ ديمنغ، بصوته الذي بدا وكأنه كان يمضغ خبزة محمصة جافة:

- «بدلًا من الحصة العادية اليوم سوف يكون لدينا تمرين على مسابقة فريق الأطفال الأذكياء»، فابتهج الجميع لأنه -خلاف ذلك- سنحضر درسًا في الصحراء الكبرى، ونتكلم عن الحرارة والجفاف!

في كل عام ترسل مدرستنا فريقًا إلى مسابقة الأطفال الأذكياء، وكانت الجولات المحلية مع فِرَق من المدارس الابتدائية في جميع أنحاء المدينة والمحافظة، تعقد في فندق في وسط المدينة. وفي العام الماضي حصلت مدرستنا على المركز الثاني في المنطقة كلها، وكانت مديرة المدرسة فخورة جدًّا، فاشترت البيتزا للمدرسة بأكملها، على الرغم من أن الفريق كان فقط للصفوف الرابع، والخامس، والسادس، أما الفِرَق الفائزة بالمركز الأول من مختلف أنحاء الولاية فيذهبون إلى واشنطن العاصمة، للمشاركة في المسابقة الوطنية، وهي مسابقة متلفزة، وتعدُّ في الحقيقة مهمة جدًّا.

قرّبت روز درجها من درجي، وقالت:

- «كنت من ضمن فريق مسابقة الأطفال في العام الماضي»، فكتبت لها:

- «أعرفُ»، وأضفت: «أنت ذكية»، فاقتربت مني أكثر.

- «من المحتمل أن يشارك كونور أيضًا للمرة الثانية، ومع أن من الصعب قليلًا التعامل معه، فإنه عظيم في التوافه».

ألقيت نظرة على كونور الذي كان يتحدث لأصدقائه عن مسابقة العام الماضي:

- «عليكم أن تروا الغرفة في الفندق حيث تعقد المسابقة؛ الثريات الذهبية! مظاهر الثراء في كل مكان! والأطفال من الأماكن كلها أذكياء، لكننا فزنا عليهم جميعًا!».

- «جميعهم ما عدا فريقًا واحدًا، أيها المتبجح»، صاح رودني، «لقد مزقوكم إربًا إربًا!» فصاح الصف.

«صحيح، ولكن هذا العام نحن سنفوز! صحيح، سيد ديمنغ؟»، فقال الأستاذ ديمنغ: -«سنحاول بالتأكيد يا كونور، لقد تغيرت قواعد المسابقة قليلًا؛ لذلك فإن فريقنا سوف يكون هذا العام فقط من الصف الخامس والصف السادس، وهذا يعطينا قوة لأن بعضًا منكم تنافس العام الماضي. والآن دعونا نرى مدى مهارتنا؛ دعونا نضع مجموعة من الأسئلة، عينة فقط من أجل المتعة، هل نبدأ؟».

- «هل هناك جوائز» سأل رودني.

- «لا تمنح جوائز في المسابقات كلها، يا رودني»، أجاب الأستاذ ديمنغ.

- «أجل، ولكن سيكون هذا أكثر متعة مع الأشياء الجيدة في النهاية»، أضاف كونور، «من فضلك؟».

- «حسنًا حسنًا! أحدهم سحق قليلًا من إصبع الحلوى بالزبدة من حقيبة غدائي»، قال المعلم وهو يمسك بالقطعة عاليًا، فضحك الجميع مرة أخرى.

- «الشوكولاتة تسبب لك البثور»، قالت روز لتغيظ كونور، «أنا لا أريد حلوى، أريد الفوز!».

عادت روز بدرجها عائدة إلى مكانها السابق بعيدًا عني، وجلست كاثرين على الجانب الآخر من الكرسي الكهربائي.

- «هل تريدين المشاركة في التمرين معهم؟» سألتني.

- «نعم حقًا! نعم حقًا! نعم!»، كتبتُ. «الإجابات: A، B، C، D. سهلة»، فابتسمَت ابتسامةً عريضة، «حسنًا، الموضوع سهل! دعونا نرى ما سيحدث!». تنحنح الأستاذ ديمنغ وابتسم، «مسابقة الأطفال هي أفضل حدث في هذا العام»، قالها المعلم معترفًا.

- «دعونا نرى هل نستطيع الذهاب للمسابقة هذا العام!»، فصفّق الصف.

- «سوف أقرأ الأسئلة أولًا، ثم الخيارات للإجابات، وسوف تكتبون الحرف الصحيح، هل فهم الجميع؟».

رفع كونور يده، ثم تكلم حتى قبل أن يلاحظه الأستاذ ديمنغ:

- «لا تعطِنا أسئلة سهلة يا سيد ديمنغ، فلدي عقل من الفولاذ!». - «رقم واحد»، بدأ المعلم، «أي كوكب هو الأقرب إلى الشمس؟

A. فينوس

B. الأرض

C. عطارد

D. المريخ

E. كوكب المشتري».

- «أسئلة أطفال رضع!»، احتج كونور.

- «من فضلك الصمت كونور»، قال الأستاذ ديمنغ بقوة. سكت كونور في نهاية المطاف، أما أنا فنقرت على حرف C على الجهاز الخاص بي، وانتظرت السؤال التالي:

- «رقم اثنان»، وتابع الأستاذ ديمنغ: «كم عدد جوانب سباعي الأضلاع؟

A. أربعة

B. ستة

C. سبعة

D. ثمانية

E. تسعة».

فكتبت الحرف C مرة أخرى، سيكون الحرف نفسه C مكررًا مرتين متتاليتين؟ لِمَ لا؟ كنت أعرف أنني على صواب.

«سؤال رقم ثلاثة»، قال الأستاذ ديمنغ، «كم مدة ولاية ممثل الولايات المتحدة؟

A. سنة واحدة

B. سنتان

C. ثلاث سنوات

D. أربع سنوات

E. ست سنوات».

هممم، هذا السؤال خادع؛ ويبدو مثل السياسيين أنفسهم في نشرات الأخبار في كل وقت، ولكن جوابي كتبته B.

أعطانا الأستاذ ديمنغ خمسين سؤالًا شملت كل شيء، عدة منها كانت مسائل في الرياضيات، وأخرى في العلوم والقواعد، وكان السؤال الأخير حول الجغرافيا: «في أي ولاية سوف يوجد جراند كانيون أو الأخدود العظيم؟» سألنا.

A. كاليفورنيا

B. أريزونا

C. ولاية جنوب داكوتا

D. نيو مكسيكو

E. يوتا.

لم أزر المكان، ولكنني رأيت العروض الخاصة على قناة السفر، وأنا متأكدة تقريبًا؛ إنه في ولاية أريزونا، فكتبت الحرف B، ونقرت على زر الطباعة. أخذت كاثرين ورقتي لمكتب المعلم.

- «هل شاركت ميلودي؟»، سأل الأستاذ ديمنغ وهو يأخذ النسخة المطبوعة. كان يحملق فيّ وفي الورقة التي في يده.

«هذا جميل!»، ولكن لم يعجبني صوته، ثم شرع يصحح الأوراق ونحن نشاهد فيلمًا حول الأهرامات في مصر، ولم أتمالك نفسي من النظر إليه خلسة.

أخيرًا، أخذ الأستاذ ديمنغ ينظر إلينا من خلال نظارته المثبتة بخيط ملتف حول رأسه، ثم قال:

- «نتائج موفقة، هذه ليست اختبارات رسمية، ولكن الطلاب الذين حصلوا على درجات عالية جدًّا اليوم هم: بولا، كلير، روز، وكونور». قفز كونور من مقعده وصاح مبتهجًا: -«كنت اعلم ذلك! أنا بطل! أنا رجل حاذق! يا ليمي

أمسكي لي قطعة الحلوى تلك!»، ثم أخذ يشق طريقه في الممر حيث وضعت تلك القطعة من الحلوى.

- «اجلس يا كونور!»، قال المعلم مع شيء من السخط، «لقد أجبت جيدًا، ولكنك لن تحصل على الحلوى».

- «من سبقني؟»، بدا كونور دهِشًا، «روز؟ حسنًا، سوف أنتصر عليها في الاختبارات الحقيقية».

نظرتُ أنا إلى روز، فابتسمت في وجهي ونظرة تحسُّبٍ على وجهها. صمت و الأستاذ ديمنغ للحظة، ثم حك رأسه، وأخيرًا قال بعد أن مسح رقبته:

- «إن الفائز في مسابقة اليوم....، الفائز بقطعة الحلوى... هو....، مع درجة نهائية **كاملة**، هو...»، وتوقف مرة أخرى، وهز رأسه، وبدأ من جديد مرة ثانية: «إن الشخص الوحيد في الفصل الذي حصل على إجابة صحيحة لكل سؤال هو... ميلودي بروكس».

هدوء تام، لا هتافات، ونظرات من عدم التصديق.

«ليس من العدل!» بادرت مولي بغضب، «لدى ميلودي مساعدة توشوشها بالإجابات!».

- «إنها تغششها!» أضافت كلير بصوت عال، فقفزت كاثرين من كرسيها واقتحمت الطريق إلى حيث كلير ومولي تجلسان. كان حذاؤها الجلدي الأسود يضغط بشدة على أرضية غرفة الصف.

- «أنا لم أساعدها! ألم يخطر ببالك مرة واحدة أن لها قدراتها وذكاءها الخاص؟».

- «إنها لا تستطيع حتى الجلوس بنفسها!»، أجابت كلير، بتعبير مشاكس.

- «أيًّا كانت صورة جسمك فلا علاقة لها بكيفية عمل دماغك! عليك أن تعرفي ذلك من خلال النظر في المرآة!»، قالت كاثرين، فقال كونور معلقًا على كلير:

- «أوه! لقد هزمتك!»، فضحك بعضهم لتعليقه، ولكن معظم الأطفال كانوا ينظرون حولهم بقلق، ولم ينظر أحد إليَّ.

لم تقل كلير شيئًا للرد على كاثرين، وأعتقد أن مولي قررت أن تسكت كذلك، وعادت كاثرين إلى حيث كنت أجلس، ولكن كل ذلك جعلني راغبة بالزحف تحت الطاولة والاختفاء.

رفع الأستاذ ديمنغ يده للصف ليحافظ على الهدوء بالصمت، ثم قال:

- «يا ميلودي، أرجوك أن تتقدمي للحصول على قطعة الحلوى»، «أنا فخور جدًّا بك وبجهودك اليوم، وزملاؤك كذلك، دعونا جميعًا نقدم لميلودي التحية بجولة من التصفيق!»، فصفق لي الجميع -ربما باستثناء مولي وكلير- وأنا أتقدم ببطء إلى واجهة الغرفة؛ كان صوت مقعدي يهدر بهدوء، ربما يكونون قد سمعوه، لكنهم لم يتمكنوا من سماع خفقات قلبي.

أدركت أن المعلم قدم لي الحلوى لإسكات كلير ومولي، وليجعلني أشعر بالارتياح؛ لأنني حصلت بطريق المصادفة على جميع الإجابات الصحيحة للأسئلة، ولكنها لم تكن مصادفة؛ فقد كنت أعرف إجابة كل سؤال منها واحدًا واحدًا.

وضع الأستاذ ديمنغ الحلوى على صينية مقعدي، وهذا جيد لأنه على الأقل لا يجعلني أخاف من إسقاطه أمام الجميع، ثم عدت إلى مكاني مطأطئة الرأس، وهمست كاثرين لي:

- «أنا فخورة جدًّا بك! ويجب أن تكوني كذلك أيضًا!»، رافعة يدها إلى فوق من أجل أن نضرب كفًّا بكف، لكنني لم أتحرك، وكتبت لها: (لا)، فسألت:

- «لِمَ لا؟ يمكنك الفوز عليهم جميعًا».

استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا جدًّا، ولكنني كتبت:

- «إنهم يعتقدون أن ذهني تالف مثل بقية جسمي»، وشعرت برغبة في البكاء، فقالت كاثرين:

- «إذن علينا فقط أن ندرس لنثبت لهم أنهم على خطأ!»، وفي صوتها نبرة تحدٍّ.

- «لماذا؟» سألتُ.

- «ليمكنك أن تكوني في فريق المسابقة»، قالت لي.

- «هذا لن يحدث»، طبعتُ، وقبل أن تجيبني كاثرين، أعلن الأستاذ ديمنغ أن الاختبارات الرسمية لفريق المسابقة ستعقد في غضون أسبوع واحد:

- «كثيرون منكم سجلوا علامات جيدة جدًّا في هذه الجولة التجريبية»، وقال: «لكن تذكروا أنه سيكون لديكم للتنافس طلاب الصف السادس، فضلًا عن منافسة حقيقية. اذهبوا إلى بيوتكم لتذاكروا جيدًا، والأفضل هم من سيُختارون».

- «مثلي؟» صاح كونور، فرد عليه الأستاذ ديمنغ:

- «إذا كنت مؤهلًا، سآخذ الفريق الفائز إلى واشنطن العاصمة هذا العام، هل أنتم معي؟».

- «نعم!»، صاح الجميع.

أدهشني أنهم يتحمسون للدراسة لأي شيء، لكنه يقودهم مثل مدرب فريق كرة القدم.

- «هل أنتم مستعدون للدراسة ليمكنكم أن تظهروا على شاشة التلفاز؟»

- «آه. أجل!».

- «ستشتري لنا بذلة جديدة إذا كنا نحن الغالبين»، بادره كونور بها. فضحك الأستاذ ديمنغ فعلًا، وأضاف:

- «هذا وعد؛ بذلة جديدة -ربما زرقاء- مع سترة من الساتان الأحمر»، فضج الصف بالضحك والتصفيق.

- «ثم دعونا نبذل قصارى جهدنا»، قال الأستاذ ديمنغ، «وسوف أبتكرُ أسئلة صعبة؛ حتى يتسنى لنا الاستعداد التام هذا العام».

- «حسنًا، إنه يبدأ حقًّا بالمفردات الصعبة»، سمعت مولي تهمس لكلير.

- «أسئلة صعبة؟»، قال كونور بتذمر.

- «انظر إلى الأمر بهذه الطريقة»، قال الأستاذ ديمنغ مخاطبًا كونور.

- «إذا تمكنت ميلودي بروكس من الفوز في الجولة الأولى، فهذا يعني أن أسئلتي لم تكن صعبة بما فيه الكفاية! ونحن كلنا سوف نتسابق للفوز في المنافسة!»، فصاح الجميع مبتهجين، إلا أنا.

■ ■ ■

الفصل الثامن عشر

بعد المدرسة في ذلك اليوم كنت غاضبة ولئيمة؛ السيدة V أعدت كومة جديدة من بطاقات الكلمات لي، وبيني كانت ترتدي واحدة من قبعاتها، وتبدو مثيرة للسخرية. بالإضافة إلى ذلك، بقيت تغني بعضًا من أغنية غبية للأطفال بأعلى صوتها. سحبت ذراعي وأسقطت كومة كاملة من البطاقات فتبعثرت على الأرض.

«من وضع الملح في شرابك يا ملكة؟». سألت السيدة فيوليت دون أن تلتقط البطاقات عن الأرض. توقفت بيني عن الغناء ووقفت ترمقني بعينيها، أطفأت الجهاز المتكلم وحدقت بعيدًا في اللاشيء.

- «حسنًا، لتظلين على هذا الحال، ولكنك سوف تلمين كل واحدة من هذه البطاقات!». عضضت شفتي وحدقت في الحائط. اقتربت بيني مني وهزت ذراعي، فسحبت ذراعي فلم تكترث وبدأت الغناء مرة أخرى:

- «سعيدة، سعيدة، سعيدة، صفقي بقدميك، سعيدة، هابي، سابي، بابي. اضربي أنفك، بيدي. بودي، باودي، اقفزي ونطي». ثم قفزتوداست قدمها، ثم غنت الأغنية مرة أخرى ومرة ثالثة. كنت حقًّا متوترة، وتمنيت لو أنها تسكت! فهي تتحدث طوال الوقت ولا تتوقف عن المشي. تقفز وتلعلع وتغني؛ ألا تتوقفي مجرد لحظة واحدة فقط! من فضلك توقفي! لكنها لن تستجيب. قالت: «مرحبًا، دي دي». ووضعت اللعبة على الصينية أمامي. رميت باللعبة على الأرض. التقطت ذلك الشيء الغبي ووضعته في الصينية أمامي

مرة أخرى، ورميته مرة أخرى؛ اتركيني وحدي! أردت أن أصرخ. بيني معتادة على سقوط الأشياء من مقعدي؛ لذلك لم تكن تستطيع أن تعرف أنني كنت في حالة رهيبة. في المرة الثالثة التي وضعت فيها اللعبة في صينيتي قذفت بها بقوة، فأصابت رأس بيني قليلًا فوقعت هي على الأرض. تطلعت في وجهي، والمفاجأة على وجهها، أمسكت اللعبة وركضت باكية إلى السيدة V.

- «ماذا حلَّ بك يا ميلودي؟» سألت السيدة V وهي تهدهد بيني في حضنها.

كيف يمكنني شرح ذلك؟ لم أكن أريد أن أبكي، ولكن هذا ما فعلته. أدرت الكرسي المتحرك بمواجهة الجدار في حين رنَّ جرس الهاتف. السيدة V نقلت نظراتها مني إلى الهاتف، تنهدت، ونهضت لترد.

- أوه، مرحبًا، كاثرين.

- كاثرين؟ التفت بمقعدي قليلًا للاستماع بشكل أفضل.

- ليست على ما يرام؟. سألت السيدة V.

حسنًا، في الواقع، إنها تبدو مكتئبة قليلاً بعد ظهر هذا اليوم. لا، أنا أسحب كلامي. انها متوحشة بصراحة.

التفتت السيدة V إلي وعملت حركة لتجعلني أضحك. أنا فقط حملقت في وجهها.

- لست مندهشة أنها أجابت عن جميع الأسئلة إجابات صحيحة - فهي طفلة ممتازة!

ما فائدة هذا بالنسبة إلي؟

– وماذا قال المعلم؟ عظيم، الآن سوف يعرف الجميع. مجرد التفكير بذلك يجعلني أشعر بأني حثالة مرة أخرى.

– وأمام زميلاتها؟ أي نوع من المهنية هذه؟ بدت السيدة V غاضبة.

– كيف كانت ردة فعلها؟ لا يهم. أعرف ذلك مسبقًا؛ إنها تجلس هنا وتبدو كأنها واحدة من تلك الأسماك المنتفخة التي رأيناها في الحوض – منتفخة بالكامل وشائكة، هذا في الواقع قريب مما كنت فعلًا أشعر به.

– شكرًا جزيلًا على المكالمة، كاثرين. قالت السيدة V.

– نعم، يرجى الاتصال بوالديها هذا المساء، وسأكون بالتأكيد قد تحدثت معهما أيضًا، سوف أعمل على حل هذه المشكلة في الوقت الراهن. قالت ذلك وأقفلت خط الهاتف، ثم وضعت بيني على الأرض، ووضعت يديها على خصرها، وأخذت تحدِّق بي. من جانبي أدركت هنا أن العناق لي يجعلني أشعر بتحسن.

– وهكذا، كنت متربعة على عرش المسابقة، ومن ثم توقفت عن المتابعة، قالت لي ذلك والسخط ظاهر في كلماتها. أعادت تشغيل جهاز التسجيل مرة أخرى. لماذا تبدو غاضبة مني؟ نظرت إلى الأعلى متفاجئة.

– لقد جرح مشاعري.

– ماذا في ذلك؟ ردَّت السيدة V.

– ضحك الأطفال. حتى روز ضحكت. كان ذلك صحيحًا، ومع ذلك أنا بالكاد يمكنني تقبل الأمر، حتى روز غطت فمها كاتمة ضحكتها.

– هل حصلت على أعلى الدرجات في الصف؟ سألت السيدة V، متجاهلة تمامًا محاولتي لجعلها تشعر بتعاطف معي. كان يتعيَّن عليَّ أن أعرف أكثر.

- نعم فعلًا. هل ساعدتك كاثرين بأي شكل من الأشكال، ولو حتى أقل من القليل؟

- لا.

- إذًا دعينا نبدأ. نظرت في وجهها، وأنا مرتبكة قليلًا.

- نبدأ بماذا؟ سألتها.

- خطتك الدراسية؛ أنت وأنا، سوف نتمرن، نجهز، ونتقدم، وأنا سوف أمتحنك، وأنت سوف تتولين الإجابة عن أسئلتي، وسوف نتعلم الجغرافيا، العلوم والرياضيات وآلاف من المعلومات! قالت وهي تبدو متحمسة: «لماذا؟» سألت باهتمام.

- «أنت تعرفين كيف يستعد الرياضيون لدورة الألعاب الأولمبية؟ يسبحون في الصباح الباكر وفي وقت متأخر من الليل، ويركضون حول المسار لساعات وساعات دون أن تهتف لهم الحشود».

- «أنا لا أستطيع الركض سريعًا جدًّا»، كتبت، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة لها.

- «ربما لا، ولكن لديك أسرع وأقوى دماغ في تلك المدرسة، وأنت سوف تتقدمين للمنافسة لتكوني ضمن فريق المسابقة الأسبوع المقبل».

- «لن يسمحوا لي بأن أكون في الفريق»، كتبت ببطء.

- «أوه، نعم سوف يسمحون! جميعهم يريدونك، أليس كذلك. سوف يحتاجونك يا ميلودي؛ سوف تكونين سلاحهم السري».

- «أتعتقدين ذلك؟».

- «أعرف. والآن دعينا نترك كل هذا الشعور الواهم بالأسف لنفسك، والبدء في الدراسة؛ لدينا أسبوع واحد، أنا المدربة، وأنت الرياضية. استعدي للعرق!».

- «العرق ينتن!». قلت لها ضاحكة.

- لذلك دعينا نحصل على النتن! ولكنك أولًا ستلمين كل واحدة من تلك البطاقات».

أعلم أن لا جدال في ذلك. أخذتني من مقعدي، ووضعتني على الأرض، وغادرت الغرفة بينما أنا ألمُّ البطاقات التي كنت قد رميت بها إلى الأسفل على شكل كومة فوضوية على الأرضية؛ ساعدتني بيني في ذلك، ثم وضعتني السيدة V مرة أخرى في مقعدي، وبدأنا العمل. كانت ستعمل بصفتها مدربة صعبة.

- كيف كان شكل الاختبار؟ سألتني.

- A, B, C, D، كتبت لها.

- الاختيار من متعدد! رائع! وهذه قطعة من الكعكة لك.

لم أكن متأكدة من ذلك، ولكن لم أكن لأختلف معها، ذهبت إلى جهاز الحاسوب الخاص بها، وعثرت على صفحة على الإنترنت مدرجة بها كل ولاية في الولايات المتحدة وعاصمتها.

- عملناها في المدرسة، قلت لها.

- عظيم! لذلك نحن سوف نفعل ذلك مرة أخرى!

تظاهرت بأني غير راضية.

استخرجت السيدة V عواصم جميع دول العالم الرئيسة، يا للهول، هناك بالتأكيد الكثير من الدول! ولكن بمجرد أن قرأتها بصوت عالٍ لي، رسخت المعلومات في رأسي.

- ما عاصمة المجر؟ سألتني. أنا أعلم أن الإجابة هي بودابست حتى قبل أن تعطيني الخيارات الأربعة.

A. أكرا.

B. برلين.

C. نيودلهي.

D. بودابست.

ضغطت D، بطبيعة الحال. السيدة V لا تتوقف عن التعبير عن فرحتها وتشجيعها، وواصلت. أجبت بشكل صحيح أن طوكيو هي عاصمة اليابان، أديس أبابا عاصمة إثيوبيا، أوتاوا عاصمة كندا، وبوغوتا عاصمة كولومبيا، ظلت تمتحنني حتى جاء أبي ليأخذنا، وبينما كانت السيدة V تحشو اللعبة وبعض حفاضات غير مستخدمة في حقيبة بيني، أوضحت باختصار ما حدث في المدرسة وما تعتزم القيام به إزاء ذلك، وما كنا نقوم به بالفعل.

- هل أنت متأكدة؟ سألها أبي، وهو ينظرنظرة عابرة في وجهي. لربما نحن نعدُّها للفشل، وسوف تتضرر حتى أسوأ.

- أنا واثقة تمامًا! أصرت السيدة V. هل تستطيع ميلودي البقاء لمدة أطول قليلًا للدراسة؟ سأعطيها العشاء وأعيدها إلى منزلها في بضع ساعات، وبذلك يمكنك أن تتدبر أمور بيني بمفردها ويكون لديك متسع من الوقت.

- هل أنت مرتاحة لذلك؟ سألني أبي.

- نعم. فعلاً! نعم. فعلاً! نعم! كتبت له. أريد أن أفعل هذا.

بالتوفيق يا حبيبة بابا ميلودي. قال أبي، ورفع إبهام يده للسيدة V علامة على الإعجاب وغادر مع بيني. بعد العشاء انتقلنا إلى العلوم؛ تعلمت أسماء العظام في الساق وعظم الفخذ، والساق، والرضفة، والشظية. لماذا لا يسمونها بأسماء سهلة، مثل (عظم الركبة) وعظم الساق النحيفة؟ ولكنني حفظتها. تعلمت أن الحشرات هي المفصليات، وأن لها عظام ساق أيضًا!

- يطلق على علم دراسة الحشرات (علم الحشرات)، قالت السيدة V. وأضافت أن «هذا يعطيك فكرة، دعينا نتعلم الكلمات كلها التي تنتهي بـ (ology !). وضعت يدي على رأسي، وتظاهرت بالتأوه، ولكنني في أعماقي كنت متحمسة حقًّا.

- «أي الكلمات تعني دراسة الكلمات ومعانيها؟». سألتني بعد أن استعرضت مطولًا قائمة طويلة من الكلمات التي نهايتها (ology).

A. الببلوغرافيا Bibliography

B. علم الآثار Archeology

C. علم الأنسجة Histology

D. علم المعاني Lexicology

فكرت للحظة واحدة؛ كنت أعرف أنها كانت تحاول خداعي؛ الأنسجة تبدو وكأنها علم التاريخ، ولكنها لسبب ما أعتقد أن لها علاقة بالجلد. وببليوغرافيا تتعلق بالكتب، وليس بالكلمات؛ لذلك اخترت الحرف (D) وهذه المرة لم تهتف.

- «اسمحي لي أن أعيدك إلى المنزل، يا ميلودي؛ الرياضيون الكبار بحاجة إلى النوم أيضًا؛ سندرس المزيد غدًا».

ابتسمت ابتسامة عريضة في وجهها، وأنا أحس بالتعب والنشاط في الوقت نفسه. اتصلت السيدة V بكاثرين، وشرحت لها الوضع، قالت لها أن تحشو المعلومات في رأسي جنبًا إلى جنب مع المعكرونة على الغداء؛ ولذلك في صباح اليوم التالي قفزت كاترين، بطبيعة الحال، قفزت نحوي بينما كنا في غرفة H-5، ووضعت سماعات الأذن على رأسي. استمعت إلى شريط كاسيت قديم عن البراكين. كان عليه خدوش ويتخطى قليلًا من المشاهد، ولكنه أعطاني المعلومات الكافية؛ كان اسم البراكين مشتقًّا من اسم الإله الروماني فولكان، وقد تمكنت من تقدير ذلك بنفسي. علمني شيئًا عن الحمم والرماد، تعلمت كيف أن مدينة بومبي كلها غُطيت عندما اندلع بركان فيزوف؛ أشياء ممتعة بشكل مدهش، لقد استمعت إلى أشرطة عن أستراليا وروسيا، عن الأبراج والكواكب.

- «أنت تتعلمين أي شيء عن هذه الموضوعات القديمة ولكنها أشياء جيدة؟». سألتني كاثرين بينما كانت تضع شريطًا آخر في الجهاز المشغل. كان عن الأمراض.

- «المعلومات جيدة دائمًا، كتبت لها.

- «أفهم ما تقولين» أجابتني. «هل ما زلت مستاءة مما حدث في صف الأستاذ ديمنغ؟».

- «حذفت الذاكرة - أحتاج لمساحة تتسع للحقائق»، استغرقني الوقت للكتابة. هي رفعت الابهام إلى أعلى إشارة على موافقتي في الرأي.

- «أنا خائفة قليلًا» اعترفت. «افترضي أنني تلخبطت؟».

- «يمكنك أن تفعلي هذا، يا ميلودي»، قالت بشدة وهي تضبط سماعات الأذن. «لديك ما يكفي بالتأكيد من الذكاء والفطنة ما يؤهلك لأن تكوني في الفريق».

- «ابتعدي عني عندما أُجري الاختبار»، كتبت لها. «هذا يُبقي كلير هادئة». رفعت يدها عاليًا لتصطفق بكفي في تعبير عن الفرح والتضامن. كنت أستمع للأشرطة طيلة الوقت إلا عند تناول طعام الغداء والاستراحة، وأعمل مع كاثرين بقية اليوم. امتحنتني في الحقائق والتواريخ والملوك والرياضيات التي قد تكون صعبة بالنسبة إلي، فالكلمات تطفو بسهولة في رأسي، لكن يبدو أن الأرقام تنزل إلى عقلي مثل الصخور. لا أعرف لماذا.

- «دعينا نفعل ذلك مرة أخرى». قالت كاثرين بلطف، وأنا قد اختلط عليَّ الأمر في مسألة في الرياضيات عن القطارات وسرعتها. لا أحد يركب القطارات بعد الآن! فمن يهتم؟ لكنها استمرت في الشرح حتى فهمتها. اكتشفت أنني لو حوَّلت الأرقام إلى قصة أو صورة في عقلي، لصارت الأجوبة تأتي بسهولة أكثر. لقد غيرت الأرقام إلى كلمات. سحر!

بدلًا من الخروج لحصص الدمج، هززت رأسي وقلت لكاثرين أنني لا أريد أن أذهب؛ أردت البقاء والدراسة بدلاً من ذلك.

من الواضح، أنهم لم يفتقدوني، لا أحد أرسل رسالة محمومة إلى غرفة H-5، ليسأل لماذا لم تكن ميلودي في حصة اليوم. لا أحد أطل برأسه من الباب لمعرفة ما إذا كنت غائبة أو مريضة أو ربما متشنجة وملقاة على الأرض. لا أحد يبدو أنه لاحظ تغيبي على الإطلاق.

* * *

الفصل التاسع عشر

الأسبوع مضغوط، فقد درست في المدرسة كل يوم مع كاترين، وبعد المدرسة كل يوم مع السيدة V، وكل المساء في المنزل أيضًا. لقد راجعت الكلمات من جميع مستويات اللوح، مارست هجاء الكلمات الطويلة ومطابقة الوقائع والتواريخ. اخترعت ألعابي الخاصة؛ أمي اختبرتني في الزهور والمصطلحات الطبية، أبي سألني أسئلة حول الاقتصاد وإدارة البيع بالتجزئة والرياضة، وأنا ابتلعت كل شيء ابتلاعًا.

أحيانًا أجلس في غرفتي وأكتب فقط الجمل الجديدة في (الفيرا) لنطقها. حرف واحد في وقت واحد، استغرقت العملية ساعات، ولكن بمجرد الإدخال في ألفيرا، كل ما عليك فعله هو الضغط على زر واحد ليتم لفظ الجملة كاملة لي. أتوقع أن السؤال الأكثر من غيره تكرارًا الذي واجهته بصيغ مختلفة وغريبة هو: «ما مشكلتك؟» الناس في كثير من الأحيان تريد أن تعرف إذا ما كنت أنا مريضة أو أتألم، أو ما إذا كنت في حالة يمكن علاجها والشفاء منها؛ لذلك أنا على استعداد لإجابتين - واحدة مهذبة ولكنها من نوع يعتمد على الكلمات، وواحدة ذكية قليلًا. لأولئك الذين يشعرون بالقلق حقًا، أنا أضغط على زر ليقول: «لدي شلل رباعي ثنائي الجانب، المعروف أيضًا باسم الشلل الدماغي، وهو ما يحد من حركة جسدي، ولكنه لا يحد من عقلي».

أعتقد أن الجزء الأخير لطيف جدًا، ولأشخاص مثل كلير ومولي، أقول:

«لدينا جميعًا إعاقات، فما هي إعاقتك أنت؟». أنا أتشوق لاستخدام الثانية. عندما قرأتهما السيدة V، ضحكت من كل قلبها. الآن حان السبت ما قبل الاختبارات، والسيدة V وأنا جالستان في الخارج على الشرفة الأمامية لمنزلها، أنا ألبس سترة خفيفة، ولكنها من النوع المناسب لأيام نادرة الدفء في فبراير، والتي تنطلي على الزنابق في فصل الربيع هنا؛ فأنا أريد أن أحذر البراعم الصغيرة وأقول: انتظري! ستنزل الثلوج الأسبوع القادم، فانتظري لمدة شهر آخر! ولكن في كل عام وفي وقت تظل زهور الربيع المبكرة ترتعش في الثلجة الأخيرة من الموسم.

ونحن جالستان، أخذنا ننظر إلى خصلات من الغيوم تحوم فوق رؤوسنا. ويطفو طائر الحسون الأشبه بكناري ملون على الدرابزين، ناظرًا في وحدة تغذية الطيور الفارغة تتدلى من فوقه، ولو كان في وسعه أن يتكلم، أراهن أنه سوف يطالب بنبات البلّان الشوكي - وبأيام أخرى أكثر دفئًا مثل هذا اليوم.

- «ماذا ستفعلين كان باستطاعتك الطيران؟». سألتني السيدة V وهي تنقل نظراتها من الطيور إلي.

- «هل هذا في المسابقة؟». سألتها، مبتسمة وأنا أكتب.

«أعتقد أننا قد درسنا ما يكفي عن كل شيء آخر». قالت وهي تضحك.

- «ربما سأخاف من الطيران». كتبت.

- «تخافين أن تقعي؟». تساءلت.

- «لا. خائفة من الشعور بالفرحة، فقد أطير بعيدًا ولا أعود». استغرق ذلك مني وقتًا طويلًا للكتابة. بقيت هادئة لمدة طويلة جدًا، وأخيرًا قالت:

«أنت طير، يا ميلودي، وسوف تطيرين يوم الإثنين عند إجراء الاختبار».

سمعت الباب الأمامي لمنزلنا يُغلق، فلوحت لأمي وبيني وهما تقتربان من الشرفة. بترسكوتش، سعيد بوضوح لإطلاق العنان له، ويمشي بجانبهما، مشمشمًا قاع كل شجرة، وبيني تمشي بعزم وثقة، وعلى وجهها علامات بين الاستهجان والابتسام؛ لأنها تركز على السير في الممر بين المنزلين، ثم تتسلق الدرج الأمامي بكلتا يديها وبقدميها، وترتدي ثيابًا منتفخة في فصل الشتاء وسترة وقبعة مصنوعة من القش الأزرق وملتوية من كثرة جلوسها عليها، واللعبة المسكينة، بطبيعة الحال مجرورة وراءها.

- «دي - دي!». قالت بصوت عال؛ لأنها وصلت في النهاية إلى الدرجة العليا، وأنا ما زلت متحيرة من سهولة فعلها للأشياء. تلمست كُم ثوب السيدة V وأنا أفكر بما سألتني.

- «الحرية»، كتبت، مشيرًا في الوقت ذاته إلى بيني، «الحرية».

أومأت لي السيدة فالنسيا أنها تتفهم.

- «يا له من يوم مجيد!». تقول أمي، وهي تتنفس بعمق.

- «هل تعتقدين أن فصل الشتاء قد انتهى؟». فكتبت:

- «البرودة الشديدة قادمة».

- «أنت على حق، ولكن من المؤكد أنكما راجعتما جيدًا، قالت أمي وهي تفك سترة بيني: «كيف يتقدم فريق الدراسة؟».

جلس بترسكوتش عند أسفل الدرج. أقسم أن الكلب بدا كما لو أنه يبتسم.

- «جيد»، قلت من خلال الجهاز المتكلم.

- «أنت مدهشة يا فيوليت»، قالت أمي: «الوقت والجهد الذي بذلتيه في تعليمها وجعلها على استعداد لهذا الاختبار، و... »، ثم أخذت فسحة من الوقت قبل أن تكمل. «لابد أنك درَّستيها الآلاف من الكلمات».

ردت السيدة V بلا مبالاة:

- «لا أحد يبدو مندهشًا من أن بيني تمتص وتتعلم آلاف الكلمات».

«ميلودي لا تختلف». أمي أومأت بالاتفاق.

- «أنا أعلم أنك على حق، ولكن - لكن... إنها أصعب فقط من ذلك بكثير لميلودي لا، إنه من الصعب لنا معرفة ما في رأسها».

لقد تعبت منهم وهم يتحدثون عني وكأنني في غرفة أخرى. أدرت الجهاز الخاص بي ليصل لأعلى صوت.

- «دعونا نأكل كعكًا».

- «كوكيز!». بيني تكرر.

نهضت السيدة V.

- «أسمعك، يا فاتنتي بيني؛ دعيني أجد لنا بعض الحلويات!»، قالت ذلك وهي تتجه إلى داخل المنزل، ملتفتة إلى أمي لتقول بهدوء:

«الآنسة ميلودي لها دائما مكانة خاصة في قلبي».

- «حموضة معوية!». طبعتُ. فضحكتا.

عادت السيدة V بعد دقائق قليلة مع طبق من رقائق الشوكولاته الحارة وكوبين من الحليب في أكواب حمراء مزينة بأميرات ديزني، أنا أكره الاعتراف بذلك، ولكن هذا الكوب يجعلني أشرب ما فيه بسهولة.

- «الكوكيزا». صرخت بيني، ثم وصلت إلى الطبق، لكن أمي سحبتها من ذراعها إلى الخلف، قدمت السيدة V لأمي اثنتين من الكوكيز على منشفة ورقية. أمي التقطت واحدة، ثم ناولتها لبيني التي سرعان ما التهمتها.

«انظروا إلى هذه المتوحشة الصغيرة»، قالت أمي ضاحكة. السيدة V فتتت كعكتي إلى أجزاء، ثم وضعت قطعة منها في فمي، رغم حبي للكراميل، إلا أن هذا البسكويت لابد وأنه مصنوع مع أفضل الشوكولاتة. ابتلعتها بينما أعطتني السيدة V رشفات من الحليب البارد. الكوكيز يهبط بسلاسة مع الحليب إلى المعدة - فلست بحاجة إلى المضغ.

أحب أن يكون لدي ما يكفي من السيطرة على إطعام نفسي، ولكن هذا على قائمة الأشياء التي أتمناها - جنبًا إلى جنب مع المشي، والذهاب إلى الحمام لوحدي - وأوه، نعم - التحليق والطيران.

مقاطِعة أفكاري، سألتني السيدة V:

- ما القارة التي تنتج أكبر محصول من حبوب الكاكاو التي تعطينا هذه الشوكولاتة؟

- «إفريقياا». طبعت لها.

هزت رأسها وأسقتني آخر رشفة من الحليب. ثم أضافت

- والولاية التي تنتج معظم الحليب؟

- «كاليفورنيا»، أجبتها. فقالت معلنة:

- «أعتقد أنك على استعداد، يا ميلوديا».

أمي ربتت على خدي:

- «أنتِ ذاهبة لموسيقى الروك يوم الإثنين!».

- «ثم ماذا بعد؟». كتبت لها، فقالت السيدة V متدخلة:

- «ثم الترشيح للرئاسة!».

- «نعم، هذا صحيح». رددت.

في تلك اللحظة كان أبي يدخل الشارع بسيارته عائدًا من عمله، كانت سيارتنا القديمة الكبيرة تحتاج إلى رحلة لمحطة غسيل السيارات! قالت أمي فرحة:

- «أعتقد أن تشاك عاد من عمله اليوم مبكرًا»، وأضافت: «ربما يمكننا تناول العشاء في وقت مبكر اليوم».

أبي يخرج من السيارة، ويلوح بيده لنا فيشرق وجه بيني فورًا.

- «بابا، دادي!» أخذت تنادي ثم نهضت واقفة وهي تتطلع إلينا بابتسامة شيطانية. «إياك أن تحاولي!» قالت السيدة V محذرة. «أنا أعني ما أقول».

لكن بيني تجاهلتها، وقالت:

- «أذهب باي باي في السيارة!».

بيني تحب أن تركب في السيارة. لا يهمها إلى أين - المتجر، مكتب البريد - فالمهم أن تجلس في مقعدها المثبت بالكرسي الخلفي بالسيارة، وهذا لا يعني الكثير بالنسبة إلي؛ فهي سرعان ما تغط بالنوم حالما نجتاز أول منعطف. اندفعت لملاقاة أبي نازلة عن درجتين تلتهما بدرجتين أخريين من درج الشرفة، في انتظار رد فعل من أمي.

- «بيني ماري بروكس، عليك أن تعودي بكعكتك إلى هنا!». صرخت بها والدتي التي عندما تستخدم الأسماء الثلاثة كلها، فإنها تعني أنها أصبحت جادة في ما تقول. نظرت بيني التي وصلت الجزء السفلي من الدرج إلينا، متطلعة إلى الوراء بنظرة تفاخرلتقول:

- «شوف بابا! روح عا شغل!». وبأسرع ما تنطلق به ساقاها القصيرتان ركضت نحو والدي. أمي -بطبيعة الحال- لديها أفكار أخرى، وكذلك بترسكوتش الذي قفز ونبح ثلاث مرات - تقريبًا مثل أمي باستخدامها ثلاثة أسماء- ثم مشى بهدوء أمام بيني معترضًا طريقها.

- «كلب جيد»، قالت أمي. «تعالي إلى هنا، يا كوكي الصغيرة!».

في ذلك الوقت كانت قد سارعت إلى أسفل درجات الشرفة واسترجعت أختي.

- «هذه الطفلة»، تقول لوالدي: التي تتمشى على أقل من مهلها، فنانة بالهروب! أحتاج إلى أربع عيون معها! ومسحت الشوكولاتة عن وجه بيني.

- «شيء جيد أن يكون لديكم بترسكوتش هنا»، قال أبي وهو يداعب الجزء العلوي من رأس الكلب. «كيف حال نحاسيتي اللامعة بيني اليوم؟ وقبّل أمي على خدها وأخذ بيني منها، فأخذت بيني تفرك بقية الشوكولاتة من يديها بقميص والدي.

- «هذا بالضبط ما كنت أريده دائمًا»، قال أبي وهو ينظر إلى أسفل. «ملابس مغطاة بالشوكولاتة!»، فما كان من المنديل الذي ناولته السيدة V لوالدي سوى أن لطخ القميص أكثر. أبي يضحك فقط.

«روح شغل، دادي».

«وأبي عاد للتو من الشغل إلى البيت، أعطيني فرصة قصيرة». ثم أعطى بيني بيديه بلطف للسيدة V، وجلس مع أمي على أرجوحة الشرفة.

- «وكيف حال حبيبتي ميلودي؟» سألني.

- «سوبر» كتبت على الجهاز الخاص بي.

- «جاهزة للمنافسة؟».

- «نعم!» رددت.

نهض أبي وجلس القرفصاء أمامي.

- «أنتِ سوف تبدعين في هذا الاختبار وتدخلين فريق المسابقة!».

أستطيع أن أقول إنه يعني ما يقول.

أنا واثقة من نفسي، وعائلتي تثق بي أيضًا، وكذلك السيدة V، لكني لست متأكدة من بقية العالم.

■ ■ ■

الفصل العشرون

كنت على حق بتوقعاتي للطقس اليوم. آمل أن براعم الزعفران الصغيرة تكون لها بطانيات صوف صغيرة؛ لأن درجة الحرارة تراجعت وصولاً الى الثلاثين فهرنهايت، وغرفة صفنا كانت مثل الصقيع عندما دخلناها صباح اليوم.

نظام مخاطبة الجمهور صدح كالمعتاد صباح اليوم الإثنين بإعلانات عن سوق خيري وتدريبات كرة القدم، لا أحد في H-5، ولا حتى السيدة شانون بدت مهتمة كثيرًا بالإعلانات، فجنون هذا الصباح طغى على ما عداه.

تمكنت السيدة شانون من الحصول لنا على لعبة في نظام ألعاب (وي)، لا أعرف كيف! ويلي يحب برنامج البيسبول، وقد تعلمت أن أبقى بعيدة عن طريقه حين يدعي أنه يضرب الكرة في أثناء مشاهدته الشاشة؛ أحيانًا تصبح ضربته كبيرة فيدعي أنه سجل هدفًا في المرمى فيصيح «ضربة إصابة» منتصرًا، ثم يحاول ممارسة اللعبة على أرضية الصف، حتى فريدي لا يمكنه مواكبته؛ أنا عادة أجلس في الزاوية مع سماعاتي على رأسي، محاولة ضبط الصوت، لكنني اليوم استمعت بعناية إلى نشرة الأخبار، تسارعت نبضات قلبي، ومددت ذراعيَّ من الإثارة عندما سمعت مدير المدرسة يقول:

- «على جميع الطلاب الذين يرغبون بالاشتراك في فريق مسابقة الأطفال النابغين، الذهاب إلى غرفة الأستاذ ديمنغ بعد المدرسة».

بقيت متوترة طوال اليوم، لم أقل لروز ما كنت أعتزم القيام به، فكرت في ذلك، ثم قررت عدم القيام به؛ لنفترض أنها قالت بأنها فكرة غبية، لا أعتقد أنني سوف أحتمل ذلك. بعد ذلك اندلقت شوربة البندورة على جميع أنحاء بلوزتي في وقت الغداء، ورغم محاولة كاثرين تنظيفها، فلا يمكنك إزلة اللون الأحمر عن قميص أبيض، فشعرت أني وسخة وفوضوية، تمنيت لو أنني فكرت بتنبيه أمي هذا الصباح؛ كان بإمكاني أن أبلغها بأن تضع لي غيارًا من الملابس في حقيبتي. ما يزال من الصعب أن أتذكر أنني أستطيع قول أشياء من هذا القبيل الآن؛ لذا لم أخرج لحصص الدمج طيلة اليوم، وقد كنت أريد الدراسة حتى آخر لحظة، ولكن بمجرد أن قرع الجرس أمسكت بذراع كاثرين.

- «أسرعي» كتبت لها. «إلى غرفة الأستاذ ديمنغ».

على الرغم من أنني في الكرسي الكهربائي، فقد وضعناه على اليدوي؛ حتى تتمكن كاثرين من دفع الكرسي أسرع، كنت متوترة الأعصاب جدًّا، ولا يمكنني القيادة. عندما وصلنا إلى غرفة الأستاذ ديمنغ، وجدنا مجموعة من الأطفال من صف التاريخ بالفعل هناك، يتهامسون مع بعضهم؛ يراجعون بطاقات الملاحظة، نظروا باندهاش عندما أدخلتني كاثرين وهي تدفع الكرسي المتحرك.

- «مرحبًا، ميلودي»، قالت روز. «ما الذي تفعلينه هنا؟». صوتها لا يبدو وديًا كالمعتاد.

- «فريق المسابقة». كتبت، ثم سمعت كلير تهمس لجيسيكا:

- «لا يمكنها أن تكون في الفريق»، قالت معربة عن امتعاضها: «إنها من غرفة المعاقين!».

مولي تعتقد أن هذا مضحك حقًّا، وهي تصرخ مثل مشجعي كرة القدم عندما تضحك. قررت أن أتجاهلهن على الرغم من أنني شعرت بارتفاع وتيرة الغضب. ولا بد لي من الاستمرار في التركيز، حضر بضعة طلاب آخرين من الصفين الخامس والسادس. أنا لا أعرف طلاب الصف السادس جيدًا؛ لأن توقيت فسحتهم مختلف عن توقيت فسحتنا، وأتساءل عما إذا كانوا أكثر ذكاء؛ كان لديهم المزيد من الوقت لتعلم المواد.

يشير عدد قليل من الأطفال إليَّ ويتهامسون، وعندما دخل الأستاذ ديمنغ الغرفة مسرعًا حاملًا رزمة من الأوراق المختومة المغلفة بالبلاستيك، شرع يفحص الغرفة لمعرفة من هو موجود هنا، بدا عليه الاستهجان قليلًا عندما رآني، لكنه وضع أوراق الاختبار على مكتبه وحيَّانا جميعًا.

- «مرحبًا، أنا سعيد للغاية أن الكثيرين منكم اختاروا محاولة للمنافسة بعد ظهر هذا اليوم، سوف تكون عملية صعبة، فضلًا عن كونها متعة، هل هناك أي أسئلة قبل أن نبدأ؟». كونور، وبطبيعة الحال، يرفع يده:

- «نعم، كونور»، يقول الأستاذ ديمنغ مع تنهيدة عميقة.

- «آه، هل سنحصل على البيتزا والأشياء الأخرى في أثناء التمرين مثل العام الماضي؟».

- «ألا تعتقد أنك بحاجة إلى تكوين الفريق أولًا؟». صديقه رودني يصرخ به.

- «رودني على صواب، دعونا نفعل شيئًا واحدًا في وقت واحد»، «قال الأستاذ ديمنغ وهو يرفع كومة من أوراق الاختبار عن مكتبه، ويحملها مثلما يحمل كنزًا.

- «أحمل في يديّ أسئلة الاختبار الرسمية من مقر مسابقة الأطفال الوطني في واشنطن العاصمة، وسوف أقرأ الأسئلة لكم، تمامًا كما فعلت في

المنافسات الحقيقية، و...، ثم توقف وأخذ يحدق، ونظر الجميع حولهم ليروا ما سبب توقفه، كنت أنا السبب.

فك الأستاذ ديمنغ كومة الأوراق للحظة، ثم تنحنح وقال مخاطبًا كاثرين:

- «أنتِ تعلمين أنني لا أعتقد أنه من المناسب لميلودي أن تكون هنا، هذا ليس نشاطًا ترفيهيًا لمجرد المتعة، الغرض من هذا الاجتماع هو اختيار الفريق الرسمي لنا». إنه لا يتحدث معي حتى، بل يخاطب من فوق رأسي كاثرين، كما لو كنتُ غير مرئية، أصبحت الآن مجنونة بحق، رفعت مستوى الصوت في جهازي إلى الآخر:

- «أنا هنا لإجراء الاختبار».

أخذ الأستاذ ديمنغ يرمش:

- «ميلودي، أنا لا أريد إيذاء مشاعرك، الاختبار صعب للغاية».

- «وأنا ذكية جدًّا».

- «أنا فقط لا أريد أن تؤذى مشاعرك يا ميلودي». وبدا صادقًا نوعًا ما.

- «وأنا قوية»، كتبت.

- «أنت، اذهبي يا بنت»، قالت روز فجأة من مقدمة الغرفة، وصفَّق لها عدد قليل من الأطفال. هذا جعلني أشعر أفضل قليلًا، قليلًا فقط.

ثم تحدثت كاثرين :

«وبموجب القانون، لا يمكن أن تكون مستبعدة، أنت تعرف ذلك، يا سيدي».

- «نعم لكن...».

- «اقرأ الأسئلة للطلاب تمامًا كما كنت تنوي، وسوف يكتبون إجاباتهم على ورقة دفتر الملاحظات، وميلودي تسجل إجاباتها، ثم تتولى طباعتها لك».

- «كيف نعرف أنك لم تساعديها؟» كلير تسأل.

- «لأنني لن أكون في الغرفة» ردَّت كاثرين.

- «سيئ للغاية؛ لأنك قد تحتاجين إلى بعض المساعدة»، كاثرين كشرت في وجهها، ولكن كلير أشاحت بوجهها، قلت لكاثرين:

- «اذهبي الآن». كنت في الحقيقة أدفعها بعيدًا. «شكرًا».

- «أمك قادمة لاصطحابك؟».

- «نعم فعلًا».

«حظًا سعيدًا، ميلودي. أنت بطلتي، بغض النظر عن...، هل تفهمين؟»

- «فهمت»، ولوحت لها وهي تغادر الغرفة. الأستاذ ديمنغ هز كتفيه ونظر في جميع أنحاء الصف، ثم قال:

- «هناك مئة سؤال في المسابقة، سأقرأها كلها لمرة واحدة، وكل إجابة مرة واحدة فقط، سيكون لديكم ثلاثون ثانية لتسجيل كل إجابة، يرجى الكتابة فقط بالحرف الكبير: (A) و(B)، و(C)، و(D)، وأحيانًا (E)، هل هناك أي أسئلة؟».

كلير رفعت يدها بسرعة.

- «نعم»، فقالت: «كيف لنا أن نعرف أن ميلودي لم تخزِّن الأجوبة في جهازها؟ لا يسمح لنا باستخدام أجهزة الحاسوب».

- «لماذا أنت قلقة جدًا من ميلودي؟». أجابتها روز قبل أن تتاح الفرصة للسيد ديمنغ. «هل أنت خائفة من أنها سوف تحصل على درجة أعلى منك؟».

- «لا يمكن، مستحيل».

- «إذن ظلي هادئة حتى نتمكن من البدء». قال الأستاذ ديمنغ مبتسمًا لروز. «يا طلاب، أخرجوا ورقتين؛ واحدة للكتابة عليها، والثانية لتغطية إجاباتكم، نحن نؤمن بالصدق والأمانة، ولكن ورقة إضافية من الورق لا تضر أحدًا».

انهمك الجميع للعثور على الورق والأقلام، ثم خيَّم شعور من التوقع الهادئ على أنحاء الغرفة. أزال الأستاذ ديمنغ ختم الاختبار الرسمي، وفتح الصفحة الأولى.

- «دعونا نبدأ»، قال وقد تغير صوته فجأة إلى صوت مسؤول أكثر جديّة.

- رقم واحد؛ عاصمة كولومبيا هي:

A. بروكسل

B. سانتياغو

C. بوغوتا

D. جاكرتا.

كان يتمهل بينما الجميع يكتبون إجاباتهم، كبست الحرف (C). كم هي امرأة عظيمة وخبيرة السيدة V، وكذلك بطاقاتها عن عواصم الدول! واصل الأستاذ ديمنغ رقم اثنين؛ علم الشيخوخة هو دراسة:

A. كبار السن

B. أسماء المصدر

C. الجراثيم

D. الصخور والمجوهرات.

اخترت الحرف (A). الأمور حتى الآن جيدة جدًّا، الاختبار سوف يستمر لنصف ساعة أو أكثر. يسأل أسئلة حول الذرات والغيوم، حول الأسماك والثدييات، حول الأديان الشهيرة والرؤساء؛ بعض الأسئلة أنا متأكدة منها، وأخمِّن بعضها الآخر. أما أسئلة الرياضيات فقد جعلتني أعرق، هذا هو أصعب شيء، الأكثر إثارة على الإطلاق مما أنجزته في حياتي، السؤال الأخير كان سؤالًا قاتلًا.

- «رقم مئة»، قال الأستاذ ديمنغ، صوت فيه ارتياح:

إذا امتدت الأمعاء الدقيقة لشخص بالغ متوسط رأسيًّا، فإن قياسها يبلغ:

A. ثماني إلى اثنتي عشرة بوصة.

B. من قدم إلى قدمين.

C. خمس إلى سبع أقدام.

D. عشرين إلى ثلاثة وعشرين قدمًا.

ضغطت الحرف (D)، على أمل أنني خمنت الإجابة الصحيحة، وتنفست الصعداء. انتهى الامتحان.

- «ضعوا الأقلام من أيديكم، من فضلكم»، أخبرنا الأستاذ ديمنغ. «تأكد من اسمك على الورقة، ثم غطها بالورقة ومررها إليَّ».

الجميع يجمع الأوراق ويكتبون أسماءهم على عجل، وأنا دفعت زر الطباعة في الجهاز المتكلم. ورقة صغيرة مع إجاباتي تخرج من الجانب، الأستاذ ديمنغ يمشي إلى حيث أجلس ويسحب الورقة، و لا ينظر في وجهي:

- «لقد انتهينا»، يقول للصف. «لقد تم إخبار والديكم بوقت اصطحابكم، ولكن إذا كان أي شخص لديه مشكلة، فاسمحوا لي أن أعرف، فأنا لن أغادر حتى يغادر الجميع بسلام أرض المدرسة».

كنت أنا آخر من غادر، فأنا أعرف أن أمي ربما سوف تأتي لتأخذني، لكنني أريد أن أغادر بقواي الشخصية، استدرت بمقعدي وعجلاته لمواجهة الباب.

- «ميلودي»، الأستاذ ديمنغ ناداني، فاستدرت إلى الخلف: «آمل أن لا يثبط كل ما حدث من عزيمتك، أنا كنت أحاول فقط حمايتك من التعرض للأذى».

- «أنا بخير» أخبرته.

- «سوف أُعلن النتائج وأعضاء الفريق غدًا، كان هدفي ألَّا تصابي بخيبة أمل».

- «أفهم»، ثم سألته: «أفضل ثمانية سيتم اختيارهم؟».

- «نعم؛ أربعة أعضاء الفريق وأربعة بدلاء».

كنت متعبة، وقد بدأ لعابي يسيل قليلًا، أنا متأكدة أنه يظنني غبية ومتهورة، أشعر بوصمة العار الحمراء على بلوزتي تصرخ.

- «حسنًا، تصبح على خير».

- «ليلة سعيدة ميلودي، أراك غدًا، آه قد ترغبين في مسح فمك».

فركت شفتي بكُم قميصي، القميص الملطخ بالطماطم، يمكنني أن أتصور ما كان يفكر به؛ كنت في أمس الحاجة إلى أمي التي شاهدتها قادمة بسرعة.

- «كيف عملتِ حبيبتي؟»، سألت بتلهف.

- «حسنًا، كما أعتقد». ثم موجهة الكلام إلى الأستاذ ديمنغ:

- «أشكركم على إتاحة الفرصة لها بالمشاركة».

- «يسرني ذلك سيدة بروكس، ميلودي تبعث على السرور، وأنا مندهش أنها كانت قادرة على تحقيق ما فعلته». نعم صحيح؛ فرحة بالشفاه السائلة والقميص القذر.

- «دعينا نذهب يا أمي»، كتبت لها، يجب أن أذهب إلى الحمام، وأريد العودة إلى منزلنا.

الفصل الحادي والعشرون

الذهاب الى الحمام في المدرسة مجرد مصيبة. فهو يستلزم إخراجي أولاً من مقعدي، ومن ثم وضعي على المرحاض والإمساك بي حتى لا أقع. ثم لشخص يغسل لي بعدما أنتهي من قضاء حاجتي.

إن الأمر ليس سيئًا للغاية عندما يكون ذلك الشخص هو أمي، ولكنه أمر فظيع عندما يكون ذلك الشخص هو المساعدة في الفصول الدراسية؛ القانون يتطلب منها ارتداء قفازات بلاستيكية - أعتقد أنه بسبب وجود بعض أنواع من العدوى أو المرض لدي. إنه لأمر محرج تمامًا؛ ليس لدي عادة الذهاب أول شيء إلى الحمام في الصباح، ولكنني عصبية المزاج في يوم الثلاثاء، فقد طلبت أخذي إلى المرحاض مرتين، ثم أن أذهب إلى جميع حصص الدمج.

الطلاب الذين حاولوا التنافس لفريق المسابقة لم يتوقفوا عن الدردشة حول الاختبار، وأنا أستمع لكل كلمة في أحاديثهم.

- «لم أستطع أن أصدق كيف أن الأمر كان سهلًا»، كونور يفتخر.

- «أراهن أنني حصلت على درجة أعلى مما حصلت أنت»، تقول كلير، بصوتها المغرور.

- «اعتقدت أن أسئلة الجغرافيا من خارج الخريطة» روز تضيف.

- «لم أكن قد سمعت حتى عن بعض تلك البلدان».

جيسيكا تهز رأسها:

- «جزء الرياضيات لم يكن ممتعًا أيضًا».

- «لا أستطيع أن أصدق أننا حتى مهتمون باختبار غبي لفريق المسابقة»، تعليق من رودني.

- «لأن المنافسة على شاشات التلفاز، يا رجل» يجيب كونور. «التغطية التلفازية كبيرة هنا في المدينة، وإذا تمكنا من الوصول إلى النهائيات فسوف نذهب إلى العاصمة، حيث سيكون متلفزًا في جميع أنحاء البلاد، وإذا فزنا، نكون في برنامج صباح الخير يا أمريكا، وجدتي التي تعيش في ولاية فيلادلفيا يمكنها مشاهدتي، وعمتي في تكساس، سأكون مشهورًا!».

- «ماذا تقصد، إذا فزنا، كونور؟». كلير تسأله، «ألا تقصد عندما نكتسح المنافسة؟».

- «عم، بالتأكيد، اشتريت بالفعل بدلة جديدة للظهور على شاشة التلفاز».

روز تجول بعينيها.

- «أعتقد أن هذا كان مسابقة فريق، يا كونور»، قالت لتذكره.

- «مهلًا! إن الفريق سيكون لا شيء من دوني!». ورفع يده عاليًا في الهواء.

استمعت لكل هذا وأنا أقف بهدوء في الجزء الخلفي من الغرفة، عندما دق الجرس مشيرًا إلى أن الوقت قد حان للتوجه إلى غرفة الأستاذ ديمنغ، أحسست بالعرق في راحة يدي. كاثرين تدفعني الى الغرفة وهي تهمس في أذني:

- «عليك بالاسترخاء، فأنت ستبدعين».

الأستاذ ديمنغ يفرض الهدوء ويأخذ أسماء الحضور، لماذا يتصرف المعلمون ببطء شديد عندما تريد شيئًا منهم ؟

أخيرًا، يخرج ورقة من حقيبته.

- «لقد صحَّحت أوراق امتحانكم الليلة الماضية، ولأن كثيرًا من الذين تقدموا لامتحان المنافسة هم في هذه المجموعة، فسوف أعلن النتائج معكم الآن. المعلمون من الفصول الأخرى الذين لديهم طلاب شاركوا في الامتحان أعطيتهم هذه القائمة نفسها، وفي هذه اللحظة يعلنون النتائج لطلابهم».

- «إذن اقرأ لنا القائمة». صاح كونور ونهض من مقعده واقفًا.

«إذا كان سلوك الصف عاملًا حاسمًا لتشكيل الفريق، فأنت يا كونور قد تكون في ورطة»، قال الأستاذ ديمنغ. «الرجاء أن تهدأ للحظة واحدة».

أغلق كونور فمه، وجلس بتثاقل في مقعده.

«أولًا وقبل كل شيء، أنا فخور جدًّا بجميع من شاركوا في الاختبار، وقد كان صعبًا جدًّا، والجميع قدموا نتائج طيبة للغاية».

روز ترفع يدها.

«نعم، روز؟».

«هل يمكننا أن نرى الأسئلة والأجوبة في وقت لاحق؛ حتى نعرف أين أخطأنا؟».

«بكل تأكيد، وفي واقع الأمر، سنستخدم هذا الاختبار بوصفه أداة تعليمية للاستعداد للمنافسة الحقيقية، لكن لأي شخص الحرية في أن يرى الاختبار ويتحقق من أجوبته».

- «الرجاء قراءة الأسماء». قال كونور، بأدب جم كما لم أسمعه منه من قبل. الأستاذ ديمنغ يبتسم.

«حسنًا، سوف نفعل، سوف أقرأ أسماء البدلاء البدلاء أولًا؛ اثنان من طلاب الصف الخامس، واثنان من الصف السادس؛ أماندا فايرستون، مولي نورث، إيلينا رودريجيز، رودني موصل». سقط قلبي في حذائي الذي لم يكن على الأرض، ولكن قريبًا منها؛ كيف غاب عن بالي الكثير من الأسئلة؟ ربما إبهامي تراجع، وضغطت على حروف غير صحيحة. كاثرين تضغط على يدي. مولي ورودني صاحا من الفرح، أماندا وإيلينا من طلاب الصف السادس. كونور هادئ بشكل ملحوظ.

- «والآن»، يواصل الأستاذ ديمنغ، «أسماء الأربعة طلاب الذين سجلوا أعلى مستوى، وسيمثلون مدرستنا في المنافسة المحلية، البدلاء سوف يرافقونهم وسوف يشاركون إذا كان أي من أعضاء الفريق غير قادر على المشاركة بأي حال من الأحوال، هل نحن مستعدون؟»

«مستعدون»، يقول كونور بهدوء. لقد لاحظت أن أصابعه كانت وراء ظهره.

«أنا فخور أن أعلن أن الأربعة كلهم من صفنا هذا». وتوقف. «ذهلت لدى معرفتي أن جميع المرشحين من الصف الخامس».

«نحن أضرمنا النار في الصف السادس؟ رائع». قال رودني.

« اقرأ الأسماء الآن قبل أن يبلل كونور سرواله».

نهض كونور وصفع رودني على مؤخرة رأسه. الأستاذ ديمنغ يأخذ نفسًا عميقًا.

«إن المراكز الأربعة لأعضاء فريق المسابقة لدينا ستكون... كونور باتس».

كونور يقاطعه بصرخة هتاف عالية:

«وإذا أمكنني الاستمرار»، يقول الأستاذ ديمنغ من خلال نظارته، «فنحن سعداء أيضًا أن نرحب بكلير ويلسون وروز سبنسر».

تبتسم كلير ابتسامة المعتدة بنفسها.

«ولكن هؤلاء فقط ثلاثة»، كونور يقول، وينظر حوله في ارتباك.

«يمكنني العد، يا كونور»، أجاب الأستاذ ديمنغ بجلافة.

«وهكذا من هو آخر شخص في الفريق؟». مولي تسأل.

الأستاذ ديمنغ بلع ريق حلقه.

«لا بد لي من الاعتذار، أنا أعتقد أننا كلنا أسأنا تقدير عضو في صفنا»، وتابع يقول: «في الأعوام الخمسة عشر التي قضيتها في إدارة هذه المسابقة، لم يسبق أن أحدًا حصل على الدرجة النهائية الكاملة في اختبار التدريب؛ إنه مصمم ليكون صعبًا؛ للتخلص من المرشحين الأضعف، بكلمة واحدة: إنه اختبار صعب».

«قل لنا عن ذلك»، يغمغم كونور.

«عندما تقدمت الأسبوع الماضي ميلودي بروكس من المسابقة معنا، كنت أعتقد أنها مجرد ضربة حظ عندما كان أداؤها جيدًا، ولكن أمس ميلودي صعقتنا جميعًا؛ لقد أجابت بشكل صحيح عن كل سؤال من المئة سؤال».

ثم توقف، ليتأكد من أن الجميع فهم ما يقول، وأضاف:

«العلامة الكاملة للمئة سؤال؛ لذلك فهي في الفريق؟» روز تسأل بصوت غير مصدقة لما تسمع.

«نعم، إنها في الفريق».

«لكن... لكن... سنبدو كلنا غريبين!» قالت كلير، وأضافت: «الجميع سوف يحدقون فينا». فقال الأستاذ ديمنغ بشدة:

«أنا لا أريد أن أسمع أيًا من هذا النوع من الكلام، هل تفهمين؟ أنا فخور جدًا بميلودي، يؤسفني أنني استهنت بها، وأنا سعيد بأن تكون في فريقنا».

الجميع في الصف يتحول للنظر في وجهي، كاثرين تعانقني، روز تومض لي بابتسامة، وأحاول أن لا أركل، ومن ثم أجعل زملائي يأسفون أنني سأكون في الفريق معهم.

«هل سيكون جمهور المسابقة لطيفًا مع ميلودي؟» مولي يسأل. الأستاذ ديمنغ يبدو متأملًا.

«سوف أتصل بمسؤولي مسابقة الفريق، وأطلعهم على ظروفنا الخاصة»، قال، وأضاف: «لكن هذا ليس من شأنكم، الآن استمعوا جيدًا! سوف يجتمع أعضاء الفريق بعد كل يوم مدرسي لمدة ساعتين في الأسبوعين القادمين؛ حتى نصل إلى المسابقة الأولى، جلسات التمارين إلزامية، وها هي الأوراق لإطلاع آبائكم وأمهاتكم عليها، ومن ثم يوقعونها، أنا بحاجة إليها غدًا.

أما أنا، فكلما فكرت في ذلك أكثر، أصبحت أكثر انفعالًا؛ التلفاز، الضغط، الناس يحملقون في وجهي، أستطيع أن أشعر بنفسي متوترة ومشدودة. تبدأ ذراعاي وساقاي بالقيام بإعصار الرقص التشنجي، رأسي يرتجفز، أحاول ألا أكون هكذا، لكنني أتشنج - قليلًا فقط، الجميع التفتوا إلى الصوت، أستطيع أن أرى مولي وكلير تهزان أيديهن، وتركلان أرجلهن، وتصدران ضوضاء

مجنونة وهما تقلّداني، ضحك عدد قليل من الطلاب، وامتقع وجه الأستاذ ديمنغ، أضع طاقتي كلها في إبهامي، وأضغط كلمة «الذهاب». كاثرين وصلتها الرسالة فتهرع بي خارجة من هناك، أريد أن أجد حفرة، وأريد الاختباء فيها.



الفصل الثاني والعشرون

الأسبوعان المقبلان يمران بسرعة.

على الرغم مما بدر مني من غرابة يوم الثلاثاء في الصف، فقد حضرت التمرين بعد ظهر يوم الأربعاء وكأن شيئًا لم يكن؛ ربما لا شيء على أي حال؛ لقد تصرفت على طبيعتي، لست متأكدة مما يعتقده الآخرون؛ فهم لم يقولوا شيئًا عن ذلك.

لذلك بقيت -مثل سائر أعضاء الفريق والبدلاء- أتأخر كل يوم بعد المدرسة لحضور التمرين، من الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر إلى ما يقرب السادسة مساء.

ما زلت لا أستطيع تجاوز حقيقة أنني كنت جزءًا من فريق. حسنًا، هذه حقيقة؛ كان هناك فريق، وكنت هناك، وكنا جميعًا في الغرفة نفسها، لكننا لم نكن فريقًا بالضبط؛ لقد أعربوا عن تقديرهم لحقيقة أنني عادة ما أمتلك الإجابات الصحيحة، ولكن...

عندما أعطانا الأستاذ ديمنغ أسئلة الاختيار من متعدد للإجابة، كنت أُضطر إلى التفكير لحظة فقط، ثم أضرب الحرف الصحيح على جهازي، لكن الكثير من التحضيرات للمشاركين تضمنت نقاشات؛ نقاشات سريعة وغاضبة وأخذًا وردًا، وكان لدي صعوبة في إضافة أي شيء إلى ما كان يقال في معظم الوقت.

- «واحدة من الكلمات الإنجليزية التي فيها أطول أحرف علة، هي: (screeched) زعق، أعلن كونور في عصر أحد الأيام بينما كان يقضم بصوت عال إصبع شوكولاتة.

- «هذه كلمة تناسب ميلودي»، قالت كلير وهي تنتزع قضمة من قطعة الشوكولاتة من يده.

لم أستطع الرد، ولا أحد كلف خاطره أيضًا بالرد عليها.

- «ماذا تسمون تلك النقطة التي تكون فوق حرف (i)، سألت إيلينا المجموعة. عرفت أنا الجواب لكن الكتابة تستغرق مني وقتًا كي أهجئ الكلمة لجهازي الناطق، فأجابت أماندا بسرعة:

- «إنها تسمى (الذَّرَّة) مثل دماغ في الصف الخامس».

«أوه، إنها تسمى سناب». قال رودني.

كنت أنوي طباعة (سناب) عندما قالت ذلك أيضًا، ولكني كنت بطيئة جدًّا، وكان الفريق قد انتقل بالفعل إلى سؤال آخر.

يا إلهي! إنهم يتحدثون بسرعة.

- «من كان أول طفل يولد في المستعمرات الأميركية؟». سألت روز، وهي تقرأ من كومة هائلة من البطاقات في يدها.

- «فيرجينيا داري» أجابت إيلينا. «حسنًا، الآن دوري». قلّبت البطاقات في يديها.

- «من كانت أول ملكة جمال أمريكا؟». فقال كونور:

- «هذا غباء». ثم أضاف: «إنهم لا يسألون أسئلة فتاة غبية وأشياء من هذا القبيل». فسألته كلير:

- «ألا تعرف الجواب أنت؟».

- «بالطبع أنا أعرف»، أجاب كونور مع شخير. «مارجريت جورمان، في عام 1921م، وكان عمرها ستة عشر عاماً، وربما تبدو أفضل منكِ».

كان هو ورودني الوحيدين اللذين ضحكا، فقفز رودني في ذلك الحين، وقال:

- «أنا عندي سؤال شرير؛ ما هو التقمل؟

دون تفكير، أجابت روز:

- «عندما تكون فروة رأسك كاملة مليئة بالقمل! ياه، هل تعرف هذا من تجربة شخصية؟

- «بالطبع لا، كنت فقط أبحث عن كلمة صعبة »، قال رودني لها.

كان هو وكونور الوحيدين اللذين لم يضحكا هذه المرة.

- «أنت تريد كلمة صعبة - إليك بواحدة»، قالت أماندا للمجموعة. «ما هي كلمة hexadectylism الست عشري».

بدت الكلمة صادمة للجميع لمدة دقيقة، لذلك وجدت الوقت للطباعة فكتبت الرقم 6، يليه كلمة الأصابع، ثم دفعت التشغيل حتى يتمكنوا جميعًا من سماع إجابتي.

- «رائعة، يا ميلودي»، قالت إيلينا. «كيف تعرف كل هذه الأشياء؟» همست كلير لروز، فقالت روز:

- «إنها ذكية»، ثم أخذت تُقلِّب المزيد من البطاقات، فأضافت كلير:

- «لكنها سوف تبدو غريبة على التلفاز، ألا تظنين ذلك؟» كما لو أني لم أتمكن من سماعها، لكني كنت على استعداد لها، فقد كتبت بضعة أشياء من قبل، لذلك كل ما كان عليَّ القيام به هو الضغط على زر.

- «التلفاز يجعل الكثير من الناس يبدون مضحكين»، قالت الآلة. «ربما حتى أنتِ، يا كلير».

- «أوه، انظري من على رأسه... الآن» ردَّ عليها كونور. «برافو، ميلودي».

لو كنت أستطيع أن أرقص لكنت قد رقصت!

لكنها تلك اللحظة اختفت بأسرع مما حدثت، ازدادت سرعة الفريق بسرعة الصواريخ، وتغذية كل منهم للآخرين بالمعلومات وتبادل المعرفة والمهارة. بالمعدل الذي كانوا يسيرون عليه في طريقتهم، لم يكن هناك أي وسيلة أستطيع بها القفز بسرعة كافية؛ لقد استمعت، ومع ذلك، تذكرت كل شيء «ما الحجر الوحيد الذي يعوم؟».

- حَجَرُ الخَفّافِ البركاني.

- «كم عدد الكروموسومات التي لدى الإنسان؟».

- «ستة وأربعون».

«ما أول ولاية تسمح للنساء بالتصويت؟».

- «وايومنغ».

- «ما الاسم الأول للسيد ديمنغ؟».

- «والاس». ضحكنا جميعًا لذلك.

في نهاية كل دورة تدريب، أعطانا الأستاذ ديمنغ مسابقة رسمية أخرى من المقر الوطني، ولأنها تتكون دائمًا من أسئلة اختيار من متعدد، كنت دائمًا أجيب عنها، ولكنني أردت أن أكون مثل البقية منهم مثلما درسنا.

ذات خميس وفي منتصف جلسة التمرين، طلبت أم روز البيتزا للجميع، وجرى جلبها وتسليمها للمدرسة.

- «أمك رائعة». قال كونور. فردت روز:

- «أنت على الرحب والسعة، كونور»، ثم ضحكت.

هرع الجميع للحصول على البيتزا الساخنة التي كانت رائحة تتبيلاتها تفوح من العلبة.

كنت جائعة مثل البقية، ولكنني بقيت في مكاني.

- «ألا تريدين بعض البيتزا؟»سألتني إيلينا. «سوف أذهب لأحضر لك قطعة». لم تقل الكثير خلال التدريبات، لكنها كتبت ملاحظات كثيرة، وسجلت درجات عالية في مسابقاتها.

- «لست جائعة»، قلت لها.

كيف يمكنني أن أشرح لها أنه من دون كاثرين أو أمي أو السيدة V، لا أستطيع تناول الطعام؟ إنهم يطعمونني مثل طفل؛ ومع ذلك أحدث فوضى عند الأكل.

عندما جاءت أمي لاصطحابي، سألتني إن كنت أرغب في التوقف لتناول البيتزا ونحن في الطريق إلى البيت، فهززت رأسي.

الفصل الثالث والعشرون

كان فجر يوم المنافسة الفعلية مشرقًا وباردًا، كنت أرتعش من البرد في هواء أوائل آذار في أثناء انتظارنا أنا والسيدة V لحافلة المدرسة، كانت سترتي جيدة، وكنا قد قررنا استخدام الكرسي اليدوي اليوم؛ لأن الكهربائي، حتى مع سلالم السيارة، ثقيل قليلًا، يصعب على أمي التعامل معه.

– «هل أنت مستعدة ميلو يلو؟»، سألتني السيدة V.

– «آه. أجل!».

– «أشعر برأسك وكأنه سيرقص مع كل تلك الحقائق المحشوة بداخله؟». قالت لي مداعبة.

– «أوه، نعم!»، وابتسمت في وجهها.

– «ستفعلين كل ما هو ممتاز اليوم، بل أفضل من ممتاز؛ ديناميت، ربما ما هو رائع!»، قالت السيدة V.

– «أوه، نعم!»، أسمعتها مرة أخرى، فأضافت:

– «سوف نكون جميعنا وسط المدينة في قاعة الحضور نشجعك».

– «والفريق؟»، تساءلت.

- «وهل هناك آخرون في الفريق؟» تساءلت هي، وصفعت نفسها على جبينها، ثم قالت:

- «اعتقدت أنك وحدك!»، فقلت:

- «وهناك أيضًا فِرَق من مدارس أخرى».

- «لا تقلقي، أنتِ أذكى منهم جميعًا، ولو وُضعوا كلهم معًا! ولذا فإننا سوف نهتف بأعلى صوت لكِ، أمك وأبوكِ وأنا وبيني».

- «هل شكلي على ما يرام ؟»، سألتُ السيدة V التي أخذت تتفحصني من رأسي حتى قدميَّ.

- «مثل نجوم التلفاز!» أجابت، «أمك وضعت لكِ بلوزة إضافية في حقيبتك، تجنبًا لأي طارئ، وكاثرين تعرف ما يجب فعله». أنا سعيدة لأن كاثرين سوف تذهب معنا، وأعتقد أن الأستاذ ديمنغ سعيد أيضًا.

- «قولي لي الخطة مرة أخرى».

- «سوف تأتي أمك لتأخذك من المدرسة، ثم تأخذك لتناول وجبة طعام، وتوصلك إلى أستوديو التلفاز قبل خمس عشرة دقيقة من بقية المتسابقين، وبيني ووالدك وأنا سوف نلتقي بك هناك».

- «والناس في التلفاز ألا يفزعون عندما أظهر؟»، فقالت:

- «إنهم على أتم الاستعداد للقائك، وفي الواقع، إنه من الممكن أن يكون هنالك بعض الصحفيين ويريدون التحدث معك».

- «أنا؟ لماذا؟». لا أستطيع أن أتخيل لماذا يرغب أي شخص من المتبعين للأخبار أن يتحدث مع شخص لا يمكنه التكلُّم إلا من خلال جهاز، إنه لَحديث ممل ذاك.

- «أنت قصة إنسانية رائعة للآخرين الذين يرغبون في معرفة مزيد عنك»، فتساءلت:

- «ألن يسخروا مني؟»، فمجرد التفكير في الأمر يجعل راحتَي يديَّ تفوح منهما رائحة العرق. شبكت السيدة V يدها بيدي وقالت:

- «على الإطلاق؛ إنهم سوف يعجبون بك، وأنا متأكدة. أنتِ ستيفن هوكينج الذي تمتلكه مدرسة شارع سبولدينج الابتدائية، وهم سعيدو الحظ بكِ!».

- «آمل ذلك».

- «ها هي ذي الحافلة الخاصة بكِ قد وصلت. يومًا عظيمًا يا ميلودي، سوف أراكِ هذا المساء».

تمكنت من قضاء اليوم في المدرسة دون إراقة أي شيء على ملابسي، وشعرت بالارتياح لرؤية أمي عندما دق جرس الحصة الأخيرة في المدرسة، وبعد تناول وجبة سريعة من المعكرونة وصلصة التفاح في السيارة -دون أن تترك أمي الذكية أي شيء أحمر على ملابسي- توجهنا إلى وسط المدينة.

عثرنا على مساحة لوقوف سيارات ذوي الاحتياجات الخاصة أمام الأستوديو مباشرة، وبعد التفريغ المعتاد للكرسي على سلالم خاصة بالسيارة، أجلستني وثبتت لي الروابط، ثم ربطت ألفيرا بالكرسي، ودرجنا إلى الداخل.

وجهتنا موظفة الاستقبال -وهي امرأة لطيفة مكتنزة مع كثير من الماكياج وشعر أجعد- إلى منصة التصوير، وكان عليّ أن أرسم ابتسامة صغيرة تعبيرًا عن الشكر لها. إن كل شيء تراه على شاشة التلفاز وهمي؛ فقد رأيت المكان الذي تُبث منه الأخبار. عندما كنت أشاهده على شاشة التلفاز في المنزل، كان يبدو لي مثل أن الصحفيين يجلسون أمام نافذة كبيرة يظهر من خلالها كل وسط المدينة، ولكنه هنا مجرد لوحة صغيرة جدًّا، وكذلك المكتب حيث يجلس الصحفيون؛ يبدو أكبر كثيرًا عندما تشاهده من المنزل.

هناك ميزتُ اثنين من المراسلين الذين أشاهدهم كل يوم، لا أستطيع أن أصدق كيف بدت مقدّمة برنامج الصباح نحيلة جدًّا، مع أنها على شاشة التلفاز تبدو طبيعية الحجم. لسوف أبدو وكأنني بالون ضخم عندما أظهر من خلال الكاميرات.

بمناسبة الحديث عن الكاميرات، فهي ضخمة، تشبه العمالقة، وسوداء مثل كائنات فضاء ميكانيكية على عجلات. ورأيت كذلك شبابًا مع سماعات على رؤوسهم، ونساء مع لوحات الإعلانات، يتجولن لفحص الأشياء. كان الجزء الخلفي من الأستوديو مظلمًا، ولكن المكان الذي ستجري فيه المسابقة كان مضاءً بمصابيح قوية، وأستطيع أن أرى المكان الذي ستقف فيه الفِرَق، وأزرارًا كبيرة لينقروا عليها لتظهر الإجابات.

في غرفة أخرى، وراء كل الكاميرات التي تعمل، مقاعد ليجلس الجمهور، وكان بعض الناس بدؤوا بالفعل يتوافدون إليها، وأستطيع أن أراهم من خلال نافذة زجاجية كبيرة.

ارتجفتُ عندما وضعت كاثرين يدها على كتفي.

- «ساحر، هاه؟».

- «حقيقي»، كتبت.

دردشت هي وأمي قليلًا قبل أن يتقدم منا رجل يرتدي الجينز وقميصًا من النوع الثقيل.

- «عفوًا»، يقول لي، «هل أنتِ ميلودي بروكس؟».

فوجئت، وسرعان ما ضربت: «نعم».

- «اسمي بول، وأنا مدير المسرح»، قال موجهًا كلامه لي ويده الضخمة تبتلع يدي الصغيرة وهو يصافحني.

- «أنا سعيد لأنك هنا في وقت مبكر، دعونا نرى هل ما أعددناه كان صحيحًا؟ نحن سعداء حقًا أن تكوني مشاركة».

تحدث مباشرة إلي، وليس إلى أمي أو إلى كاثرين! وقد أحببته على الفور.

جُلنا في الأستوديو، متجنبين الحبال والأسلاك، ودخلنا إلى حيث سوف تجري المنافسة. -«هذا هو المكان الذي سيقف فيه أعضاء كل فريق»، شرح لي، «لكل فريق أربعة أزرار كبيرة للضغط عليها؛ الأحمر للحرف (A)، والأزرق للحرف (B)، والأصفر للحرف (C)، و(D)، بطبيعة الحال، أخضر»، فهززت رأسي موافقة.

- «وهنا، يا آنسة ميلودي، المكان الذي ستجلسين فيه، تمامًا بجوار زملائك في الفريق، وقد أعددت لوحة إجابة خاصة لكِ، وهي بارتفاع الكرسي المتحرك». وبدا عليه أنه فخور جدًّا بنفسه لأنه أنجز هذا الإعداد لي بنفسه.

«رائع!»، كتبت، «هذا ممتاز! كيف عرفت؟».

- «ابني يستخدم كرسيًا متحركًا»، قالها بلامبالاة، «أنا معتاد على بناء الأشياء من أجل رستي دائمًا، ولكن أموره صعبة للغاية، ولا يستطيع فعل ما أنت على وشك ممارسته». انحنى إلى أسفل كي يتمكن من النظر في عينيَّ مباشرة.

«ألحقي بهم الهزيمة، يا بطلة! سوف يشاهدك ابني رستي على شاشة التلفاز».

- «حسنًا!»، كتبت، «من أجل رستي».

اقتادني بدفعه للكرسي إلى لوحة إجاباتي عن الأسئلة، ليتيح لي ممارسة الضغط على الأزرار المرمزة بالألوان الأربعة. ولأنها كبيرة جدًا، فقد كانت أسهل بالنسبة إلي من استخدام الجهاز المتكلم؛ فلست بحاجة حتى للتصويب بإبهامي على أي واحد منها؛ إذ يمكنني استخدام قبضة يدي كلها. وعندما ضغطت على الزر الأحمر أضاء الحرف A على الشاشة أمامي على أنه الجواب.

- «شكرًا، بول»، كتبت له، «شكرًا جزيلًا لك».

ابتسم لي، ثم سدد لكمة سريعة بيده لكل زر من الأزرار ليتأكد من أنها جميعًا تضيء، ثم أخبرني أنه سوف يراني في وقت لاحق.

- «أستطيع أن أفعل ذلك».أخبرت أمي وكاثرين: «أنا جاهزة».

بدأت بقية فريق العمل بالوصول؛ كان كونور يرتدي بذلة سوداء مع ربطة عنق حمراء، وهي في الواقع تبدو جيدة؛ وروز محمرة الوجه ومتوترة، وترتدي اللون الأزرق الفاتح..

- «مرحبًا ميلودي»، قالت لي، «هل أنت خائفة؟».

- «كلا! على الإطلاق»، كتبت لها. وقال كونور شاكيًا:

- «أمي جعلتني ألبس هذه الربطة»، وأدخل إصبعه داخل ياقة قميصه لتخفيف اشتدادها. «آملُ ألا أُخنق على شاشة التلفاز على الهواء مباشرة!».

إذا حدث ذلك، فسوف يكون الاهتمام منصبًّا عليه بدلًا مني. ماذا لو أنني فعلت شيئًا غبيًا، أو بدأ لعابي يسيل والكاميرا تلتقط لي لقطة عن قرب؟

كان قليل من الحزن يبدو على كلٍّ من أماندا، ورودني، ومولي، وإيلينا -البدلاء- وهم يتجولون في الأستوديو؛ إذ لن تتاح لهم فرصة للمشاركة ما لم يحدث شيء في استبعاد واحد من الأربعة منا، وأعتقد أن ذلك يتعلق بكونور إذا أصيب بحالة إغماء، أو أُصبت أنا بتشنجات.

- «هل أنت بخير؟» سمعت روز تسأل أماندا.

- «نعم، ولكن يبدو أني قد تزينت لكي لا أفعل شيئًا»، فقالت روز: «أعرف شعورك».

- «اكسري ساقًا»، قالت أماندا لها.

- «حقًّا؟» تساءلت روز وهي تبتسم.

- «هذا ما كنتِ من المفترض أن تقوليه بدلًا من أن تقولي حظًّا سعيدًا»، توضح أماندا.

- «أعرف، ولكن انظري إلى الأمر بهذه الطريقة؛ ففي نهائيات واشنطن كان هناك ستة أشخاص لكل فريق، بحيث تنفرج الأمور قليلًا ونحصل على فرصة».

- «إذًا اذهبي إلى هناك وفوزي!».

- «سوف أفعل!».

أظهرت كلير ومولي حركات مضحكة أمام الكاميرات، متظاهرتين بأنهما على الهواء، من غير أن يتحدثن إليَّ.

- «انظري، كليرا»، قالت مولي، وصوتها فيه رهبة من شيء ما، «يمكنك أن تشاهدي انعكاس صورتك في تلك الكاميرا هناك!».

«هل أبدو على ما يرام؟»، قالت كلير متسائلة، وأخذت تمسد ملابسها.

- «تبدو عليكِ العَظَمة»، قالت مولي مؤكدة لها.

- «أنت تعرفين أنه يجب حقًا أن تكوني هناك بدلًا من ميلودي»، تقول كلير بصوت عال بما فيه الكفاية لأسمعَ.

- «حسنًا، أنا مستعدة إذا أخطأت»، همست مولي متطلعة إلى الخلف، أما أنا فقد هززت رأسي مفكرة في الحذف، الحذف، أن أحذف كل ما سمعته منهن، وبأي حال من الأحوال فأنا لن أسمح للسلبية منهما بأن تشوشني أو تربكني فعندي ما يكفي لأفكر فيه.

هُرع الأستاذ ديمنغ وهو يرتدي بذلة زرقاء ذات العلامة التجارية الجديدة، وقميصًا أبيض جديدًا، وسترة حمراء، وربطة عنق، وهتف الفريق بأكمله، وكونور يعطيه كفًا بكف. حملق قليلًا في من حوله مثل نحلة عصبية، متحققًا من تفاصيل كل شيء، ثم تمنى لنا جميعًا حظًا سعيدًا، وذهب للجلوس في منطقة المراقبة؛ إذ لا يُسمح للمعلمين بالاقتراب من الطلاب خلال المنافسة، لكن كاثرين سُمح لها بالوقوف خلف الكاميرات؛ تحسبًا فقط لأي طارئ معي.

بدأت الفِرَق الأخرى تملأ الأستوديو كذلك. كان أعضاء فريق أكاديمية جرين هيلز كله يرتدي الكنزات الصوفية الخضراء، ليست فكرة سيئة ولكن البلوزات قبيحة. فريق آخر من مدرسة كراون الابتدائية، يرتدي تيجانًا شكلية صغيرة على رؤوسهم، وقد بدا لي أن ذلك أمر مبالغ فيه. أما فريقنا فلم يفعل أي شيء خاص به، فهم ليسوا بحاجة إلى أي شيء من ذلك، ما دمت أنا معهم.

الفصل الرابع والعشرون

حان الوقت. «الكاميرات تتحرك وتدورا»، شخص ينادي، «خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان...»، ويشير إلى الرجل على المسرح الرئيس، المنسّق، وهو رجل نحيف، بشعر يبدو أنه أُلصِق في مكانه لصقًا. يضبط الرجل ربطة عنقه الحمراء المخططة، ويبدأ بالكلام مباشرة:

- «مساء الخيرا»، يقول بذلك الصوت الذي يبدو أن المذيعين يولدون به.

- «اسمي تشارلز كينجسلي، وأود أن أرحب بكم في مسابقة الأطفال الأذكياء المحلية جنوب غرب ولاية أوهايوا». انطلقت الهتافات من كل مكان.

- «في غضون أسبوعين، سوف يسافر الفائزون في هذه المسابقة إلى واشنطن العاصمة لتمثيل منطقتنا في بطولات وطنية». مزيد من الهتافات.

- «نتمنى التوفيق لجميع المتنافسين الصغار لدينا!». هدوء في الأستوديو.

- «القواعد بسيطة»، السيد كينجسلي يفسر، «سيُطلب من الفِرَق الإجابة عن خمسة وعشرين سؤالًا، وكل إجابة صحيحة من كل فريق مكون من أربعة أعضاء تستحق نقطة واحدة لكل منهم، ومن ثم فإن أقصى قدر من الدرجات الكلية لكل فريق هي مئة نقطة».

توقف للحظة حتى تتمكن الكاميرات من إظهار اللوحة، ثم أعلن:

- «الفريقان اللذان يحققان أعلى الدرجات في جميع الجولات التمهيدية سوف يلتقيان فيما نسميه (الدور النهائي)، ولذلك فإن مجموع النقاط التي يحصل عليها كل فريق حاسم. وسيعلن الفائز بصفته البطل في المباراة النهائية من مسابقة الأسئلة لمجتمعاتنا المحلية على مستوى المدارس الابتدائية، وسوف يتقدم للمسابقة الوطنية في واشنطن. والفريق الفائز سيظهر على الهواء مباشرة على التلفاز الوطني في برنامج **صباح الخير يا أمريكا**، صباح اليوم التالي!». علت الهتافات والتصفيق.

- «لدينا أول فريقين للمنافسة الليلة، وهما مدرسة وودلاند الابتدائية ومدرسة شارع سبولدينج الابتدائية. خذوا أماكنكم، سيداتي وسادتي».

المتسابقون الأربعة من وودلاند والآخرون الثلاثة أعضاء من فريقنا يتقدمون إلى منطقة الاختبار، يلوحون أمام الكاميرات، وأوصلتني كاثرين إلى مكاني، وتأكدت أنه يمكنني بسهولة الوصول إلى الأزرار، ثم عانقتني بسرعة ومشت مبتعدة.

- «أود أن أتوقف لحظة»، يقول السيد كينجسلي، «لإدخال مشارك خاص جدًّا في المنافسة لدينا هذا المساء؛ اسمها ميلودي بروكس»، فاستدارت الكاميرات في الاتجاه الخاص بي. كانت أضواء الأستوديو ساطعة وساخنة بصورة لا تصدق.. أخذت أشعر برطوبة تفوح منها رائحة العرق.

- «على الرغم من أن المتسابقين الآخرين سيقفون، فإن ميلودي ستجلس وهي تجيب عن الأسئلة، وقد أجرينا تعديلات على لوحة الإجابة بحيث تستطيع الوصول إلى الأزرار، ولكن لا شيء آخر. أسمع أنها منافسة شرسة».

حاولت التلويح، ولكنني أدركت أنني سأبدو مثل بلهاء ومترنحة، لذلك سحبت يدي إلى أسفل متراجعة.

كانت روز تقف بجواري، وكونور في المنتصف، وكلير في الطرف الآخر.

- «أشعر وكأنني على وشك أن أتقيأ»، سمعت كلير تهمس.

- «لا تحاولي حتى التفكير في ذلك!» همس كونور لها.

- «سنبدأ بجولة تمرين حتى تتمكنوا من تعرُّف نظام الأزرار لدينا بأنفسكم. هل الجميع مستعد؟

أي مما يأتي من الثدييات؟

A. القطة.

B. الطيور.

C. السلحفاة.

D. العنكبوت».

الجميع، وأنا من ضمنهم، يضغط A، بطبيعة الحال. فأضاءت الشاشات أمامنا بحرف A.

- «ألا ترغبون أن تكون جميع الأسئلة بهذه السهولة؟»، سأل السيد كينجسلي وهو يضحك. القهقهة.

- «تذكّروا شيئين»، نبّه الجميع، «الأول: هذه مسابقة فريق، والثاني: هذا ليس اختبارًا في السرعة، ولكن في الدقة. يحصل الفريق على مزيد من النقاط إذا توصل المتسابقون الأربعة إلى الإجابة الصحيحة، والفريقان الحاصلان على أكبر عدد من النقاط يتقابلان في نهائيات البطولة. هل نحن مستعدون؟».

– «جاهزون!»، أجابه المتسابقون السبعة على خشبة المسرح. أردتُ ضرب كلمة مستعدة على اللوح الخاص بي، ولكنني قررت التركيز على المسابقة بدلًا من ذلك.

– «جولة واحدة سيكون لها خمسة وعشرون سؤالًا. دعونا نبدأ. رقم واحد».

أحسست بالتوتر. ها نحن نبدأ!

– «إن متوسط عمر ذبابة أيار الكبيرة يمكن أن يراوح بين:

A. دقيقة وساعة.

B. ثلاثين دقيقة ويوم.

C. يوم واحد وأسبوع واحد.

D. أسبوعين وشهر واحد».

بنج! بنج! بنج! بنج! الجميع يضربون الأزرار الخاصة بهم، وحال الحصول على الإجابات، تعرَض قراءاتها على الشاشة. الجميع في فريقنا أجاب B، وشخص واحد من فريق وودلاند أجاب A.

يبتسم السيد كينجسلي ويقول: «ثلاثة لفريق وودلاند»، ويشير إلينا: «مدرسة سبولدينج لديها الآن أربع نقاط مع جميع الردود الصحيحة».

نستطيع فعل ذلك. أستطيع أن أفعل ذلك. هات السؤال الآتي!

– «رقم اثنين»، قال بتنغيم: في أي عام دارت معارك ليكسينجتون وكونكورد في الحرب الثورية الأمريكية؟

A. 1774

B. 1775

C. 1776

D. 1777

هذا سؤال صعب قليلًا، أنا ضغطت B، وكذلك صنع الجميع، والنتيجة هي الآن سبعة إلى ثمانية. ويواصل السيد كينجسلي: «في الأدب كلمة (الأضداد)، تعني أيًّا من الآتي؟

A. مزيج من الكلمات المتناقضة.

B. نتائج سلسلة من الأحداث.

C. إشارة ضمنية إلى حدث أدبي أو تاريخي.

D. قصة رمزية أو سرد رمزي».

أنا واثقة إلى حد كبير أن الجواب هو A، ولكن هذه الكلمة يمكن أن تعني «طفلة معاقة رأسها كبير تعتقد أنها يمكنها الفوز في مسابقة وطنية».

عندما عُرضت الأجوبة على الشاشة، تبين أن كونور قد أخطأ، وكذلك اثنان من أعضاء فريق وودلاند، فأصبحت النتيجة حتى الآن: تسع نقاط لمدرسة وودلاند، وإحدى عشرة نقطة لمدرستنا. ما زلنا في المقدمة، ولكن بقي لدينا اثنان وعشرون سؤالًا للإجابة عنها.

- «السؤال الآتي»، يقول السيد كينجسلي، «له علاقة بالرياضيات». أوه، هراء، أنا في ورطة كبيرة. ثم أردف:

- «توجد 2357 لوحة في متحف الفن، والمتحف فيه مئة وأربع وعشرون غرفة، فما تقدير عدد اللوحات في كل غرفة؟

A. 10

B. 20

C. 60

D. 200

نعم، أنا في ورطة. دعونا نرى، يجب عليَّ تصور المتحف... والغرف... واللوحات الجميلة. كم العدد في كل غرفة؟ غير متأكدة. تقسيم ماذا على ماذا؟ غير متأكدة. سأقولُ ستون. وعندما أومض الجواب B، شعرت أنني حمقاء، ولكن روز أخطأت أيضًا، وكذلك طفلان من فريق وودلاند. النتيجة 13-11. مع انتهاء الوقت نصل إلى السؤال الخامس والعشرين. بدأت أعرق وأعطش، ولكنني غير جائعة. تبادل الفريقان الجولات بضع مرات، فأحيانًا كانوا يتقدموننا، وأحيانًا أخرى نتقدمهم نحن بنقطة أو بضع نقاط.

أجبت عن أكثر أسئلة فنون اللغة إجابات صحيحة، ولكن أسئلة الرياضيات عجزت عنها؛ ولأن كونور لا يستطيع التهجئة، فقد أضاع عديدًا من تلك الأسئلة؛ أما روز فهي ضعيفة في التاريخ؛ وكلير لديها مشكلة في العلوم؛ والشيء نفسه تقريبًا مع فريق وودلاند؛ بعضهم جيد في مجالات معينة، وبعضهم الآخر جيد في مجالات أخرى.

- «نأتي الآن إلى السؤال الأخير لدينا لأول فريقين»، أعلن السيد كينجسلي، وتنحنح، ثم بدأ:

- «ما الحدث الذي تبلغ درجته 6. 5 درجة على مقياس ريختر؟

A. تورنادو.

B. إعصار.

C. زلزال.

D. تسونامي».

بنج! بنج! بنج! أنا لكمت C واسترخيت. أما كونور، وروز، وكلير جميعًا فأجابوا عن السؤال الأخير إجابات صحيحة كذلك، وأجاب شخصان من فريق وودلاند بـ(إعصار) بدلًا من ذلك.

عند مقارنة النتائج، حصل فريقنا على واحد وثمانين نقطة، وحصل فريق وودلاند على سبعة وسبعين نقطة.

- «تهانينا لمدرسة سبولدينج!»، قال السيد كينجسلي مع ابتسامة صقيلة، «إن الفريقين الحائزين أعلى الدرجات سوف يلتقيان في الجولة النهائية في وقت لاحق الليلة. حظًّا سعيدًا، ونأمل أن نراكم مرة أخرى».

فوز! من الجولة الأولى.

وحالما توقف العرض ليقدم التلفاز إعلانات تجارية، انصرفنا جميعًا إلى غرفة الانتظار الخاصة في الجزء الخلفي. كان الطلاب من وودلاند ينظرون حقًّا بخيبة أمل؛ فهذا ما حصلوا عليه من كامل المنافسة، وكل ما يمكنهم فعله الآن هو المشاهدة، في حين يتوجه الفريقان الآخران المتنافسان إلى المنصة تحت الأضواء.

كانت أمي، وأبي، وبيني، والسيدة V، وكاثرين، كلهم ينتظرونني في الغرفة الخلفية، فعانقوني وقبَّلوني وكأنني قد فزت في اليانصيب أو شيء من هذا، ورقصت كاثرين قليلًا تعبيرًا عن فرحتها، وقال أبي لي إنه قد صور كل شيء بالكاميرة.

- «لقد أبدعتِ يا ميلودي!»، تصرخ السيدة V.

- «أنا فخورة جدًّا بك يا حبيبتي!» قالت أمي.

- «هل لي أن أشرب؟»، كتبت بأسرع ما أستطيع، وأنا أشعر بضيق التنفس، والجميع يضحك، في حين تندفع كاثرين لتجد لي كوبًا ورقيًّا من المشروبات الغازية التي توزع بالثلج في غرفة انتظار المتسابقين.

نقّطت أمي قطرات من المشروب المثلج في فمي، رشفة واحدة في وقت واحد، وهو ما يجعلني لا أدلق شيئًا على قميصي. أنا عطشى جدًا، ولا أهتم حتى بالناس من الفِرَق الأخرى الذين يحدقون في وجهي. بعد أن تحدث الأستاذ ديمنغ مع روز وكونور وكلير، توجه إلينا مبتهجًا:

- «هذا مثير يا ميلودي! فقد كنتِ مذهلة هناك! وأنا فخور جدًّا بفريقنا وبالذات بك أنتِ».

- «شكرًا»، كتبت. «ماذا بعد؟»، فأضاف:

- «إننا ننتظر الفِرَق القادمة للتنافس، ثم سنفوز على الفريق الفائز بأعلى النقاط، ونحزم حقائبنا لواشنطن!».

- «لا تتسرع في حزم الحقائب»، كتبت مبتسمة. فقال لي:

- «الحقائب معبأة من عشر سنوات، كنت أنتظر فقط الفريق المناسب، وهذه السنة هي سنتنا؛ أنا متأكد».

كان يجول هنا وهناك ليتحدث مع أولياء الأمور الآخرين، ولم أكن أفكر أبدًا فيمَا يحلم المعلمون، ولم يكن لدي أي فكرة عما تمثله هذه الصفقة الكبيرة له.

اقتربت روز وجلست القرفصاء بجانب بيني:

- «أنا أحب قبعتك»، تقول لبيني، التي تمسك باللعبة بحميمية وترتدي قبعة زرقاء، منقطة مع ريشة حمراء.

- «وو - زي!»، قالت بيني بابتهاج لروز.

- «كيف حال طفلتي المفضلة؟»، قالت روز لها بصوت هامس، فكررت بيني:

- «وو-زي!».

- «لقد أحسنت صنعًا حقًا يا ميلودي»، قالت لي روز.

- «وأنت أيضًا»، كتبت لها.

- «هل تعتقدين أن لدينا فرصة للنهائيات؟».

- «نعم!».

- «وواشنطن؟»

- «نعم!».

- «ونكون على صباح الخير يا أمريكا؟».

- «آه أجل!». بقيت كلير على الجانب الآخر من الغرفة ومعها والدها ووالدتها، ولكن كونور تمهل مرارًا ووقف بجانب روز.

- «أنتِ جيدة يا ميلودي»، قال، «لقد تفوقت عليَّ بإجابتين!».

- «وأنت أبدعت في الرياضيات»، قلت له.

- «أنا أعرف»، يجيب مبتسمًا، «ولكنني ما زلت لا أستطيع التهجئة! آمل ألا يكون لديك أي أسئلة إملائية في النهائيات».

- «أنا ذاهبة إلى الحمام!»، قالت روز فجأة، «أنا عصبية جدًا عند النهائيات!»، قالتها وهي تسرع بالذهاب للحمام. أعرف ما تعنيه؛ فأنا أشعر بأن الفراشات، والعث، ونحل عملاق ترفرف داخلي.

عندما كنا في الأستوديو أمام الكاميرات، شعرت أن أمامنا مليون سنة لاستكمال جولتنا، ولكن في دقائق معدودة عادت المجموعة الثانية من المتسابقين إلى غرفة الانتظار. المدرسة بالتيجان الصغيرة فازت بالجولة الثانية بتسعٍ وسبعين نقطة، ثم في آخر نصف ساعة أحرزت مدرسة أديسون الابتدائية لقب الجولة الثالثة بثمانين نقطة.

أخيرًا مدرسة بيري فالي تفوز في الجولة الرابعة باثنتين وثمانين نقطة، بفارق نقطة واحدة فقط أكثر منا.

- «لقد شاهدتهم»، السيدة V تقول لي عندما عادوا إلى الغرفة، متحمسة ومنتشية.

- «إنهم حقًّا جيدون».

- «هل يجب علينا أن نقلق؟»، سألت.

«بالتأكيد لا! فريقنا هو الأفضل؛ لأنهم يمتلكون السلاح السري!».

فجأة، حدثت موجة من النشاط في الغرفة حين جاء عمال المسرح لدعوتنا للدخول:

- «مدرسة وادي بيري وشارع سبولدينج، تفضلوا، نحن بحاجة إليكم مرة أخرى على الأستوديو للنهائيات! لدينا مدرستان حاصلتان على أعلى الدرجات، تهانينا!».

أسرعنا إلى أماكننا، والأضواء تبدو أكثر سطوعًا هذه المرة. عاد السيد كينجسلي إلى منصته، وأمسك الميكروفون بعد تعديله من قبل فريق الأستوديو، ثم صرخ قائلًا:

- «مرحبًا بكم ثانية، السيدات والسادة، إلى الدور النهائي من مسابقتنا الإقليمية! الفائزون في هذه الجولة سوف يمثلوننا جميعًا في واشنطن العاصمة، في غضون أسبوعين فقط! جميع أعضاء الفريق الفائز، جنبًا إلى جنب مع مرافقيهم، سوف يتلقون جميع النفقات المدفوعة لرحلتهم إلى عاصمة أمتنا، لثلاث ليال في أحد الفنادق، ومع جولات في المدينة».

- «الكأس! الكأس!»، صرخ أحد الحضور.

- «أوه، وجائزة بطولة المسابقة الشهيرة! الفريق الفائز في واشنطن سيعود حاملًا الكأس الذهبي الضخم، ويحل ضيفًا على **صباح الخير يا أمريكا**، ومدرستهم سوف تحصل على شيك بألفي دولار لاستخدامها في الجهود الأكاديمية!».

كثير من الهتاف.

- «دعونا نبدأ. هل أنتم مستعدون؟».

- «جاهزون!»، ردوا جميعًا، وأنا جاهزة أيضًا.

■ ■ ■

الفصل الخامس والعشرون

يا إلهي! يا لها من ليلة! ما زلت لا أستطيع أن أصدق كيف أن كل شيء اتضح عندما بدأت جولة البطولة. حدث هذا عندما أوضح السيد كينجسلي: «الأسئلة هذه المرة سوف تكون أكثر صعوبة قليلًا. النقاط -مع ذلك- سوف تكون نفسها، والفريق الذي يحقق أفضل درجة من أصل النقاط المئة الممكنة سيكون هو بطلنا».

التقط البطاقات التي تحتوي على أسئلة المسابقة وابتسم:

«هنا السؤال رقم واحد: ما ازدواج النظر؟

A. الرؤية المزدوجة.

B. استخدام اليد اليسرى.

C. مرض اللثة.

D. نوع من أنواع السرطان».

يا إلهي! لم يكن يمزح! فهذه الجولة ستكون جولة قاتلة. إلا أني كنت على يقين أن الجواب هو A، إلى حد ما. عند الكشف عن الجواب (الرؤية المزدوجة)، كان صحيحًا. **يا للعجب!** روز، وكونور، وأنا، كانت إجابتنا صحيحة، وأخطأت كلير. كل فريق بيري فالي أجاب إجابة صحيحة، فكانت النتيجة 3-4.

«سؤال رقم اثنين»، قال السيد كينجسلي، «من ملحن الرابسودي الزرقاء؟

A. موزارت.

B. غيرشوين.

C. جيم كوبلاند.

D. بيتهوفن».

بنج! بنج! بنج! بنج! شكرًا لوالديَّ وللسيدة V؛ هذا كان أسهل قليلًا؛ لقد ضغطت على الزر B. شخص واحد من فريق بيري فالي أخطأ، وكلير أخطأت كذلك. والنتيجة ستة إلى سبعة، لبيري فالي. كان الجميع يشعر بالتوتر، وقد تضمنت الأسئلة العشرون التالية أشياء عن الأسود في الغابة، والجاذبية في الفضاء، والمؤلفين لكتب شهيرة، والرياضيات، وكانت إجاباتي عن بعضها صحيحة.

بنج! بنج! بنج! مع أن كونور واجه مشكلة صعبة في الإملاء، فإن كلير واجهت سؤالًا صعبًا في التاريخ الصعب، وبقي فريق بيري فالي متقدمًا علينا بنقطة واحدة أو نقطتين، وكنا نقترب من نهاية الجولة. ثم تقدم بيري فالي علينا في سؤال بالرياضيات، فأصبح يزيد عنا ثلاث نقاط، وهذا بدا قاتمًا جدًّا بالنسبة إلينا، مع النتيجة من 78–81. حملقت في كونور، فوجدته يقطر العرق من أنفه، ثم سأل السيد كينجسلي:

– «إن الحالة التي قد يكون فيها المرء قادرًا على سماع الألوان، أو تصور النكهات لدى سماعه الموسيقى تسمى:

A. التجميعي.

B. المعايشة.

C. تشابك الحواس.

D. الرمزية».

ابتسمتُ ابتسامة عريضة وضغت C؛ فهذه ليست واحدة فقط من مفردات السيدة V، ولكنها أنا!

تنفست الصعداء عندما أدركت أنني أنا وكونور وكلير وروز جميعنا اخترنا الإجابة الصحيحة، وعند مقارنة النتائج تبين أن واحدًا فقط من فريق بيري فالي أجاب إجابة صحيحة، لتصبح النتيجة 82-82. وحان وقت السؤال الأخير، سيكون هذا هو الذي يحدد المجموعة التي ستذهب إلى واشنطن.

ألقيت نظرة على روز والآخرين، وأعتقد أننا جميعًا ارتجفنا في الوقت نفسه مرة.

- «سؤالنا الأخير لهذه الليلة»، بدأ السيد كينجسلي، «مسألة الرياضيات». تأوهت من الداخل؛ فهذا السؤال هو طريق رحلتنا إلى واشنطن! أنا كذلك قد أعود إلى غرفة 5-H وأختبئ هناك لآلاف السنين.

- «سؤال رقم خمسة وعشرين»، قال السيد كينجسلي ببطء، «ليزا تستيقظ كل صباح وتستعد للمدرسة، وهي تحتاج إلى اثنتين وعشرين دقيقة لارتداء ملابسها، وثماني عشرة دقيقة لتناول وجبة الفطور، وعشر دقائق سيرًا على الأقدام إلى المدرسة، في أي وقت يجب أن تنهض ليزا لتصل إلى المدرسة في الساعة 7:25؟

A. 06:15

B. 06:20

C. 06:25

D. 06:35».

بحاجة إلى الإضافة، ثم الطرح، ولكن كيف يمكنني طرح الوقت؟ أحتاج إلى مشاهدة ساعة! اختلط عليَّ الأمر! الوقت ينفد! لا يمكنني أن أُخطئ الآن!

كان يمكن أن يكون C، ولكنه قد يكون D، فكرت للحظة أكثر، ثم ضغطت D، وأنا أشعر شعور من يلقي حجرًا، وأضاءت الإجابات على الشاشة، وكان الجميع في فريقنا قد أجاب D، فإما أن إجاباتنا جميعًا كانت صحيحة أو أننا جميعًا لا نعرف حساب الوقت.

ثلاثة طلاب في بيري فالي أجابوا D، وواحد منهم أجاب C.

- «حسنًا، يبدو أن لدينا فائزًا، السيدات والسادة الأفاضل! يسرني أن أعلن أن الفريق الذي سيمثلنا في واشنطن العاصمة، هذا العام، ونأمل أن نراه على **صباح الخير أمريكا**، بنتيجة 86-85، و..»، وتوقف للتأثير، «هو فريق مدرسة شارع سبولدينج الابتدائية!».

فقدت السيطرة على نفسي، وانتحبت، وركلت، واهتزت ذراعاي بجنون، وحاولت جاهدة حقًّا السيطرة على نفسي، ولكنني لم أستطع السيطرة على جسدي الذي يبدو أنه قد جن جنونه.

- «أوقفوها!»، سمعت كلير تهمس، «ششششش»، همست روز من خلال الأسنان المشدودة.

- «شكرًا لكم لمشاهدة بثنا»، قال السيد كينجسلي، وألقى نظرة سريعة في وجهي، «يرجى الانضمام إلينا بعد أسبوعين عندما يكون البث التلفازي للنهائيات من واشنطن. هذا هو تشارلز كينجسلي، ليلة سعيدة». وأشار إلى الانتهاء، فتراجعت الكاميرات إلى الظلام، والأضواء -لحسن الحظ- أُطفئت.

لم أستطع التوقف عن الركل، وتصرفت ذراعي مثل رياح عاصفة، مثل لعب الأطفال مع الموز، وصرخت بفرح، ولكن هذه المرة على الأقل لم يلاحظ أحد؛ بسبب موجة الصرخات من العشرات من الناس الذين اقتحموا المسرح.

حمل أبي بيني في ذراع وفي الذراع الثانية كاميرا الفيديو، وأمي، وكاثرين، والسيدة V، هرعوا إليَّ وكادوا يخنقونني تقريبًا بالعناق. حاولت السيدة V أن تبدو غير متفاجئة، ولكن رصانتها لم تكن حقيقية. الأستاذ ديمنغ، والمناوبون، وجميع آباء بقية الأطفال من الفريق هللوا، وقفزوا، وكل منهم يربت على ظهر الآخر. أحد الوالدين دفق الحلويات فوق رؤوسنا، وظهرت البالونات فجأة من لا مكان. رفع أحدهم في الأستوديو مكبرات الصوت، وأطلق أغنية (الاحتفال)، فبدأ الناس بالرقص، ويبدو أنه كما لو أن مليون صورة قد التُقِطت، وكثير منها التقطت لي. بذلت قصارى جهدي للتهدئة والاسترخاء.

- «ابتسمي يا ميلودي!»، قال لي رجل يرتدي قبعة.

نقرة! فلاش!

- «هل يستطيع أي شخص أن يجلسها باستقامة في الكرسي؟».

نقرة! فلاش!

- «هل يمكنني الحصول على صورة للطفلة في الكرسي المتحرك!».

أعتقد أن هذا الرجل كان أحد الصحفيين.

نقرة! فلاش!

- «أين هو الفريق الفائز؟»، سأل مراسل آخر بصوت عالٍ، وأضاف:

- «نريد صورة الفريق للصحيفة! ألا يمكنكم يا أطفال الوقوف حول ميلودي؟ حسنًا الآن، ابتسموا!».

نقرة! فلاش!

كنت أرى بصعوبة. كانت نقاط زرقاء ترقص أمام عيوني، وأضاف:

- «نريد الفريق الفائز لمقابلة تلفازية!»، شخص آخر ينادي، «هل لهم أن يأتوا إلى هنا؟».

اختلط الناس بعضهم ببعض في المكان، وساعدَنا عامل مسرح في ترتيب وقوفنا من أجل التصوير؛ فجلس كونور، وروز، وكلير، في الكراسي بجانبي، ووقفت أماندا، ومولي، وإيلينا، ورودني خلفنا، ووقف الأستاذ ديمنغ بجانب رودني. وكنت آمل أن يكون شعري مرتبًا، وأنني لن أبدو حمقاء للغاية.

أسكتت المراسلة الحشد والكاميرات تتأهب متخذة مواقعها:

- «مساء الخير، هذه هي إليزابيث أوتشوا من القناة السادسة للأخبار. أنا هنا في الأستوديو، ولدينا ونحن نتكلم طلاب من مدرسة شارع سبولدينج الابتدائية، وأعضاء الفريق الفائز في مسابقة الأطفال النابغين التي عقدت هنا الليلة. هؤلاء الثمانية هم من ألمع الشباب في مجتمعنا، الذين شقوا طريقهم للفوز الليلة. دعونا نلتقِ بهم؛ سنبدأ مع البدلاء في الصف الخلفي، وهم الفتية الذين سوف يملؤون الشواغر في الفريق في حالة حدوث طارئ يحول دون مشاركة أحد منهم. من فضلك أخبرني باسمك وعمرك»، سألت وهي تضع الميكروفون أمام كل طالب.

«أماندا فايرستون، سني اثنتا عشرة»، «مولي نورث، عمري إحدى عشرة»، «إيلينا رودريجيز، سني اثنتا عشرة»، «رودني موصل، سني إحدى عشرة ونصف»، فأثار ذلك الضحك، وواصلت الآنسة أوتشوا:

- «ويجلس أمامي فريق البطولة! من فضلك أخبريني باسمك وعمرك كذلك»، «اسمي كلير ويلسون، وعمري إحدى عشرة وحصلت على مزيد من النقاط أكثر من أي شخص آخر في فريقي»، فقالت المراسلة: «أحسنتِ!»،

«أعلم أنك درست جيدًا لذلك»، ثم نقلت المراسلة بسرعة إلى روز: «وأنت...؟»، «روز سبنسر، سني إحدى عشرة»، قالت روز بخجل.

– «ما الحدث الأبرز لك في هذا المساء؟»، سألتها المراسلة في حين تحركت الكاميرا إلى الأمام.

– «كنت في فريق العام الماضي، وخسرنا بسبب عدد قليل فقط من النقاط، لذلك فمن المثير حقًّا الفوز هذه المرة، أنا فخورة جدًّا بفريقنا»، قالت روز مبتهجة.

– «الجواب عظيم! ونحن فخورون أنك كنت كذلك»، قالت الآنسة أوتشوا.

– «والآن لهذا الشاب طويل القامة، اسمك يا سيدي؟» سألت كونور.

– «كونور بيتس. مرحبًا يا أمي!»، تحدث كونور بصوت عال إلى المايك.

– «هل تذكر أصعب سؤال واجهته الليلة؟»، سألته المراسلة، فقال:

– «اعتقدت أن جميع الأسئلة فائقة السهولة»، قال كونور مع ابتسامة، «فاتني قليل عن قصد، حتى المتنافسون الآخرون لا يشعرون بالإحباط!»، فانفجرت الآنسة أوتشوا بالضحك.

– «كيف تشعر عندما تكون في فريق من ضمنه عضو خاص جدًّا؟»، سألته. –«مهلًا، إن ميلودي على ما يرام، إنها ذكية حقًّا، دعيني أقدمها لكم...».

ولكن لم أكن لأسمح له بسرقة فرصتي.

– «اسمي ميلودي بروكس، وعمري أحد عشر عامًا»، قال الجهاز الخاص بي بصوت عال وواضح، فبدت المراسلة مندهشة.

- «حسنًا، هذا أمر مثير للدهشة! كيف تشعرين وأنتِ جزء من الفريق الفائز، يا ميلودي؟». ضغطت المفتاح:

- «روعة»، فضحكت.

- «هل كان من الصعب الدراسة والإعداد للمنافسة؟»، سألت الآنسة أوتشوا.

- «لا، كثير من الناس ساعدوني».

- «ما الجزء الأصعب في المشاركة هذا المساء؟».

- «كنت آمل ألا أخطئ!»، ابتسمت.

- «نحن جميعًا نشعر بمثل هذا في بعض الأحيان. هل تشعرين بالحماسة للسفر إلى واشنطن العاصمة؟».

- «أوه، نعم!».

- «هل سبق لك أن كنتِ هناك من قبل؟».

- «كلا».

- «كونك من الفريق الفائز، كيف يمكن أن يحدث ذلك تغييرًا خاصًا في حياتك في المدرسة؟».

اعتقدت أنه كان سؤالًا جيدًا.

- «ليس كثيرًا».ثم انتظرتني بصبر وأنا أكتب الإجابة الصحيحة، «ربما سوف يتحدث الأطفال معي أكثر».

- «أتحدث إليها في كل وقت»، قاطعت كلير، وبدا الاستهجان في وجه كل من روز وكونور، فقالت روز:

«هاه؟».

انتقلت الآنسة أوتشوا بعيدًا عني إلى كلير:

- «إذًا فأنت تنظرين إلى نفسك على أنك صديقة ميلودي؟».

- «أوه، بالتأكيد»، قالت كلير ملوحة بشعرها الأجعد بلون القرفة، «هي وأنا نأكل طعام الغداء معًا كل يوم، ويختبر كل منا الآخر في أسئلة لمسابقة الفريق، وهي أكثر ذكاء بكثير مما تبدو».

رفعت روز يدها لتتكلم، ولكن المراسلة هزت رأسها، وقالت لروز:

- «أنا آسفة جدًّا، ولكن الوقت قد انتهى»، ثم توجهت إلى الكاميرا وقالت:

«بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الأطفال، لقد التقيت حالًا شابتين متميزتين ؛ وهما صديقتان حميمتان على الرغم من فروقاتهما، وعضوتان في الفريق الفائز.للفريق الفائز في مسابقة الأطفال النابغين الذاهب إلى واشنطن، نقول تهانينا لكم جميعًا!».

لقد صُعقت، كلير صديقتي؟

■ ■ ■

الفصل السادس والعشرون

في خضم كل هذه الضجة بدا الأستاذ ديمنغ وكأنه تلقّى إلهامًا:

- «دعونا نذهب لتناول عشاء الاحتفال!»، قال ذلك مع إطفاء الضوء الأخير في الأستوديو.

قال كونور فورًا:

- «فكرة عظيمة!»، وقالت أماندا:

- «أنا جائعة!»، «على الرغم من أنني لم أكن أمام الكاميرا، إلا أني كنت متوترة جدًّا ولم أتناول الطعام طوال اليوم».

- «أنا أيضًا!»، أضافت إيلينا.

- «ما رأيكم بمطعم لينغويني؟»، اقترح كونور. «إن لديهم كل أنواع السباغيتي.اتركوا الأمر لكونور ليدلكم على أفضل الأماكن لتناول الطعام».

علّق الأستاذ ديمنغ ضاحكًا:

- «قد يفلسون عندما تدخل يا كونور». «لا تحرجني أمامهم».

- «لا تقلق يا سيد ديمنغ، فحدي الأقصى نحو اثني عشر صحنًا من المعكرونة».

- «لينغويني لا بأس به»، قال أبو روز. وأضاف: «نصله مشيًا؛ إنه قاب قوسين أو أدنى من الأستوديو. هؤلاء الأطفال يستحقون ليلة خاصة بهم!».

نظرتُ إلى أمي وأنا غير متأكدة إذا كانت هذه فكرة جيدة.

ثم سارت إيلينا نحوي وقالت:

– «عليك أن تأتي أيضًا، أليس كذلك يا ميلودي؟».

– «نعم، ميلودي»، أضافت روز، «تعالي معنا، لقد أبدعتِ هذه الليلة حقًّا»، وقال كونور وهو يزرر معطفه:

– «نحن ما كنا لنفوز من دونك».

جعلتني أقوالهم أشعر وكأنني واحدة من بالونات الهيليوم التي جلبتها بعض العائلات. –«حسنًا، أنا لن أبالغ إلى هذا الحد»، قالت مولي وهي تلقي نظرة خاطفة على كلير.

– «أنت لم تكوني هناك»، قال كونور مذكرًا مولي.

– «هل ستأتين أم لا؟»، سألت روز.

– «بالتأكيد»،كتبت، «سوف تكون ليلة ممتعة».

ألقيت نظرة على أمي التي هزت رأسها مرة أخرى. أخذ والدي بيني إلى المنزل، وعانقتني السيدة V ووعدتني أنها ستراني في الصباح.

كان الهواء نشطًا، والمحادثة سخيفة، ونحن نتوجه إلى المطعم.

– «كم عدد النوافذ التي في مكاتب ذلك المبنى برأيك؟»، صاح كونور، مشيرًا إلى أعلى مبنى يمكننا أن نراه.

– «خمسة آلاف و274» أجابت روز، وقال رودني:

– «أنت جيدة!»، «كيف عرفت ذلك؟»، ثم سألته روز:

- «كيف تظن أنني أجبت في فريق المسابقة؟»، فرد عليها:

- «كنا أذكياء!»، فقالت مولي لرودني:

- «إنه مجرد تخمين»، «أنتم تصدقون أي شيء».

كان المطعم في ذلك المكان لسنوات، وقد صُمِّم المدخل الخارجي ليبدو وكأنه مقصف من قرية إيطالية صغيرة، رسمت عليه أوراق العنب، والأضواء الصغيرة البيضاء تزين الطوب حول الباب، وعندما فتحه أبو كونور للجميع للدخول، قفز كونور ورودني الخمس درجات من الحجر التي تؤدي إلى الطابق العلوي حيث منطقة تناول الطعام.

الجميع، ومن ضمنهم الأستاذ ديمنغ، هرعوا قبلي وقبل أمي. أخيرًا، كان أبو كونور آخر الصاعدين، وقد نظر إلى وجهي، ونظر إلى الدرج، وأضاءت المصابيح.

- «آه، هل تحتاجون إلى بعض المساعدة؟»، سأل. كان رجلًا ضخمًا مثل ابنه، وأراهن أنه يمكنه ابتلاع عدد آخر من أطباق المعكرونة أيضًا، فأجابته أمي:

- «هل تتلطف من فضلك بأن تكلف أحد العاملين بأن يدلنا على المكان المخصص للكرسي المتحرك؟».

كما لو كان سعيدًا بأن يفعل شيئًا، انطلق السيد بيتس بخطواته صاعدًا بسرعة، وجلسنا أنا وأمي هناك في البرد، وحدنا، وبعد لحظات هرع إلينا نادل يرتدي ملابس سوداء إلى أسفل.

- «أعتذر حقًا. المصعد لدينا في الجهة الأخرى، ولكنه معطل حاليًا منذ بعد ظهر هذا اليوم. والفنّي قادم لإصلاحه أولًا في الصباح»، فقالت أمي له:

- «وهذا لن يساعدنا في هذه الليلة، أليس كذلك؟».

كان صوتها حاسمًا، ولكنه ليس غاضبًا.

- «سأكون سعيدًا لمساعدتك بحمل الكرسي إلى فوق»، قال عارضًا خدماته.

- «لا»، كتبتُ وعيناي تتوسلان أمي، فقالت أمي له:

- «أن تمسك لنا الباب فقط، يا شاب، سنكون على ما يرام»، ففعل ذلك تمامًا. واستدارت أمي بظهرها إلى الدرج، وأمسكت مقعدي بقبضتَي يديها جيدًا، ثم مالت إلى الوراء قليلًا، وسحبت نفسًا عميقًا. كنت سعيدة جدًّا أننا قررنا استخدام الكرسي اليدوي هذا الصباح. تولت أمي بلطف العجلات الخلفية لتصل حافة الدرجة الحجرية الأولى. سحبت. دحرجت. بمب. أول خطوة. سحب. دحرجة. بمب. الدرجة الثانية. سحب. دحرجة. بمب. الدرجة الثالثة. توقفت وسحبت نفسًا آخر. لقد فعلنا هذا من قبل مرات عديدة. سحب. دحرجة. بمب. الخطوة الرابعة. سحب. دحرجة. بمب. الخطوة الخامسة، ثم انطلقنا أخيرًا إلى غرفة الطعام، التي كانت مكتظة وصاخبة، والمرتادون يضحكون.

- «هنا يا ميلودي!»، دعانا الأستاذ ديمنغ حالما شاهدنا ندخل، فقادتني أمي إلى طاولة كبيرة جدًّا، فشعرت بالارتياح لأن الفريق قد ترك لي مساحة كافية مع جميع أطفال الفريق بالإضافة إلى أولياء أمورهم، وقد ملأنا جزءًا كبيرًا من مساحة الطاولة في المكان.

في بعض المطاعم تكون الطاولات منخفضة جدًّا للكرسي، ولكن هذه المرة كنت قادرة على إدخال الكرسي تمامًا في المكان، وساعدتني أمي على

خلع معطفي، ثم جلست في المقعد المجاور لي. شربت الماء من كأسها، وطلبت مَلْأه ثانية، وبدأت النادلات بتلقي الطلبات.

رودني ووالداه طلبوا بيتزا كبيرة بالفطر والبصل.

- «نحن نباتيون»، شرح رودني، ولم أكن أعلم.

- «يا أبي، هل يمكنني الحصول على شريحة لحم؟»، طلب كونور، فربت والده على ظهره، -«بالتأكيد، وأعتقد أنني سوف أطلب واحدة لي. هذه الليلة يمكنك الحصول على أي شيء تريدُه!»، فجحظت عيون كونور:

- «كعكة الشوكولاته كلها؟».

«ستغدو سمينًا يا صبي»، أجاب والده.

و قالت روز للنادلة:

- «أريد معكرونة باستا خفيفة».: «مع جبنة إضافية»، وقالت أماندا: -«وأنا أيضًا!».

- «هل لي بسباغيتي مع اللحم، من فضلك؟»، طلبت إيلينا. وطلبت كلير ومولي اللازانيا. وعندما اقتربت النادلة مني أنا وأمي، كنت أنا على استعداد:

- «سآخذ ماك وجبنة، من فضلك»، جعلتُ ألفيرا يقول، وبدت النادلة مندهِشة قليلًا، فقد وضعت الجهاز تحت الطاولة، لكنها كانت لطيفة، وتصرفت كما لو أنها معتادة يوميًا على هذا الجهاز.

- «بالتأكيد يا حبيبتي، هل تريدين قليلًا من السلطة معها؟».

- «لا، شكرًا».

ابتسمت لي ابتسامة كبيرة حقيقية، ثم انتقلت نحو أمي. أمي طلبت سمكًا مشويًا فقط في مطعم إيطالي! وبينما كنا ننتظر طعامنا تواصل المزاج المرح.

كانت الطاولات مغطاة بالورق الأبيض بدلًا من مفارش المائدة، لذلك فإن الجميع، ومن ضمنهم الكبار، تناولوا الطباشير والأقلام المقدمة لهم.

- «انظروا إلي.. لقد رسمت هذا الأرنب الوحش العملاق!»، قال كونور وهو ينظر إلى ما رسمته روز، ثم أضاف أسنانًا كبيرة خضراء لأرنبه الذي رسمه، «ولسوف يأكل هذا الذي رسمتِه للتو»، فضحكت روز.

- «حسنًا، هذا هو العنكبوت السام، وسيلدغ أرنبك العجوز السخيف!».

أعاد رودني وكونور صف الممالح وأوعية الفلفل، وبدؤوا بنثر حزم السكر على الحاجز المتشكل من الشوك والملاعق كما لو أنها المقاليع، ولكني لاحظت أن كلير التي كانت تجلس بجانب رودني، كانت هادئة هدوءًا غريبًا، حتى إنها لم تلتقط قلمًا للتلوين.

- «اشتبك مع العدو العدو!»، صاح كونور، «هدف!».

- «أنت لم تكن حتى في منطقتي، يا رجل! بالإضافة إلى أنك قذفت الشيء الوردي بالسكر الخطأ. يمكنك فقط الحصول على نصف درجة لتلك الأشياء!».

جلست وشاهدت زملائي يفعلون مثل هذه الأشياء العادية: رسم، وضحك، وإغاظة، ومزح، وأنا في الحقيقة حاولت جاهدة أن أبدو وكأنني كنت ألهو أيضًا معهم، لكن كل ما أردت فعله هو العودة إلى بيتنا.

عندما جلبت النادلة أخيرًا لنا الطعام والشوك، أصبح من المهم تناول الطعام، فانتهت الحرب فجأة، وتباطأت المحادثة بين الجميع الذين انهمكوا في وجباتهم. عض كونور على شريحة ضخمة من اللحم أمامه، وقال:

- «ممم، وهذه هي القنبلة»، والتهمها بالكامل في فمه. سمكة أمي بدت صغيرة وممتلئة، وهي تلتقطها بالشوكة. أنا وهي نفكر في الشيء نفسه، كنت أعرف. بقي طعامي أمامي دون أن يُمس.

عائلتنا تذهب إلى المطاعم بين حين وآخر. وفي الواقع، بيني تمثل مشكلة في أي مطعم أكبر مما أمثله أنا؛ لأنها تكون منفعلة، وغالبًا تحب رمي البازلاء على الأرض، وعادة لا يزعجني تناول الطعام في الخارج؛ فأمي وأبي يتناوبون على وضع ملعقة الطعام في فمي، وأنا أتجاهل أي شخص وقح بما فيه الكفاية للتحديق بي، ولكن هذه المرة كانت مختلفة.

في المدرسة كنت آكل في ركن خاص من المقصف مع الأطفال المعوقين الآخرين، وكان المساعدون يلبسوننا المرابيل، ويطعموننا، ويمسحون أفواهنا عندما ننتهي من الطعام، ومن ثم فباستثناء رشفة من الشراب في المسابقة، لم يكن أحد في الفريق قد شاهدني من قبل وأنا آكل، ناهيك عن رؤيتي وشخص يُطعمني.

لم أكن أعرف ما يجب فعله، فبقيت وجبة طعامي تبرد أمامي، ونظرت إلى أمي، فتطلعت في وجهي، والتقطت ملعقة ونظرت في وجهي مع سؤال في ملامح وجهها، وأومأت برأسي موافقة. وبعناية فائقة وضعت ملعقة من المعكرونة في فمي، فابتلعتها، ولم يتسرب من فمي شيء.

رأيت مولي تلكز كلير، وتتبادلان النظرات. وضعت أمي ملعقة معكرونة أخرى في فمي، فابتلعتها، ولم يكن يتسرب من فمي شيء، ثم واصلنا؛ ملعقة واحدة في كل مرة.

كنت جائعة جدًا.

لم ينبس أحد بشيء، ولكنني رأيتهم ينظرون إلى أسفل في أطباقهم بكثير من الاهتمام، والهدوء مخيم على الجميع، وحتى كونور توقف عن الحديث.

أخيرًا، على الرغم من أن طبقي كان لا يزال مليئًا بالطعام، إلا أنني دفعته به بعيدًا عني. -«هل تريدين أن تأخذي هذا إلى المنزل، ميلودي؟»، همست أمي، فأومأت لها:

- «نعم».

شعرت بارتياح كبير. أشارت أمي إلى النادلة، التي جلبت أيضًا قوائم الحلوى.

لما ذكّر بالكعكة والآيس كريم هلل كونور، الذي لم يطلب كعكة الشوكولاتة كلها، ولكنه طلب شريحتين فقط، وطلب رودني فطيرة التفاح، في حين طلبت روز حلوى المهلبية.

انتهت كلير بأخذ كرتون الطعام إلى منزلها كذلك، إذ لم تأكل منه شيئًا تقريبًا، ولا نبست بكلمة أو كلمتين طيلة ذلك المساء. قالت رودني:

«ما رأيك بالسؤال الأخير؟ كان صعبًا جدًا!»،قال رودني.

- «قطعة من الكعكة!»، أجاب كونور، وهو يضحك من نكتته هو، ودهن شريحة الكعك الثانية بالقشدة.

- «هل رأيت شعر رأس المذيعة؟»، سألت أماندا مازحة، «حتى إنه لم يتحرك!».

- «لابد وأن يكون قد صُنع من البلاستيك»، قالت روز ضاحكة.

- «ماذا سترتدين في مسابقة العاصمة؟»، سألت روز كلير، ولكن كلير تجاهلتها تمامًا. -«أتساءل هل سنزور البيت الأبيض عندما نكون هناك»، قالت أماندا بتأمل. «هذا سيكون رائعًا». فأجاب الأستاذ ديمنغ بحماس:

- «أعتقد أن هذا على جدول أعمالنا ليوم السبت»، «أنا متحمس لذلك أيضًا!».

- «وماذا عن كونكِ وميلودي صديقتين من أفضل الصديقات، يا كلير؟»، سألتها إيلينا، فلم تجبها كلير، لكنها أخذت تفرك جبينها بيدها.

- «أشعر بتوعك»، قالت بصوت واهن، «هل الجو حار هنا بالداخل؟».

لم يتسنَّ لأحد وقت للإجابة؛ لأن كلير وقفت فجأة للحظة، واضعة يدها على فمها، وتعثرت في مقعدها.

- «هل أنت بخير؟»، سألها الأستاذ ديمنغ.

قبل الانتهاء من السؤال، تقيأت كلير على حذائه الجديد.

- «أوه، اللعنة!»، قال كونور، في محاولة واضحة منه ألا يضحك.

- «يا للمسكينة»، قالت روز.

- «ووو، يا لها من رائحة كريهة، يا رجل!»، قال رودني مغطيًا أنفه، وهُرعت أم كلير بها إلى الحمام، وهرع الأستاذ ديمنغ كذلك خارجًا، وأعتقد

أنه خرج لتنظيف حذائه. كنت أتساءل هل شعرت كلير بالحرج كما شعرت به أنا حين كانت أمي تقدم لي الطعام؟

كان واضحًا أن احتفالنا الصغير بالنصر قد انتهى؛ فالآباء يجمعون المعاطف، ويتفقدون كل شيء، ويدفعون الإكرامية (البخشيش) للعاملين في المطعم، وكلير عادت من المرحاض شاحبة الوجه، ولم يذكر أحد الحادث بشيء، وبعدها توجهنا جميعًا إلى الدرج مغادرين.

إذن، فكرت، **كلير تمرض وسط مطعم مزدحم، لكنني أنا تلك التي ينظر إليها الجميع بأطراف أعينهم.**

جميعهم انتظرونا أنا وأمي أن نخرج على مهلنا. أمي تدفع برفق. انزلاق إلى الأسفل. بمب. درجة ثانية. دفع برفق. انزلاق إلى الأسفل. بمب. الخطوة التالية. دفع برفق. انزلاق إلى الأسفل. بمب. الخطوة الثالثة. خمسة مطبات وصولًا إلى الجزء السفلي من الدرج، وكنت لا أزال جائعة جدًّا.

■ ■ ■

الفصل السابع والعشرون

في صباح اليوم التالي، دخلت أمي إلى غرفتي وهي تحمل جريدة. «صباح الخير يا نجمة الروك»، قالت تحييني، «خمِّني ماذا؟».

نجمة روك؟ أخذت تقلّب الصفحات. استدرت للنظر إلى وجهها، وملامح وجهي تتساءل: ماذا؟

«أنت مشهورة!».

هاه؟

أخرجتني من السرير، وثبتتني بالأحزمة في مقعدي، وفصلت الجهاز المتكلم من الشاحن، وأنهضتني، ثم وضعت جريدة الصباح أمامي.

هناك كانت صورتي على الصفحة الأولى للجريدة، بالألوان.

- «يا للروعة!»، كتبتُ.

- «المادة المنشورة عن الفريق الفائز في المسابقة، ولكن الصورة الوحيدة التي استخدموها كانت هي صورتك، هذا مثير للإعجاب!».

«لماذا أنا؟».

ابتسمت أمي بسرعة:

- «لأنك فريدة من نوعها ورائعة، وأكثر إثارة للاهتمام من طلاب الصف الخامس العاديين، كما أعتقد»، قالت والدتي. «يبدو أن المقال كله يركز عليك».

- «لن يحب فريق الأطفال ذلك»، طبعتُ.

- «أنا متأكدة من أنهم سوف يكونون سعداء بك يا حبيبتي».

- «لا، لن يكونوا سعداء».

- «انظري، استمعي لهذا».

قرأت لي المقال: «فريق مدرسة شارع سبولدينج الابتدائية فريق أكاديمي من الطلاب الموهوبين من الصف الخامس والسادس، فازوا بمسابقة الأطفال الموهوبين في المنافسة المحلية الليلة الماضية بنتيجة 86-85، مع مهارة مذهلة في المعرفة، والإجابة عن أسئلة أعلى بكثير من مستوى الصف، فألحقوا الهزيمة بسبعة فِرَق أخرى».

- «هذا يجعلنا نبدو أذكياء»، كتبت، فقالت أمي ترد عليَّ:

- «لقد كنت كذلك بالفعل».

- «أسئلة الرياضيات جعلتني أعرق». أشعر برطوبة تحت إبطيّ بمجرد التفكير فيها».

ثم واصلت أمي:

- «أوه، وهنا هذا هو الجزء المكتوب عنك. استمعي لهذا! واحدة متميزة من أعضاء فريق مدرسة شارع سبولدينج هي ميلودي بروكس، البالغة من العمر أحد عشر عامًا، شُخِّص مرضها بالشلل الدماغي، وعلى الرغم من

التحديات الجسدية التي تواجهها، فإن ميلودي كانت سريعة وقادرة على التألق بقدراتها العقلية، وقادت فريقها للفوز».

كتبتُ باكتئاب:

- «إنهم سوف يكرهونني».

بترسكوتش، الذي لا يزال ينام في غرفتي، شمشم يدي واستكان عليها، فهو يبدو دائمًا أنه يعرف كيف أشعر، ولكن ليس بمقدوره المساعدة هذه المرة.

- «أوه، لا أبالغ؛ أعتقد أنها مادة جميلة، وينبغي أن يكون أصدقاؤك فخورين بك».

- «لن تفهميني».

تجاهلتني أمي وانصرفت لمواصلة تجهيزي للذهاب إلى المدرسة.

اثنان من القمصان الزرق واحد للارتداء وواحد للحالات الطارئة، واثنان من السراويل، و لم تختر بنطال الجينز. قررتُ عدم المجادلة، فلدي شعور أنه لن يكون يومًا جيدًا.

- «يا لها من صورة رائعة لك! أنا ذاهبة للتأكد من الحصول على نسخ إضافية من الجريدة».

ظلت تثرثر بمرح وهي تلبسني جواربي ثم حذائي الرياضي:

- «يجب عليَّ التأكد من أن الجميع في العمل يرون هذا!».

انتهى أبي من إلباس بيني، وأحضرها إلى غرفتي، وعندما لاحظت بيني صورتي في الجريدة، أفلتت اللعبة دودل من يدها وهتفت: «دي - دي!»،

والتقطت الجريدة وقبَّلتها. أراهن أنني لن أحصل على ردود فعل كثيرة من هذا القبيل في المدرسة اليوم. مال عليَّ أبي أكثر وقبلني على خدي:

- «أنا فخور جدًّا، ويمكنني أن أستمع لموسيقى البوب»، يقول بهدوء، «أحبك يا ميلودي».

هذا جعل الدموع تنهمر من عينيّ، فلكم تمنيت أن أحتضن أختي الصغيرة، أو أن أقول لوالدي إنني أحبه أيضًا؛ بالكلمات الحقيقية التي أنطقها أنا، وليس من خلال الجهاز.

كان رد الفعل في المدرسة اليوم هو بالضبط ما كنت أتوقعه؛ كلمات تطفو من الشفاه التي تقول أشياء جميلة بالنسبة إلي، ولكن العيون تقول الحقيقة؛ العيون الباردة، كما لو كنت قد قبضت على المراسلة الصحفية وضربتها على رأسها وأجبرتها على طباعة تلك الصورة لي، حتى روز بدت كما لو كانت لا تعرفني حيث قالت ببرود:

- «صورة جميلة لك في الجريدة، ميلودي».

- «شكرًا، كان يجب أن نكون كلنا في الصورة جميعًا».

- «أعتقد ذلك أيضًا»، ردت روز.

اكتفيت بأن تنفست الصعداء. لا أستطيع أن أفعل أي شيء بصورة صحيحة. لا أريد أن أكون مختلفة. أريد فقط أن أكون مثل الباقين، مثل أي شخص آخر. عندما دخلنا إلى فصل الأستاذ ديمنغ، كان يتمشى مرتديًا بذلة أخرى جديدة -لا بد أنه كان هناك عرض أن تشتري واحدة والثانية مجانًا- مع ابتسامة جديدة تمامًا. وقد بدا وكأنه قد ينفجر من السعادة ، ويحمل كومة من جريدة الصباح معه.

- «لم أستطع النوم طيلة ليلة أمس»، اعترف لنا، «ما أعظم فخري بفريقنا وبمدرستنا!». توقف عن الحديث إثر الهتافات التي اندلعت لتحية فريق المسابقة، وابتسمت روز، ومولي، وكلير، بسعادة، وانحنى كونور ورودني تحية للهتافات، وهناك عدد قليل من الأطفال الذين استداروا إلى الخلف للنظر إليَّ مبتسمين.

- «هل نحصل على بيتزا مجانًا أو شيء من هذا؟»، قال كونور دون أدنى تفكير.

- «بالتأكيد!» يجيب الأستاذ ديمنغ، «مدير المدرسة أعلن أن يوم الجمعة القادم هو يوم الفريق، وطلاب المدرسة بالكامل سيتمتعون بالبيتزا والمشروبات الغازية مجانًا!». انطلق عندها مزيد من الهتافات من الصف، وكان كونور يبدو حقًّا مسرورًا، وواصل الأستاذ ديمنغ:

- «وأريد أن نعطي تحية هتاف خاص لميلودي، التي ساعدتنا حقًّا على تحقيق نصرنا! دعونا نعطيها جولة خاصة من التصفيق!».

بدأ هو بالتصفيق ثم انضم الصف مصفقًا، ولكنه يبدو تهذيبًا أكثر منه صادقًا أو مخلصًا، فأنا -باعتقادي- لست بروعة البيتزا المجانية.

- «من منكم شاهد أخبار الساعة 11:00 الليلة الماضية؟»، سأل الأستاذ ديمنغ وهو لا يزال يبتسم، فرفع نصف الأطفال تقريبًا أيديهم، أما أنا ففاتني ذلك؛ إذ كنت قد رقدت منهكة بعد أن وصلنا المنزل.

- «أنا سجلتها على الفيديو ووضعتها حتى على موقع ماي سبيس!»، قال لنا الأستاذ بحماس، وأضاف:

- «لكن الآن يجب علينا أن نعود إلى أنشطتنا الصفية المعتادة»، قالها بخيبة أمل، فسألت روز:

- «لكن كيف نستعد لواشنطن؟».

كان من الواضح أنها ليست مستعدة للسماح له بفعل ذلك، ومن السهل جدًا تشتيت أذهان المعلمين! وكنت أعرف أن هذه ستمر عليه. ابتسم الأستاذ ديمنغ مرة أخرى وأخذ نفَسًا عميقًا، وقال:

- «لدينا أسبوعان فقط كي نستعد يا روز، وقد أعددت حزمة لأبطال فريقي كلهم»، قال ذلك وهو يمرر الأوراق التي أعدها.

- «خذ هذه معك إلى البيت وأعدها غدًا دون أي تأخير. لقد تضمنت هذه الورقة معلومات حول كيفية استرداد تذاكر الطائرة مجانًا، وبها معلومات حول الفندق، والجدول الزمني للأيام التي سنقضيها في العاصمة إضافة إلى أنها تعطي تفاصيل حول ممارستنا الجدول الزمني الذي يبدأ اليوم. سنلتقي كل يوم بعد المدرسة ونصف يوم السبت».

- «يوم السبت؟» سأل كونور والاحتجاج في صوته. وأنا أيضًا كنت قلقة من ذلك؛ نصف يوم كامل؟ إذا كانت كاثرين لا يمكنها أن تأتي، فكيف أدخل إلى الحمام أو أتناول الطعام؟

- «سوف أحمل خبز الكعك للفطور، والفاكهة، لتناول الوجبات الخفيفة، وسوف نطلب البرغر لتناول طعام الغداء»، قال له الأستاذ ديمنغ.

- «يبدو أن الطعام صحي»، رد كونور مع ابتسامة، وأضاف: «لكنني سأكون هناك».

- «إذا تغيبت عن التمرينات سيحل البدلاء مكانك يا كونور. أنا مصمم على الفوز».

- «لماذا لا نعطل بضعة أيام يا رجل؟»، يقول رودني لكونور.

- «سأكون سعيدًا بأخذ مكانك. وأعزلك جانبًا بلمح البصر». بدا جادًّا وهو يقول ذلك.

- «لا مجال بأي صورة كانت يا رجل، سوف أجعلك ترى»، قال كونور على عجل، فرفعت مولي يدها:

- «سيد ديمنغ، هل يذهب البدلاء إلى واشنطن أيضًا؟».

- «بكل تأكيد!».

- «لذلك، هل أشتري ثوبًا جديدًا في حالة كوني في الفريق؟»، فقال الأستاذ مجيبًا:

- «هذا الأمر متروك لك يا مولي».

ثم رفعت كلير يدها:

- «سيد ديمنغ، أعتقد أنني أعرف ما ترمي مولي إليه. بما أن هناك ستة أشخاص لفريق العاصمة بدلًا من أربعة، فأيًا من البدلاء سوف تختار؟».

- «سوف نستخدم نظام النقاط»، يجيب: «الطلاب الذين يحصلون على أعلى ست علامات من جميع الجولات الأولية سوف يتكوَّن منهم فريق التلفاز النهائي، تبدو طريقة عادلة، أليس كذلك؟».

بدت كلير راضية عن ذلك؛ فقد ضربت كفها بكف مولي.

- أخيرًا، عاد الأستاذ ديمنغ إلى عمله المعتاد في الصف؛ دراسة إسبانيا والبرتغال، وأنا أبذل قصارى جهدي ألا أفعل شيئًا مثيرًا للانتباه؛ لا ضوضاء غريبة، أو ركلات، أو همهمات لبقية الصف، لا إجابات لأسئلة أعرفها. بقيت

في الجزء الخلفي من الغرفة مع كاثرين، وأنا آمل بأن يمر صباح هذا اليوم بسرعة.

قضيت مدة ما بعد الظهر في غرفة H-5، حيث شاهدنا الرسوم المتحركة لتوم وجيري ثلاث ساعات، هل تستطيع أن تصدق ذلك؟

بعد المدرسة أعطتني كاثرين كوبًا من الحلوى وبعض العصير قبل أن يحين وقت الذهاب لغرفة الأستاذ ديمنغ للتمرين الأول لنا. عبست عندما انتهيت من الرشفة الأخيرة من العصير.

- «ما الذي يضايقك يا ميلودي؟»، سألت، «يجب أن تكوني في قمة السعادة، ولكنك كنتِ تتصرفين مثل شخص مضروب على أنفه»، فكتبت لها:

- «إنهم لا يريدونني في الفريق»، فردت:

- «هذا كلام سخيف، كنتِ نجمة الليلة الماضية».

- «تلك هي المشكلة».

- «من دونك ما كان لهم أن يفوزوا!».

«إنهم يخافون مني»، حاولت أن أشرح لها. «يعتقدون أنني أبدو مضحكة».

- «لا تجعلي ذلك يزعجُك»، قالت. في الحقيقة أن من الصعب وضع مشاعري في الكلمات التي تصدر من الجهاز المتكلم؛ فأنا أعلم أن الأطفال الآخرين غير سعداء معي في الفريق، وليس هناك وسيلة أخرى للتعبير عن ذلك. كان حضوري مرحبًا به في البداية لكن الأمر اختلف في المنافسة المحلية وفي التلفاز الوطني. سوف أجعلهم يشتهرون، ولكن بطريقة ليست جيدة.

بدأت إعادة الكتابة مرة أخرى: «أنا أجعلهم يبدون...»، ترددت، ثم كتبت: «غريبين».

- «أنت أذكى شخص في الفريق!»، قالت كاثرين.

- «إن لعابي يسيل».

«لذلك احملي علبة من المحارم الورقية!».

«وتصدر عني أصوات مضحكة»، فقالت:

- «وكونور يفعل أشياء كريهة أحيانًا!». ابتسمت عندما قالت ذلك.

- «عليك أن تتوقفي عن هذا الشعور بالأسف لنفسك، أيتها الصبية! دعينا نذهب إلى غرفة الأستاذ ديمنغ ونغيظ بعض الناس!».

- «حسنًا، دعينا نذهب»، كتبت طباعة، ثم درجنا إلى الغرفة وأنا أرفع رأسي عاليًا. حسنًا، على الأقل أعلى ما أستطيع عندما لا يتأرجح.

لم يتطرق أحد منهم لأي شيء مما نشرته الصحيفة، والتمرين مستمر كالمعتاد، وأجبت عن معظم الأسئلة إجابة صحيحة. مع انتهاء ذلك اليوم الدراسي جاءت أمي لتصطحبني، فشعرت قليلًا بتحسن، ولكنني لاحظت أن روز وكلير ومولي يتهامسن معًا وأنا أغادر، يمكن أن يكون ذلك عن موسيقى جديدة بالفيديو، أو عن رحلة تسوق إلى مجمع للتسوق...، أو يمكن أنهن يتهامسن عني.

■ ■ ■

الفصل الثامن والعشرون

كيف يمكن أن يتوقعوا منا أن نكون على استعداد في مثل هذا الوقت القصير؟ جنون! تذاكر الطائرة وأوراق الأذونات، وأوراق العمل، والتمارين.

يوميًا لما يقرب من أسبوعين، دراسة كل مساء مع السيدة V: الكلمات، المدن، الدول، البلدان، العواصم، المحيطات، الأنهار، الألوان، الأمراض، الجو، الأرقام، التمور، الحيوانات، الملوك، الملكات، الطيور، الحشرات، الحروب، الرؤساء، الكواكب، المؤلفون، الجنرالات، القوانين، الاقتباسات، القياسات، المعادلات، التعاريف.

رأسي يدور، وذهني يعمل من دون توقف مع الحقائق والأرقام، ولكنني مستعدة الآن، وفريقنا جاهز، وقد بقي الأستاذ ديمنغ وفيًّا بوعده؛ فأعلن أن من حصلوا على أعلى ست درجات سيكونون من المشاركين في جلسات وجولات تمريننا قبل بضعة أيام. وبطبيعة الحال، تمامًا مثل الأطفال الآخرين، احتفظت في عقلي بجميع نقاط الطلاب الآخرين، ولذلك كنت متأكدة أنني سأكون واحدة من المتسابقين على الهواء، لا بديلًا لأحد.

بدا الأستاذ ديمنغ متوترًا تقريبًا تحسبًا عندما أعلن ذلك. كان يمشي بعصبية، حتى كاد يرقص!

- «هيا بنا»، قال، «أشعر أنني بحاجة إلى طبول افتتاحية أو شيء ما!».

- «اقرأ القائمة من فضلك!»، صاح كونور بفارغ الصبر، فقال الأستاذ ديمنغ ببطء:

- «إن الأعضاء الستة في فريق مسابقة بطولة مدرسة شارع سبولدينج الابتدائية هم...»، ثم توقف. اعتقدت أن كونور على وشك أن يرميه بشيء في وجهه.

- «روز، وكونور، وميلودي، وإيلينا، ورودني، ومولي. أما كلير وأماندا فستكونان بديلات».

- «أنا بديلة؟»، قالت كلير وهي تلهث.

- «مولي تجاوزتك بنقطتين يا كلير»، شرح لها الأستاذ ديمنغ، وأضاف: «لكنك لا تزالين معنا، وستهتفين لنا وتتجولين معنا في المدينة».

- «ولكني أنا التي ساعدتها في الدراسة!»، قالت كلير والغضب في صوتها، وأضافت: «هذا الحال ليس عدلًا!».

أما أنا فهززت رأسي فقط وابتسمت قليلًا. هناك كثير مما لا تعرفه كلير عن الأشياء مثل العدالة. بدت مولي عابسة وليست آسفة على الإطلاق، وقد جاءت أمها لاصطحابها، وكانت أنشطة التمرين قد انتهت والمنافسة مساء غد الخميس.

على افتراض أننا فزنا، فسنكون على شاشة صباح الخير يا أمريكا يوم الجمعة، تليها رحلة إلى البيت الأبيض، ومن المقرر مزيد من مشاهدة المعالم السياحية في العاصمة يوم السبت، ثم نعود يوم الأحد. ويوم الإثنين -أتمنى- سوف نعود إلى المدرسة ومعنا الجائزة الوطنية الكبرى؛ ومعنا الكأس.

سنحزم هذه الليلة أمتعتنا. لم يسبق لي أن كنت في رحلة خارج المنزل من قبل، لذلك لدينا بعض التخطيط الجاد لكي ننفذه. أشعر بجنون الحماس، كنت مجنونة وعصبية. اشترى أبي لي حقيبة حمراء زاهية مع عجلات، رائحتها مثل الرائحة التي تفوح من داخل سيارة جديدة، وملمسها يجعلني أبتسم.

ذهبت مع أمي للتسوق أمس، ولم يبق شيء كثير نفعله بعد الآن. سمحت لي باختيار زوجين من الأزياء الجديدة مع الجينز، ولا يناسب أيًّا من هذه الألبسة الفضفاضة هذه الرحلة!

ونحن نسير في المركز التجاري، مررنا بمتجر البطاقات، خطرت لي فكرة، فكتبت:

- «لندخل هنا للحصول على بطاقة، من فضلك».

«لمن؟»، سألتني أمي ونحن ندخل.

- «كاثرين»، كتبت لها: «لنشكرها على مساعدتي على الاستعداد».

«لقد أصبحت ناضجة جدًّا!»، قالت أمي وهي مسرورة بوضوح.

- «وواحدة أخرى للسيدة V، أيضًا؟»، كتبت.

- «بكل تأكيد!»، قالت أمي.

كانت البطاقة التي وجدناها للسيدة V لا يمكن وصفها؛ إذ كانت مغطاة بكاملها بمئات من حبات البرتقال، باستثناء واحدة زرقاء في الوسط، وفي الداخل مكتوب عليها: **أنت واحدة في المليون، شكرًا**.

قالت أمي: «سوف تحب ذلك».

واخترتُ لكاثرين البطاقة التي أظهرت مكتبًا ممتلئًا بأجهزة الحاسوب ومشغلات ألعاب الفيديو، وامرأة شابة على اتصال بها جميعًا بسماعات الأذن، ومكتوب عليها: **سعيدة أنك كنت دائمًا هناك لتشبكي لي. شكرًا على كل ما فعلتِه.**

- «لا يمكن أن تصممي أفضل منها بنفسك»، قالت أمي وهي تدفع ثمن البطاقات؛ نعم، إنها مثالية جدًّا.

بحدود الساعة السابعة رن جرس الباب؛ وكانت السيدة V، القادمة للمساعدة على استعدادات التعبئة النهائية، هي وأمي كوَّنتا فريقًا عظيمًا.

- «لقد وضعت قائمة مرجعية وفقًا لاقتراحات الأستاذ ديمنغ»، تقول أمي.

- «تنورة سوداء، وبلوزة بيضاء للمنافسة».

- «تأكدي»، تقول السيدة V وهي تطوي بعناية هاتين القطعتين في حقيبتي. «تأكدي!»، قالت بيني مقلِّدة لها.

- «بلوزة بيضاء إضافية، للحالات الطارئة»، تقول أمي.

- «فكرة عظيمة»، ترد السيدة V، وتومئ برأسها.

طوت أمي بعناية زوجين زائدين من القمصان وبنطالين من الجينز المفضلين لي.

- «ملابس مريحة لمشاهدة معالم المدينة في واشنطن، ونقود لشراء الهدايا التذكارية، ونظارات شمسية، وآلة تصوير».

- «تحققي، تحققي، تحققي»، كررت السيدة V.

- «ملابس نوم، وفرشاة أسنان، ومزيل العرق، ومكابس الشَّعر».

- «جميعها موجودة».

- «سترة دافئة؛ فلا أحد يعلم كيف سيكون الجو في شهر آذار هذا».

«تحققي!» قالت بيني.

«حزمة الطاقة للجهاز المتكلم، وبطاريات إضافية، ومحارم ورقية، ومماسح». -«فهمتك!».

- «مظلة واقية؟».

- «لك أم لميلودي؟»، سألت السيدة V ضاحكة.

«هل حزمت حقيبتك ؟».

- «نعم، أنا على وشك الاستعداد، وأنا عصبية أيضًا»، توقفت أمي، «أنت الأفضل، يا فيوليت. أعلم أن بيني ستكون في أمان معك في أثناء سفرنا..».

- «وبترسكوتش»، قلت مقاطعة لحديثهما، وكلاهما ضحكتا. ثم واصلت أمي:

- «بصراحة، من دونك ما كان لميلودي أن تكون جاهزة لهذه الرحلة».

- «لا تنسي البطاقة، ماما»، كتبتُ، وحاولتُ أن أمدَّ يدي التي لا تكاد تصل إلى طرف حقيبتي المدرسية المعلقة بالكرسي المتحرك، فمدت أمي يدها في حقيبتي، وسحبت المغلف، ووضعته على العلبة أمامي، فدفعته نحو السيدة V التي فتحته، وقرأت ما كتب عليه، ثم احتضنتني بحرارة، حتى كدت لا أستطيع التقاط أنفاسي.

- «سوف أضع هذه البطاقة على باب ثلاجتي كي أشاهدها كل يوم!»، قالت بهدوء، وراحت تشغل نفسها بنفض الغبار عن حذائي الذي لم أستخدمه مرة واحدة.

- «أنا خائفة قليلًا»، اعترفت.

- «هراء يا ميلو يلو»، قالت السيدة V لي، «أنا بثقة أتوقع أن أشاهدك على **صباح الخير يا أمريكا** مع كأس ارتفاعه عشر أقدام!».

- «سيكون ذلك رهيبًا»، كتبت.

- «الآن قولي لي مرة أخرى»، قالت السيدة V لأمي، «في أي وقت تغادر الطائرة غدًا؟ بيني، اخلعي ملابس ميلودي الداخلية عن رأسك، أنت فتاة سخيفة!».

بينما كانت أمي تتحقق من أوراقها قالت: «الطائرة تُقلع عند الظهر، وهذا يعني أننا يجب أن نغادر من هنا في موعد لا يتجاوز التاسعة، والوصول إلى المطار في العاشرة، والتفتيش وإجراءات المطار، والتأكد أن الكرسي المتحرك يحظى بالرعاية بصورة صحيحة، وكذا، حتى نتمكن من الجلوس والاسترخاء حتى يحين موعد الصعود إلى الطائرة». حكّت السيدة V رأسها وقالت:

- «أتساءل لماذا اختاروا رحلة الظهر، بحيث تصلون إلى واشنطن في نحو الساعة الثانية، والمسابقة تبدأ في الساعة السابعة. الوقت مضغوط هنا».

- «الأستاذ ديمنغ أخبرنا أن الفندق يعتمد سياسة تسجيل الوصول المتأخر، وأستوديو التلفاز يقع في الشارع نفسه الذي يقع فيه الفندق؛ ولذا فإننا سوف نكون على ما يرام».

حالما أغلقت أمي حقيبتي، شعرت بالدموع في عيني، فأنا لا أستطيع أن أصدق أن هذا يحدث؛ يوم واحد فقط وسوف نكون في واشنطن العاصمة، على التلفاز الوطني، وأنا أدعو ألا يفلت مني زمام الأمور. كنت أريد مهاتفة روز، ومعرفة هل هي متوترة أيضًا؟ أريد أن أسألها ماذا سوف ترتدي في زيارتنا إلى البيت الأبيض. ولنفترض أننا قابلنا السيدة الأولى؛ ستكون تلك هي القنبلة! أريد أن أعرف هل سوف نكون جالستين متقاربتين على متن الطائرة؟ أريد أن أكون مثل كل الفتيات الأخريات.

لم أنم جيدًا تلك الليلة، وفي الصباح غسَّلتني أمي وألبستني ملابسي، وأطعمتني في وقت قياسي؛ في حين كان أبي يجهز بيني.

- «الذهاب لرؤية الطائرة؟»، تتساءل مرارًا وتكرارًا.

- «طيري!!»، يقول أبي وهو يطيرها في جميع أنحاء الغرفة بذراعيه، وهي تحب ذلك. بينما كنا نتجه إلى الخارج، هرعت السيدة V بسرعة، والكاميرا في يدها، وهي تلتقط صورًا لي وأنا مربوطة على الكرسي، وحقيبتي تحمل، وعلى وجهي ابتسامة الشجعان والأمل بالفوز، ثم صورت كل شيء من جديد بكاميرا الفيديو التي يمتلكها والدي. لا، لن نكون قادرين على نسيان هذا الصباح؛ بيني تقفز وتطارد بترسكوتش، في دوائر حول السيارة، التي غُسلت ولمعَت، وأمي مرتدية حلة رائعة، والمدهش هو حذاؤها من آخر الموديلات.

وضعت حقائبنا في السيارة، فأصبحنا مستعدين تمامًا للذهاب في الساعة التاسعة إلا ربعًا. أخذ أبي بترسكوتش وأعاده إلى المنزل، ثم قفل الباب الأمامي وهو يخرج منه.

- «كل شيء تمام؟»، يسأل.

- «هيا للعمل!»، قالت أمي بصوت عال، حتى بيني أحست بالنشوة والفرح وأخذت تصفق بيديها، وأنا لا أستطيع التوقف عن الابتسام. على الرغم من أنني أعرف أن أمامنا كثيرًا من الوقت، فإنني وددت من أبي أن يقود السيارة أسرع، فقد كنت خائفة جدًّا من أن تفوتنا الطائرة، أو أن ننسى تذكرتي، أو أن يحدث معي مكروه يضطرنا إلى العودة إلى المنزل.

في مرآب المطار لم تواجهنا مشكلة في العثور على أماكن وقوف السيارات للمعوقين؛ فقد وجدناها فارغة، فأُنزلتُ من السيارة، وكذا الكرسي، وحقائبنا، وبيني، واللعبة، والسيدة V تلتقط مزيدًا من الصور. كل دقيقة تمر بدت كما لو أنها ساعة، ولكننا خلال دقائق أصبحنا على مدخل التفتيش، فدفعتني السيدة V، وكانت أمي تحمل بيني، وأبي يسحب عربة محملة بالأمتعة واللعبة. إنها الساعة العاشرة تمامًا.

- «مرحبًا!»، قالت أمي بمرح لسيدة ترتدي الزي الرسمي في المكتب، وقالت: «نحن هنا لرحلة الظهيرة لواشنطن العاصمة»، ومدت يدها بالتذاكر لتسليمها للسيدة.

- «رحلة الظهر؟»، ردت المرأة والعبوس على وجهها، ثم أخذت تنقر بأصابعها على الجهاز أمامها، وتزم شفتيها، ثم تدق ثانية وتطبع أكثر، وأخيرًا توقفت وقالت:

«أنا آسفة يا سيدتي، ألغيت تلك الرحلة؛ لقد كان لدينا كثير من الإلغاءات اليوم؛ إذ ثمة عاصفة ثلجية في وقت متأخر من فصل الشتاء في شمال شرق البلاد سببت كل هذا الوضع في جميع الأنحاء».

- «ألغيت؟»، بدأت معدتي تقرقر.

- «ثلج؟»، صوت أمي يبدو يخرج بصعوبة.

ثم أضافت: «لكن الجو هنا مشمس وصاف».

- «لقد وصل ارتفاعه إلى خمس بوصات فوق الأرض في بوسطن بالفعل، ويتوقع أكثر من هذا بعد الظهر في الجنوب؛ لذا فإن وكالة الطيران لن تدع الطائرات تقلع في مثل هذا الجو، لذلك يتوقف النظام برمته. الطائرات التي من المقرر أن تصل إلى هنا ثم تعود شرقًا ألغيت رحلاتها، وهذا يعني أن رحلاتنا بعد الظهر لا يمكن أن تغادر. إنه أمر معقد، آسف».

استمر موظف آخر في الكتابة بسرعة، وهي تروي لأمي:

- «أستطيع أن أضعك أنت وابنتك على الرحلة التالية مباشرة، ولكنها تقلع من هنا في الساعة 07:23 وسوف تصل واشنطن في الساعة 09:07. فالأرصاد الجوية توقعت خمود العاصفة في ذلك الوقت، وعندها نتمكن من البدء باستقبال الناس لجميع وجهات سفرهم. في الواقع، غدًا سيكون كله ماطرًا».

قلبي يتحطم الآن.

- «هل تريدين مني أن أعيد الحجز لك الآن؟»، قالت وهي تبتسم بمرح، لأنها لا تدري، فغمغمت والدتي بصوت واهن:

- «لكن البطولة تبدأ في الساعة السابعة».

- «عفوًا؟ أنا لم أسمعك»، قال وكيل المكتب.

لم أعد أستطيع التنفس، وتحدثت أمي بصوت أعلى قليلًا:

- «وماذا عن بقية مجموعتنا؟ نحن سنسافر معًا- مجموعة من أطفال المدارس- فريق مسابقة، هل حجزوا أيضًا في هذه الرحلة، فالمنافسة ستجري هذا المساء؟».

- «أوه، تذكرت هؤلاء الأطفال، كانوا هنا في وقت مبكر هذا الصباح؛ كانوا مجموعة كبيرة، وكانوا مهذبين وذوي أخلاق حميدة، وأخبروني بكل شيء عن المنافسة والكأس الضخم الذي يمكن أن يعودوا به».

- «جاؤوا **في وقت مبكر**؟» زعقت أمي، وأضافت:

- «يبدو أنهم جميعًا ذهبوا إلى الإفطار معًا، ثم جاؤوا مباشرة إلى هنا، إنه لشيء جيد ما فعلوه أيضًا، وإلا لما كانوا غادروا».

- «أين هم؟»، سألت أمي.

«أوه، لقد حُولوا إلى رحلة الساعة التاسعة ؛ آخر رحلة غادرت قبل أن يبدأ إلغاء الرحلات المتجهة شرقًا، وقد تعين عليهم أن يسيروا ركضًا وصولًا إلى البوابة، ولكنهم تحركوا في الوقت المناسب. وقد تأكدت من ذلك»، قالت ذلك وهي تنظر إلى أسفل في جهاز الحاسوب الخاص بها، «نعم، غادرت تلك الرحلة منذ نحو ساعة»، فهمست أمي:

- «غادروا؟»، أشعر وكأنني على وشك الاختناق.

- «هل أنت وعائلتك ذاهبون إلى العاصمة لتشجيعهم؟»، سألت الموظفة، وهي لا تزال غير دارية بما يجري.

- «لا، ابنتي ضمن الفريق»، أوضحت لها أمي، «يجب أن نصل إلى واشنطن، أليست هناك رحلة أخرى، ربما على شركة طيران أخرى؟»، نظرت المرأة في وجهي معجبة، «مشاركة في ال...؟»، بدأت تسأل، ولكنها بعد ذلك أحجمت عن الاستمرار، وعادت تحدق في شاشة جهاز الحاسوب أمامها، وبدأت بالكتابة بسرعة مرة أخرى، ويمكنني سماع أظافرها وهي تنقر على المفاتيح.

وضع أبي كلتا يديه على شباك التذاكر، ومال في اتجاه الوكيل، لم أره غاضبًا جدًّا من قبل كما رأيته في تلك اللحظة:

- «كيف يمكن أن يحدث هذا؟ ألا يجب أن نُخطَر أن الرحلة أُلغيت؟»

- «نحن نحاول، يا سيدي، ولكنه ليس من الممكن دائمًا»، ردت السيدة، وقد بدت حقًّا آسفة، «نحن دائمًا ننصح الركاب بالتحقق من حالة رحلتهم قبل أن يصلوا المطار».

- «ولكنَّ هذه رحلةُ العمر! لا يمكنك ربما فهم مدى أهمية هذا لابنتي!».

أغضيت عينيَّ وأغمضتهما، وكانت موسيقى غبية تنبعث من مكبرات الصوت في المطار، ولكني لم أسمع الألوان الجميلة، ولم أشم رائحة من تلك الروائح العطرة، وكل ما أستطيع أن أراه هو الظلام وراء مقلتَيّ.

- «أنا حقًّا حقًّا آسفة يا سيدي»، تقول السيدة.

- «ماذا عن رحلة ربط؟ يجب أن نصل عليها لواشنطن بعد ظهر هذا اليوم!».

شرعت المرأة تطبع وتنقر ما يبدو لساعات. وأخيرًا رفعت رأسها عن الجهاز وقالت: «ليست هناك أي رحلات أخرى إلى العاصمة على أي شركة طيران أخرى، يا سيدي، سواء دون توقف أو غير ذلك، ويرتكز هذا النظام على الجو في كل شيء، ولن يكون هنالك أي جديد حتى وقت لاحق من مساء اليوم. آسفة جدًّا»، همست.

فتحتُ عينيَّ لأنهما ممتلئتان بالدموع، ومشى أبي بعيدًا عن شباك التذاكر، وقد استحال وجهه إلى تجاعيد ضيقة، ودون سابق إنذار ضرب

بقبضته الحائط الذي بجواره حيث أجلسُ، فرفعت رأسي إلى فوق، فأنا أعلم أن ذلك مؤلم.

- «آه! ما كان عليَّ أن أفعل ذلك!»، اعترف وهو يحمل قبضته بالقبضة الأخرى، ولكن لو كان باستطاعتي أن أسحق قبضتي بالحائط لفعلت. نقلت السيدة V نظرها من أبي إلي:

- «أنا لا أفهم كيف يمكن أن يكون قد حدث ذلك»، قالت لأمي، «أما كان من الواجب أن يتصل أحد من الفريق بكِ؟»، قالت وصوتها يمكنه سحق الطوب، «المعلم، ربما؟».

- «ربما لم يكن هناك متسع من الوقت»، تقول أمي بلا حول ولا قوة. «على الأقل هذا ما آمل، بالتأكيد أنهم... من المؤكد أنهم لن يكونوا قد تركوها وراءهم عن قصد».

لم أكن قد أخذت نفسًا عميقًا بعد حتى أشعر ببعض الارتياح.

- «أنا حقًّا أعتذر يا سيدتي»، قال وكيل البوابة أخيرًا، «لقد دققت في المطارات في المدن القريبة، وليس هناك أي رحلات جوية من المنطقة حتى مساء اليوم. عندي كثير من المقاعد على موقعنا على رحلة الساعة السابعة إذا كنتِ ترغبين بالحجز لكم». «لا، شكرًا لك»، قالت أمي بهدوء، «فات الأوان».

أصبح المطار بأكمله وكأنه فراغ بالنسبة إلي؛ لا ضجيج، لا أصوات، لا هواء. وأمي تمشي ببطء نحوي، وأنا أجلس هناك بالزي الأزرق والأبيض الجديد، وبحذاء تنس جديد مطابق لملابسي بلونه، وبجانبي حقيبة حمراء جديدة لامعة، وأشعر بالبلادة الغبية جدًّا، والغضب. كيف يمكن أن يفعلوا هذا بي؟ وأنا لا حول لي ولا قوة. أكره شعورًا مثل هذا؛ مثل شعوري عندما كنت

صغيرة وأقع فأنقلب على ظهري مثل سلحفاة غبية؛ ولا يمكنني أن أفعل شيئًا؛ أي شيء.

- «كم من الوقت يستغرقنا بالسيارة إلى العاصمة؟» سألت السيدة V، فلم ألتفت لما يقال، فأنا أعرف الإجابة:

- «عشر ساعات على الأقل»، رد عليها أبي بصوت ناعم.

- «راح طار الطيارة؟» سألت بيني.

- «لا طيران اليوم»، يقول أبي، ويمسها بلطف على رأسها بيده، في حين كانت أمي تدفعني بالكرسي إلى الجانب الآخر من منطقة مكاتب التدقيق، ثم ركعت أمامي، وبكت. حينها خُيل إلي أنني لن أتنفس مرة أخرى، فعانقتني أمي:

- «ستكونين بخير يا حبيبتي، فأنت لا تزالين أفضل، وأذكى، والفتاة الأكثر روعة في العالم. وبطريقة ما سوف نتجاوز ذلك».

- «**لا، أنا لن أستطيع**».

قالت السيدة V وهي تمسح عينيها كذلك، وتجلس على المقعد وتمسك بيديها يدي:

- «أوه، يا طفلتي الصغيرة، أعلم مدى صعوبة هذا، ولكن ما من سبيل هناك لتصلي إلى واشنطن».

بقيت جالسة هناك دون حراك. لقد بدأ هذا الصباح اليوم لامعًا مثل الكريستال، ولكنه تحول اليوم إلى زجاج مكسور.

* * *

الفصل التاسع والعشرون

عندما وصلنا إلى المنزل طلبت من والدتي وضعي في السرير، ورفضت تناول الغداء، ثم حاولت أن أنام، ولكن أسئلة المسابقة، وأسئلة لماذا، بقيت تحلق في رأسي.

لماذا لم يتصلوا بي؟ لماذا لم يخبروني عن الإفطار؟ لماذا لا يمكنني أن أكون مثل أي شخص آخر؟ ثم بكيت في نهاية المطاف على وسادتي. تحسسني بترسكوتش بأنفه، ولكنني تجاهلته. تركوني عن قصد! كيف يمكنهم أن يفعلوا ذلك؟ تركوني عن قصد! أشعر برغبة في الدوس على شيء، الدوس والدوس والدوس! هذا يجعلني كالمجنونة؛ لأنني لا أستطيع حتى أن أفعل ذلك! لا أستطيع حتى أن أتصرف بجنون مثل أي طفل طبيعي.

مرت بيني بنظراتها الخاطفة على غرفتي، وعندما رأتني مستيقظة، تسلقت على سريري واقتربت مني، فانبعثت منها رائحة صابون الحمام برائحة البطيخ. حاولت عدَّ أصابعي، ثم حاولت عدَّ أصابع يدها. كل ما تعرفه هو: واحد، اثنان، ثلاثة، خمسة، لذلك تقول هذا مرارًا وتكرارًا، ثم قالت إنها تسعى لتعليم اللعبة على العد: «اثنان، اثنان!» أشعر بالاسترخاء القليل.

- «أوه، أنت هنا، وبيني!»، قال أبي وهو في واجهة المدخل، «هل جعلت دي - دي سعيدة؟».

- «دي - دي فتاة جيدة»، تقول لأبي.

- «نعم، هي كذلك. أفضل جدًّا»، يوافق الأب، «هل أنت بخير يا ميلودي؟»، سأل وهو يأتي لتمسيد شعري بيده، فهززت رأسي موافقة، وأشرت إلى الرسغ الأيسر لوالدي الملفوف بضمادة. «نعم، إنه مؤلم»، قال، «كان ذلك شيئًا غبي، ولكن أعتقد أنه جعلني أشعر أفضل»، فهززت رأسي موافقة مرة أخرى، ثم رفع بيني من سريري بذراعه اليمنى.

- «جاهزة لتناول وجبة خفيفة يا آنسة بيني؟»، سألها.

- «النقانق!» طلبت.

- «هل تريدين مني شيئًا لك يا ميلودي؟»، سألني.

لم أكن جائعة، فهززت رأسي، ثم أشرت إلى ساعة الحائط، فقال:

- «ربما في وقت لاحق؟»، فابتسمت في وجهه، وترك بهدوء الغرفة مع أختي.

رن الهاتف، فسمعت أمي تقول:

- «أوه، مرحبًا، سيد ديمنغ»، قالت وهي تمشي بسرعة إلى غرفتي، والهاتف المحمول على أذنها، وراحتها مضمومة جدًّا حول المتلقي، أستطيع أن أرى الأوردة في الجزء العلوي من يدها:

- «لا، أنا **لا** أفهم»، قالت أمي باقتضاب، «لماذا لم تتصلوا بنا؟»، واستمعت له دقيقة، ثم انفجرت بغضب، «كان يمكننا أن نكون بسهولة في المطار قبل ساعة من الموعد، ويمكننا أن نكون هناك عند الفجر!»، إنها تقريبًا تصيح، «أتعرف كيف دمر هذا ابنتي؟»، وتوقفت. «نعم، أنا أعرف أنها ربما ألمع شخص في الفريق». صمتت أمي مؤقتًا للاستماع مرة أخرى.

- «سوف تعوّضها عن ذلك؟ لا بد أنك تمزح!»، ثم أغلقت الهاتف في وجهه، ووضعت السماعة في الركن وهي تمسح عينيها، وتشد محرمة ورقية من علبة المحارم الجاثمة فوق درجي، ثم جلست ملقية بكل ثقلها على كرسي بجانب سريري، ثم قالت لي بحزن:

- «أوه، ميلودي، لو كان بإمكاني أن أزيل عنك الألم بعيدًا»، فومضت في عينيَّ الدموع. سحبتني إلى حجرها؛ ليست هذه المرة مثل كل المرات السابقة، لكنها تشعرني بالارتياح؛ إنها تهدهدني بهدوء، وأخيرًا أغفو وأنا أستمع إلى إيقاع نبض قلبها.

■ ■ ■

الفصل الثلاثون

ما حدث اليوم كان كله بسبب خطئي؛ كان عليَّ أن أستمع، كان علينا أن نبقى جميعًا في البيت، وأن نقضي اليوم معًا، ولكننا لم نفعل، بسببي.

عندما استيقظت هذا الصباح، كانت السماء تمطر، وصوت الرعد، والبرق، والرياح، وهطل الأمطار المستمر كان يضحك ساخرًا من المظلات والمعاطف الواقية، وكان الهواء نفسه رماديًّا ثقيلًا، وثخينًا مع كثير من الرطوبة. أستطيع سماع ذلك يقصف على نافذتي. جاء أبي إلى غرفتي وجلس على كرسي القراءة، وكان يتحسس معصمه، وكانت أمي قد وضعت ذراعه في حمالة.

- «يوم مضطرب في الخارج».

أومأت برأسي موافقة.

- «خسر فريقك في واحدة من أواخر الجولات في العاصمة الليلة الماضية»، أخبرني والدي، «حصلوا على المرتبة التاسعة؛ كأس صغير للمواساة».

ولكنهم لم يعودوا فريقي بعد الآن. حاولت التظاهرِ وكأنني لم أهتم، وتراجعت بجد وواجهت الجدار.

- «ميلودي، أتمنى أن أصلح لك هذا الأمر»، قال أبي بهدوء وهو يغادر غرفتي، وهو ما جعل الدموع تنهمر من عينيَّ.

في البداية لم أكن أريد الذهاب إلى المدرسة، إذ إنني كنت قد أعفيت؛ لأنني من المفترض أن أكون في واشنطن، وإذا ذهبت فسوف أجلس طيلة اليوم في غرفة H-5 مع ويلي وماريا وفريدي، وهذ على ما يبدو لا طائل منه.

ولكنني عندما فكرت في ذلك، غيرت رأيي، وشعرت أن شعوري بالأسف على نفسي يحوّلني إلى الجنون مرة أخرى. وفي ثورة الغضب، قررت ألا أجلس في المنزل مثل جرو منبوذ. لقد أردت أن يعرف الجميع أنهم لم يهزموني.

انحنت أمي على بابي في تلك اللحظة، وقالت:

- «هل تريدين البقاء في البيت اليوم؟ لا أحد يلومك»، فهززت رأسي بقوة: لا! لا! لا! وركلت الأغطية عن قدميَّ، فتنهدتْ:

- «حسنًا حسنًا! ولكن الجو سيئ، واستيقظت ومعي صداع نصفي، بالإضافة إلى ذلك فإن بيني مريضة، وبترسكوتش تبرز على السجاد، ويجب أن أضعه في الطابق السفلي». جعلتني أغتسل، وأرتدي ثيابي، وأخذتني إلى الطابق السفلي. عادة أبي الذي كان يحملني صعودًا وهبوطًا على الدرج، ولكن بسبب إصابة ذراعه لم يفعل ذلك، وابتسمت أمي ابتسامة عريضة فقط، ورفعتني، وفعلت ذلك بنفسها، ثم أجلستني على الكرسي اليدوي (فالكرسي الكهربائي والبرق والعواصف لا يتفقان) المعلقة عليه لوحة التواصل القديمة (السابقة لألفيرا)، ثم جلست تلتقط أنفاسها.

- «يبدو أننا مقبلون على يوم عاصف يا حبيبتي»، قالت وهي تحملق في الفوضى الرطبة خارج النافذة، ثم همست لي وهي تمرر يدها على شعري:

- «أنا آسفة لذلك يا ميلودي، آسفة جدًّا لكل شيء».

استطعت أن أصل إلى يدها وأن ألمسها.

استمر المطر في الهطل، هيأت لي فطوري -من البيض المخفوق وكريمة القمح- وأطعمتني، ملعقة واحدة في كل مرة، وظلت تضع راحتها على جبينها. كانت هادئة على غير العادة، وكنت أتساءل هل تفكر كيف أنها لمرات عديدة قد أطعمتني، وكم مرة بقي عليها أن تفعل ذلك. بيني التي ترتدي القبعة الصفراء وحذاءها البيتي المرسوم عليه بطة، تتجول في المطبخ، وهي تسعل وتعطس.

توقفت أمي عن تقديم الطعام لي، وانتزعت منديلًا، ومسحت أنف بيني التي كانت تكره هذا بطبيعة الحال، حتى إنها صرخت كما لو كانت تتعرض للتعذيب من قبل جواسيس العدو.

كانت أمي عادة ما تجعل من ذلك لعبة؛ إذ تمسح على أنف اللعبة لتجعل بيني تتسامح مع ذلك على نحو أفضل، ولكنها -أعتقد- لم تشعر بذلك هذه المرة.

ثم رن جرس الهاتف، فأجابت أمي بيد، والملعقة والمنديل القذر في اليد الثانية.

- «مرحبًا. أنت ماذا؟ تريد مني أن آتي؟ لكن أنا في إجازة اليوم، وكان من المفترض أن أكون في واشنطن»، ثم توقفت لتستمع، «قصة طويلة».

كنت أنتظر، واستمرت بيني بالعواء.

يجب عليها أن تضع بيني في الطابق السفلي مع الكلب! هذا ما فكرت فيه حينها، مقطبة الجبين.

بترسكوتش يخدش بشراسة باب الطابق السفلي.

- «بيني، من فضلك!»، صرخت أمي خارجة، وهي تضع يدها على الهاتف، «لا أستطيع أن أسمع!».

سكتت بيني قليلًا، ولكن فقط لأنها جلست القرفصاء على الأرض، ووضعت كلتا يديها في مياه حوض بترسكوتش راشقة المياه في جميع أنحاء الأرضية.

استمعت أمي دقيقةً، ثم قالت في الهاتف:

- «إلى أي حد الحادث سيئ؟ كثير من الإصابات؟ حسنًا أنا أتفهم، سأكون هناك، ولكن لا بد لي من الانتظار حتى تصعد ابنتي إلى حافلة المدرسة».

أقفلت خط الهاتف وتنهدت، وضغطت على المنديل في قبضة يدها، ثم قالت وهي تنادي على والدي:

- «لا بد لي من الذهاب إلى المستشفى، تشاك، فثمة تصادم كبير على الطريق السريع. هل أنت مُرْتَدٍ ملابسك ومستعد؟».

جاء أبي من الطابق السفلي وهو لا يزال مرتديًا المنامة:

- «لست ذاهبًا إلى العمل اليوم»، قال لها.

- «ولكنك نادرًا ما تعطل»، قالت أمي، وفوجئت بعبوس على وجهها.

- «معصمي يؤلمني، والجو فظيع، وبيني مصابة بلفحة برد».

- «لماذا لا تبقين معي في المنزل اليوم؟»، قال لي، ولكن لا، فركلت وصرخت وأصررت على الذهاب إلى المدرسة. لا يمكن أن يفوتني اليوم!

أشرت. يجب أن أذهب! يجب أن أذهب! وضعت أمي فورًا رأسها بين يديها مرة أخرى.

«أخرج بيني من صحن الكلب»، هذا كل ما قالته في نهاية المطاف.

أخذ أبي حفنة من المناشف الورقية من اللفة، ونظف الفوضى التي تسببت بها بيني، ومسح أنفها بمنشفة ورقية مبللة، وهو ما جعلها تبدأ بالصياح مرة أخرى، وصياحها أصبح صراخًا، ووصل بها الأمر إلى أن ضربت كوبًا من عصير البرتقال على درجي، فتمرغت بلوزتي النظيفة بالعصير. **هل فعلت ذلك عن قصد!** فكرت بغضب. هزت أمي ببساطة كتفيها متجاهلة الأمر، وانتزعت قميصي بحركة واحدة سريعة، وقالت لأبي:

- «ميلودي مصممة على الذهاب إلى المدرسة، لماذا؟ أنا لا أعرف، لكنها قد تذهب على أي حال».

لم أستطع أن أشرح لهما أنني أردت أن أرى كاثرين، بطريقة ما شعرت أنها تريد الحديث معي، وأن تجعلني أشعر بالتحسن. إنها فتاة كلية جامعية، ومن شأنها أن تعرف ما تقول، وإلى جانب ذلك فإنني يجب أن أعطيها تلك البطاقة، اليوم.

استغرق الأمر عدة دقائق لأمي لإيجاد قميص جديد لي حتى تذكرت أن جميع ملابسي النظيفة في حقيبة السفر، وعندما دحرجت الحقيبة الحمراء في المطبخ، نظرت في وجهها، ثم نظرت بعيدًا، ورفضتُ البكاء أكثر مما بكيت.

لسبب ما جاءت الحافلة في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم، كنت وقتها قد ارتديت قميصًا نظيفًا، وحقيبتي المدرسية لم تستكمل بطعام الغداء،

وبطاقة كاثرين، وكان عليَّ أن أذهب إلى الحمام على الرغم من ضجيج المطر والرعد، والتزمير الواضح من الحافلة، وكان الأمر يبدو ورطة كبيرة.

سمعت أبي يفتح الباب الأمامي للتلويح للسائق، وصاح:

- «ألا تنتظر يا جوس! إنها ليست جاهزة!». السائق- وهو رجل رملي الشعر، ويعمل على هذا الطريق منذ بضع سنوات- يطلق صوت الزمور مرة أخرى، ثم ذهب. جوس سائق رائع حقًّا، وغالبًا ما ينتظر الآباء بضع دقائق في زحام تجهيز أطفالهم للخروج من منازلهم، والأمر لا يتطلب منا وقتًا أطول في بعض الأحيان لنجهز معًا في الصباح.

- «ميلودي، طفلتي الحبيبة، لماذا لا تبقين في المنزل مع أبيك وبيني اليوم؟ من فضلك؟»، سألتني أمي وهي ترفعني من المرحاض، وأضافت:

- «إنه يوم سيئ»، فركلت وصرخت مرة أخرى، وهززت رأسي: **لا لا، لا!** لم أكن أعرف لماذا كان ذلك بغاية الأهمية، لكنني أعرف أنني يجب أن أذهب، وربما كنت أرغب في أن يعرف الجميع ما فعله الفريق بي؛ لم أكن متأكدة حقًّا، إنما أعرف فقط أنني مضطرة إلى الذهاب إلى المدرسة.

تنهدت أمي وسحبت بنطالي الجينز، وعندما جلستُ مرة أخرى في مقعدي، أشرت إلى شكرًا وأمي، فهزت رأسها فقط، وحشت الغداء في حقيبة كتبي، ولأن المطر لا يبدو أنه سيكف عن الهَطْل، فقد أخذت أمي نفسًا عميقًا، وبدأت عملية تحميلي في السيارة.

عندما كنت أركب الحافلة، فأنا أتدحرج ببساطة في الطريق المنحدر أسفل الممر، ثم الرفع إلى الحافلة، ثم إلى منطقة مصممة خصوصًا في الحافلة لتثبيت مقعدي بالأحزمة في مكانه.

ولكن عندما أركب في السيارة، فإن العملية تنطوي على تفكيكٍ وتجميعٍ لمقعدي وأشيائي ووضعي معها. هذه المرة ومع مقعدي اليدوي، كان الوضع مؤلمًا.

لم يقدم يومها أبي أي مساعدة؛ فذراعه في الحمالة، وكان يتجاهل ويحاول أن يبدو وكأنه آسف أنه لم يستطع الخروج وتقديم يد العون لأمي، ولكني أعتقد أنه يستمتع بالأمر قليلًا، وهو ما جعل أمي تشعر أكثر بالضيق.

المطر والرياح، وكل شيء ازداد سوءًا، وكانت أمي قد ألقت معطفًا بلاستيكيًا ضخمًا واقيًا من المطر فوقي وفوق مقعدي، وآخر لفته على نفسها، ولكن في ثوان طارت الأغطية فتبللت رؤوسنا.

توجهنا ببطء إلى أسفل المنحدر على الكرسي المتحرك، والرياح تجلدنا، والمطر يهاجم من كل الجهات.

اعتقدت أن ذلك كان مثيرًا، فأنا لم أر السماء من قبل بمثل تلك الحلكة من الظلام في الساعة الثامنة من صباح اليوم، والرعد والرياح جعلتني أشعر وكأنه مشهد من فيلم جيد حقًّا. شعري قصير ومجعد، وأعتقد أنه يبدو لطيفًا عندما يكون مبتلًّا، وهو شيء جيد. أما أمي فتكره أن يكون شعرها مبتلًّا؛ لأنه يصبح مفتولًا ومتعرجًا، ولسوف أعترف أن أمي بالشعر الرطب يجب عليها الاختباء في خزانة.

فتحت باب السيارة من جانب الركاب، فأغلقته قوة الريح فورًا، وفعلتْ ذلك مرة أخرى، وهذه المرة باستخدامي أنا والكرسي حاجزًا للباب. المقعد الأمامي للسيارة -بطبيعة الحال- أصبح مبتلًّا، ورفعتني إلى المقعد، ثم حزمتني بالأشرطة، وبدأت عملية تحميل مقعدي. لحسن الحظ أن معظمه من

البلاستيك والجلد والمعدن، ولكنني كنت أعرف أنه سيظل رطبًا طيلة اليوم، حتى لو أن شخصًا ما مسحه جيدًا عندما أصل إلى المدرسة.

وضعت أمي مقعدي جنبًا إلى جنب مع لوح الاتصالات القديم، في الجزء الخلفي من السيارة ذات الدفع الرباعي، وعندما أغلقت الغطاء، أغلقته بشدة.

استمر المطر بالهطْل، وفور أن جلسَتْ على مقعد السائق كانت قد أصبحت في فوضى وفي مزاج رهيب.

- «أتمنى أن أعود إلى السرير»، قالت، وعندما وضعت المفتاح للتشغيل قالت: «رأسي يقتلني، لماذا وافقت على الذهاب إلى العمل؟ من المفترض أن أكون معك اليوم، في واشنطن». تنهدت بتثاقل.

بدأت أركل بساقيَّ ردًّا على ذلك، ولكن قليلًا فقط؛ إذ لم أكن أريد أن أزيد إزعاجها أكثر. في تلك اللحظة نظرت إلى أسفل، ولاحظت أنها قد نسيت حقيبتي المدرسية، **وبطاقة كاثرين!** فمددت جسمي لفوق، وأمسكت بذراع أمي، وأشرت إلى قدمي.

- «ماذا؟»، سألت أمي والتهيج في صوتها.

ركلت، وأشرت، وولولت، ثم أشرت إلى المنزل. أبي الذي كان قد ارتدى كنزته الرمادية الثخينة كان واقفًا هناك عند الباب الأمامي، مبتسمًا، يحمل حقيبة الكتب في يده اليمنى. كنت أرى بيني وهي ما تزال بالمنامة ذات البطة الصفراء، والآن بقبعة المطر الصفراء، تقف وراءه، وكانت تحمل اللعبة دودل بيديها ومظلة أمي الحمراء.

ضجة البرق، يتبعها الرعد، والمطر ينهمر. شاهدت أمي تشد يديها على عجلة القيادة، وسمعتها تصدر ضوضاء أشبه بالتذمر، «آرررره!»، وفتحت باب السيارة، خارجة مرة أخرى في العاصفة، ثم انتزعت الحقيبة من يد أبي،

وتبللت بالمطر وهي تعود ثانية وتدخل السيارة. لوَّح أبي لها بالذراع الملفوفة بالضمادات من الشرفة، ثم التفت وعاد إلى جفاف المنزل.

تابعته حتى أصبح الباب الأمامي للمنزل مغلقًا تقريبًا.

وأنا ما زلت أنظر،، رأيت حزمة صغيرة من اللون الأصفر، ومظلة حمراء تخرج كالسهام من المنزل، رأيتها فقط لثانية، ولكنني رأيت، فصرخت! وركلت! وحاولت أن أمد ذراعي!

كانت نوافذ السيارة كلها تقريبًا ملبدة بالضباب، وتلبدت أسوأ من ذلك عندما واصلتُ التصرف كما لو أصابني مسٌّ من عمل الشياطين، فنظرت أمي في وجهي وكأنني قد فقدت عقلي، وصرخت في وجهي:

- «توقفي! هل أنت مجنونة؟».

لكنني لم أتوقف، ولم أستطع، فخبطت على نافذة السيارة، وسحبت قميص أمي، وضربت رأسها، وقرصتها، أو على الأقل حاولت ذلك.

- «لا أستطيع احتمال أكثر من ذلك، ميلودي!» صرخت أمي بي مرعدة. «أنا أكره أن تتصرفي هكذا، عليك أن تتعلمي كيفية السيطرة على نفسك! الآن توقفي عن ذلك». قالت هذا ووضعت يدها على مفتاح بدء تشغيل السيارة، فصرخت، وحاولت أن أصل إليها أكثر، وحاولت سحب المفاتيح منها، فخدشت الجزء الخلفي من ناحية أمي.

صفعتني صفعة قوية على ساقي، وهي التي لم ترفع يدها مرة في حياتها عليَّ من قبل، ولكني لم أتوقف عن الصراخ والركل والارتجاج، كان عليَّ أن أقول لها، **كان عليَّ أن أقول لها إن بيني كانت هناك في الخارج!** ولم أكن يومًا بحاجة إلى الكلمات أكثر من ذلك اليوم، لقد خرجت عن طوري.

- «سآخذك إلى المدرسة، وأتمنى أن يقبلوك!»، تمتمت أمي بأنفاس مقطوعة، وبغضب، وشغلت السيارة، وأخذ اندفاع الهواء يمسح النوافذ تدريجيًّا، وتلاطمت مساحات الزجاج الأمامي في غاية سرعتها.

بكيتُ بحرارة، دموعًا مدرارة وبحرقة، وأمسكت بذراع أمي مرة أخرى، ولكن كل ما فعلَتْه كان أن أزاحت ذراعي بعيدًا عنها، ويمكنني أن أقول إنها شعرت بحاجتها إلى ضربي مرة أخرى، لكنها لم تفعل ذلك، وكانت شفتاها مزمومتين.

نظرتْ في مرآة الرؤية الخلفية، ووضعت السيارة في حالة تأهب الرجوع إلى الخلف؛ فصرختُ، وصحتُ، وجعرتُ، وانسكب المطر، وزمجر الرعد.

ببطء رجعت السيارة الكبيرة إلى الخارج. شعرت بالعجلات تمر على شيء طري، فغمرني صمت الموتى. توقفت أمي، وتحول رأسها ببطء إلى اليسار، ثم تحول ببطء إلى اليمين، تقريبًا كما لو كانت تقوم بحركة بطيئة، كما شاهدت أبي يهرع خارجًا من المنزل، ونظرة فزع صارخ على وجهه:

- «بيني!»، سمعته يصيح، «أين بيني؟».

أنزلت أمي زجاج النافذة الجانبية إلى أسفل، فتدفق المطر عليَّ، ولكنني لم أهتم.

- «ماذا تعني؟ إنها معك!»، كان صوت أمي منخفضًا، ولكنها بدت خائفة جدًّا. خرجت من السيارة، وتطلعت إلى أسفل، وصرخت لوقت طويل، وكان صراخها بصوت أعلى من صفارات الشرطة التي جاءت في نهاية المطاف تصيح هي الأخرى حول الزاوية في منطقتنا، وأعلى صوتًا من الشاحنة وأبواق سيارات الإسعاف التي توالت في المجيء، وأعلى صوتًا من صرخاتي الصامتة.

جلستُ هناك ما يقارب الساعات في نظري، منسية تمامًا، ومربوطة بالأحزمة، أعاني في المقعد الأمامي للسيارة من المطر المنسكب في نافذتي المفتوحة، أعاني الألم والخوف.



الفصل الحادي والثلاثون

كان الهواء ثقيلاً ورطبًا، مثل الصمت الذي أعقب الصراخ والبكاء وصفارات الإنذار، والمطر تباطأ إلى رذاذ.

بعد أن غادرت أمي وأبي مع سيارة الإسعاف، وتركاني في السيارة، أخرجتني السيدة V من السيارة، وأجلستني في مقعدي، ثم وضعت اللعبة المتسخة على صينيتي.

- «لقد وجدت هذا تحت السيارة»، قالت بصوت منكسر.

ما إن لمست اللعبة حتى انفجرت باكية.

وبينما كانت تدفعني بالكرسي إلى منزلها، قالت:

- «سوف ننظف اللعبة لتكون في انتظار بيني عندما تعود إلى البيت، هل تسمعين؟».

لم أستطع التأكد هل كانت تحاول إقناعي أو إقناع نفسها.

شعرتُ بالدوار وبالغثيان، ولم أستطع التوقف عن الارتجاف.

بعد تغيير ملابسي إلى ملابس دافئة وجافة، أدارت المذياع على محطة هادئة بمستوى منخفض، وكان اللون الوحيد الذي سمعته هو اللون الرمادي.

وقفت السيدة V ورائي، وفركت بلطف كتفي.

- «هل أنت جائعة؟»، سألتني، فهززت رأسي: لا. فواصلت تدليك ظهري وكتفيَّ حتى شعرنا على حد سواء أن التوتر قد زال بعيدًا.

- «أنا ذاهبة إلى البيت المجاور لأحضر لكِ الجهاز المتكلم والكلب»، قالت، ثم أضافت:

- «هل تريدين أي شيء آخر؟».

هززت رأسي وواصلت الاستماع إلى نغمات من الدخان الرمادي. وعندما عادت بدا بترسكوتش عصبيًّا ومتوترًا، وظل يشمشم ويلهث كما لو كان يبحث عن شيء ما، فقالت السيدة V:

- «أعتقد أنه يبحث عن بيني، فالكلاب تعلم وتحس».

وضعت ألفيرا موصولًا إلى مقعدي، وشغلته، ولكن لم يكن هناك شيء لأي منا ليقوله.

- «إنها ليست غلطتك كما تعلمين»، قالت أخيرًا، فهززت رأسي بقوة. لا بد أن السيدة V تعرف أفضل ما يمكن قوله من أشياء فقط لتجعلني أشعر بشعور أفضل.

- «أعني ذلك يا ميلودي؛ إنه ليس خطأك!».

«نعم، إنه خطئي!»، أجبتها على الجهاز المتكلم، ورفعت مستوى الصوت عاليًا.

دارت السيدة V حول الغرفة إلى حيث يمكنني أن أراها، ثم انحنت لأسفل حتى كان بين وجهينا بوصة فقط.

- «لقد فعلت أفضل ما لديك لتحذير أمك، يجب أن تكوني فخورة بنفسك».

- «لست فخورة، هذا لا يكفي»، كتبتُ.

- «في بعض الأحيان تحدث أشياء خارج سيطرتنا يا ميلودي، فعلتِ كل شيء بصورة صحيحة».

ذنب فقاعات الإحساس بالذنب تصاعدت في ذلك الحين:

- «كنت مجنونة لأجل بيني»، كتبتُ، أبطأ من المعتاد.

- «بيني تعرف أنك تحبينها»، قالت. فسحت الدموع على خدي.

- «جعلت أمي تأخذني إلى المدرسة».

- «وماذا في ذلك؟ حقيقة أنك كنت مصرة على الذهاب إلى المدرسة، حتى بعد ما حدث لك يوم أمس، يظهر أنك قوية وأفضل من أي شخص آخر هناك، وأنا فخورة بك لذلك».

- «لا تفخري».

- «أنا متأكدة أن بيني ستكون على ما يرام»، قالت السيدة V، لكن صوتها قال خلاف ذلك، ولأول مرة أستطيع التذكر بأن السيدة V بدت غير متأكدة.
-«هل ستموت؟» يجب أن أعرف.

- «كانت على قيد الحياة وتتنفس عندما أخذتها سيارة الإسعاف، ولذلك أنا أميل إلى الاعتقاد بأن حالتها ما تزال كما هي، فالأطفال الصغار أجسامهم مرنة جدًّا كما تعرفين». كان لا بد أن أعرف عن شيء آخر.

- «دماغها؟ هل أصيب بأذى؟»، سألتُ، فقد رأيت برامج تلفازية عن ارتجاج المخ لتكفي كي أعرف أن هذا من الممكن، فزميلتي جيل كانت قد أصيبت في حادث سيارة. لم أستطع أن أتحمل رؤية بيني هكذا.

أجابت السيدة V باهتمام وصدق:

- «أرى أن هذا ممكن، ولكن أدعو الله أن ألا يكون الأمر كذلك».

- «طفلتان معاقتان!»، كتبتُ. الفكرة فقط تقريبًا جعلتني أتجمد. وأضافت:

- «هذا لن يحدث يا ميلودي»، ولكن صوتها كان مترددًا. شرد ذهني لحظة، ثم كتبت:

- «كان يجب أن أكون مكانها».

- «هاه؟ ماذا تعنين؟».

- «لن يفتقدني أحد».

- «الآن، توقفي عن الحديث الغبي من هذا القبيل! إن عالمي كله سوف ينهار إذا حدث لك شيء، ووالداك كذلك».

لست متأكدة أنني أصدقها. أملت رأسي وكتبت: «حقًّا؟».

- «أنا أخطط لارتداء اللون الأرجواني عند تخرجك من الكلية!».

- «بعيد وصعب جدًّا».

«مثل تشكيل فريق المسابقة؟».

- «لقد تركوني».

- «وخسروا!».

نظرت من خلال نافذتها الكبيرة، فشاهدت فروع الشجرة المبللة بالمطر. كيف يمكنني أن أقول ذلك؟ نظرت إلى الجهاز المتكلم وببطء شديد كتبت:

- «أريد أن أكون مثل باقي الأطفال الآخرين».

«وهكذا تريدين أن تصبحي حقيرة وواهمة ورعناء؟».

نظرت إلى وجهها الغاضب، ثم نظرت بعيدًا.

- «كلا، عادية».

- «عادية بلهاء!»، قالتها بصوت هادر، «حب الناس لك لكونك ميلودي، وليس بسبب ما يمكن أو لا يمكن فعله.

- «أريد أن يكون اليوم، يوم أمس»، كتبتُ.

- «الأمس كُسر قلبك لأنهم تركوكِ وراءهم، تذكرين؟».

- «ما عانيته أمس أهون عليَّ مما أعانيه الآن».

- «أعرف، أوه، ميلودي، وأنا أعلم».

- «أنا خائفة».

- «وأنا أيضًا». وترددت في الغرفة الصامتة أفكارنا.

- «كان لدي سمكة ذهبية، قفزت من وعائها»، كتبت بعد ذلك.

- «أتذكر أن أمك حدثتني عن ذلك».

- «حاولت إنقاذها ولم أستطع».

رن جرس الهاتف، فذُهلت كلٌّ منا، وارتعشت في مقعدي، فالتقطته السيدة V: -«نعم»، قالت. توترت وأنا أستمع.

- «أوه لا!»، قالت، فهبط قلبي تحت مقعدي. استمعت مدة طويلة.

- «أوه، نعم!»، قالت هذا أخيرًا، ثم شرعت في البكاء.

- «هل ماتت بيني؟»، كتبتُ، وكان العالم يلف ويلتف ويدور.

مسحت السيدة V عينيها، ثم نظرت في وجهي وأخذت نفسًا عميقًا.

- «لديها بعض إصابات داخلية، وهي سيئة، كسر في الساق، لكن العملية الجراحية نجحت! ستعيش!». ثم عادت للبكاء مرة أخرى، عادي لا تمتص على الإطلاق.

■ ■ ■

الفصل الثاني والثلاثون

اليوم هو يوم الإثنين، لذلك لا بد لي من العودة إلى المدرسة. درجات الحرارة تراجعت، والشمس متوهجة مثل نوع من الجواهر الذهبية، ومع ذلك أشعر أن كل شيء بات مختلفًا وليس صحيحًا تمامًا.

قضت أمي عطلة نهاية الأسبوع في المستشفى مع بيني، تنام على سرير في غرفتها، ولم أرها منذ ذلك الحين. حسنًا، كل شيء تغير منذ ذلك الحين، أتساءل هل باتت أمي تحبني؟ كانت السيدة V تأتي وتساعدني على ارتداء ملابسي وتطعمني. حتى بترسكوتش يبدو أنه يفتقد بيني؛ إنه يضع رأسه في حضني، ويتطلع في وجهي بعينين تحسان بالوحدة، ولكنني لا أستطيع أن أساعده. وأبي في حالة فوضى؛ تظل تسقط منه أشياء مثل الشوك والمفاتيح، ويبدأ بالحديث، ثم ينسى ما كان يريد أن يقول، ولم يحلق لحيته. «اعتن بنفسك، تشاك»، قالت له السيدة V أخيرًا. «حمام ساخن، وكوب بارد من عصير البرتقال، سوف يهدئان من روعك، عند الذهاب لرؤية بيني هذا الصباح، لا بد أنك لا تريد أن تخيف الطفلة، أليس كذلك؟».

- «آه، أنت على صواب»، ردَّ أبي. «هل غطيت ميلودي؟».

«سوف أتأكد من ركوبها الحافلة ثم انطلق بسرعة!».

وصعد الدرج إلى الحمام.

- «بيني أفضل؟» كتبت على اللوح.

- «نعم، أوه، نعم! عندما تحدثت إلى أمك هذا الصباح، قالت لي إنهم أخرجوها من العناية المركزة، وإن بيني كانت تشرب عصير التفاح، وتشكو من التجبير، وتسأل عن اللعبة التي نظفتها وأصبحت جاهزة لها. بيني سوف تكون على ما يرام يا ميلودي، بخير تمامًا».

تنفست بعمق، ودست السيدة V ملعقة من البيض في فمي، ولكن معدتي كانت تغلي بالقلق.

- «وساقها؟» سألتُ.

- «ساقها في الجبيرة، إنها كبيرة وقاسية وسوف تكون مزعجة لها، ولكن قال الأطباء إنها عندما تصبح أقوى، سوف تكون قادرة على المشي بها».

أنا سعيدة فالسيدة V دائمًا صريحة معي.

- «كرسي متحرك؟». لا أستطيع التفكير في أي شيء أسوأ من كرسي متحرك لطفلة صغيرة جدًّا.

- «كلا. يريدون لها التحرك قدر الإمكان»، فتنفست الصعداء.

- «ورأسها؟»، سألت.

أدركت السيدة V مغزى سؤالي، فقالت:

- «لا تلف في الدماغ يا ميلودي، لا شيء». الزفير يخرج مني ببطء.

- «أنت متأكدة؟»، استوضحت.

- «بكل تأكيد، رأيتها بنفسي الليلة الماضية. صدمت رأسها عندما سقطت، ولكن السيارة ضربت ساقها، ولم تمس رأسها على الإطلاق».

زمرت الحافلة المدرسية إثر ذلك، فقادتني السيدة V إلى أسفل، وتحققت من حقيبتي، وضبطت أشرطة قدميَّ، وعانقتني عناقًا طويلًا.

- «هل أنت على استعداد يا ميلودي؟ على استعداد لمواجهة فريق المسابقة؟»، هززت رأسي بالإيجاب، فبعد كل ما حدث، فإن مواجهة مجموعة من طلاب الصف الخامس الخائبين ستكون سهلة.

نظر جوس إليَّ بقلق واهتمام وهو يخفض مصعد الحافلة.

- «كيف حال أختك الصغيرة؟»، سألني، وأضاف: «هذا أمر مخيف جدًّا!».

- «ستكون على ما يرام»، كتبت، «شكرًا».

أدركت حينذاك أن أخبارًا مثل هذه تنتشر بسرعة، والجميع في المدرسة ربما يعرفون كذلك. رفع جوس لي مصعد الباص بنقرة على الزر، فلوحت السيدة V مودعة.

الركوب بالحافلة إلى المدرسة كان هادئًا هدوءًا غريبًا؛ فلم يحدث أي شيء من الصرير والهمهمات المعتادة بين الطلاب الذين يركبون الحافلة الخاصة، وعندما وصلنا إلى المدرسة، كان الهواء باردًا، ومن ثم فإن المساعدين أخذونا مباشرة إلى غرفة H-5، وحالما استقررنا، نظرت إلى أصدقائي هناك من خلال عيون مختلفة:

فريدي الذي يريد أن يقفز إلى سطح القمر، وأشلي عارضة الأزياء لدينا، وويلي خبير البيسبول، وماريا التي ليس لها أعداء، وغلوريا محبة الموسيقى، وكارل الذواقة المقيم لدينا، وجيل التي كانت ذات مرة مثل بيني. لا أحد منهم يعرف حتى كيف يكون دنيئًا.

وأنا الحالمة التي تحاول الهروب من غرفة H-5، طفلة مع حاسوب يسمى ألفيرا، أنا لا أعرف حتى إلى أين أنتمي بعد الآن.

جاءت كاثرين في ذلك الحين، وكانت ترتدي الزي الجديد الذي كان في الواقع لطيفًا وأنيقًا، بنطال كحلي، سترة سوداء، وصدرية.

- «هندامك لطيف»، قلت لها.

- «شكرًا! فقد عملت كل شيء بنفسي».

- «لدي شيء لك»، وأشرت إلى حقيبتي، فمدت يدها إلى حقيبتي، وحفرت بداخلها، ووجدت البطاقة التي كادت أن تؤدي إلى مأساة. وبعد أن قرأت ما هو مكتوب عليها، قالت وعيناها تومضان بالدموع:

«لا يا ميلودي، وشكرًا لك!» قالت ومالت عليَّ أكثر وعانقتني، ثم بدت جادة وهي تقول:

- «السيدة فالنسيا أخبرتني بكل ما حدث مع أختك الصغيرة، كيف هي الآن؟».

- «أفضل»، طبعت.

- «أنت تعرفين، ربما أنتِ التي أنقذت حياتها»، أخبرتني كاثرين.

- «ماذا؟».

- «هذا حقيقة؛ فصراخك وعويلك أبطأ أمك، ومنحاها وقتًا لمعرفة سبب تصرفك على ذلك النحو مثلما لو كنت ابتلعتِ شيئًا ساخنًا يغلي».

- «لم أستطع إيقاف أمي»، كتبت على الجهاز الخاص بي.

- «أنت فعلت بالضبط الشيء الصحيح، وأنا فخورة جدًّا بك».

- «حقًّا؟».

- «نعم، خصوصًا بعد كل ما مررت به في المطار. كنت أريد أن أتحدث عن ذلك؟».

- «لا»، طبعت، ونظرت بعيدًا.

جاءت ماريا إلى الكرسي حيث أجلس وعانقتني بحرارة.

- «لقد فعلت ما هو جيد، ميلي»، قالت، «حقيقة ما فعلته جيد».

لست متأكدة هل كانت تتحدث عن فريق المسابقة أم عن شيء آخر، ولكن عينيَّ دمعتا وأنفي بدأ يسيل.

تمنيت أن أعتصرها بحرارة كي أجعلها تعرف جيدًا كم رفعت من معنوياتي، ولكنني لم أكتب لها سوى كلمة «شكرًا».

لست متأكدة من مدى معرفة فريدي بما يجري في العالم من حوله، لذلك فقد أدهشني عندما عرج إليَّ وسأل: «ميلي طارت بالطائرة؟»، وكان يبدو عليه أنه متحمس، بل ربما الحسد.

- «لا، فريدي»، كتبت، «لا طائرة، ولا غيرها»، فبدت على وجهه علامات الحزن، ثم قاد سيارته بعيدًا.

أتت السيدة شانون مقتربة أكثر، وجلست القرفصاء بجانبي.

- «لا بد أن رأسك على وشك الانفجار مما حدث معك في الأيام القليلة الماضية». -«يكاد ينفجر»، طبعت، ولكنني لم أشعر أنني أستطيع الابتسام.

- «دعينا نتحدث في وقت الغداء؛ حسنًا ميلودي؟».

- «حسنًا».

- «هل أنت ذاهبة إلى فصول الدمج الخاصة بك؟»، سألت.

- «نعم»، كتبت.

كنت قد فكرت في هذا طيلة عطلة نهاية الأسبوع، عندما كنت لا أفكر في بيني، كنت قد قررت ألا أختفي.

- «أريدك أن تعرفي أنني فخورة جدًّا بك»، قالت رافعة لي الإبهام إلى أعلى، ثم واصلت الروتين الصباحي.

بعد أن اتضح أن الآنسة جوردون غائبة اليوم، فإن الحصة الأولى من درس الدمج من المقرر سوف أحضرها مع الأستاذ ديمنغ.

- «هل أنت متأكدة أنك تريدين الذهاب؟»، سألتني كاثرين، وبدلًا من الرد أدرت مقعدي نحو باب الأستاذ ديمنغ، فوضعت كاثرين يدها على كتفي وأنا أدخل الغرفة، والكأس الصغير الملون النحاسي على مكتب الأستاذ ديمنغ.

كانت الغرفة أكثر هدوءًا من المعتاد. مسح الأستاذ ديمنغ رقبته وابتلع ريقه، وفي وقفته أمام الفصل راح ينتقل من قدم إلى أخرى، وهو يمرر إصبعه متحسسًا ياقة قميصه الأبيض القديم الذي عاد لارتدائه، كما كان يرتدي بذلته البنية القديمة المهترئة، وحذاءه القديم أيضًا، وأخيرًا قال:

- «مرحبًا ميلودي!»، بصوت وهمي البهجة، فلم أرد عليه. كان يتلوى كثيرًا، وكان يبدو وكأنه بحاجة إلى الذهاب إلى الحمام، وأنا كنت أتفرج عليه فقط، لا ركلات مني تصدر، ولا أصوات غريبة، بل هادئة بصورة مثيرة للدهشة.

لمحتُ روز، لكن وجهها كان في الاتجاه الآخر، ويبدو أن لا أحد يعرف ماذا سيقول، وأخيرًا كسرت أنا حاجز الصمت، ورفعت مستوى الصوت إلى أقصاه على الجهاز الخاص بي، ثم كتبت به:

- «لماذا تركتمونني؟» تمنيت لو كان هناك شخص ما مع كاميرا الفيديو ليثبت أن الصف الخامس يمكن أن يكون هادئًا تمامًا.

وجوه تبحث في وجوه أخرى، وكل واحد منها يبحث عمن لديه استعداد للتحدث.

أخيرًا، وقفت روز، ونظرت مباشرة إليَّ وهي تقول:

- «نحن لم نخطط لتركك يا ميلودي، بصدق».

نظرت إلى عينيها كما الأموات، وانتظرت، ولا رد فعل مني على الإطلاق، أنا فقط أنتظر، فواصلت: «كلنا خرجنا مبكرين لتناول طعام الإفطار في ذلك الصباح»، فقاطعتها:

- «لا أحد أخبرني عن ذلك، كيف ذلك؟».

لا أحد منهم يجيب، صمتهم أبلغ من كلماتهم، ويقول ما لا تبلغه الكلمات، سيكون حال الفريق أفضل من دوني، ومضت عيناي سريعًا في الحقيقة.

وأخيرًا تمتمت كلير:

- «لقد أدركنا أنك سوف تؤخريننا ريثما يطعمك أحد، وأشياء أخرى»، ثم خيم هدوء مطبق، وأقسم أنني أسمع خفقات قلبي، فكتبت:

- «أنتِ تقيأتِ ولا أحد تركك».

- «أوه، يا للمفاجئة!»، سمعت رودني يهمس، وكلير تحدق إلى أسفل في دُرجها.

- «من الذي تولى مكاني؟».

رفعت كلير يدها قليلًا، لكنها لم تنظر في وجهي، وركزت روز نظرها على بقعة في كتاب التاريخ أمامها.

- «انتهينا من الإفطار بسرعة حقًّا لأننا كنا جميعًا سعداء، ولذلك وصلنا إلى المطار في وقت مبكر».

قال كونور وقد وقف في ذلك الحين، وبدا عليه عدم الارتياح:

- «لذلك عندما وصلنا إلى المطار، قالوا لنا إنه قد ألغيت رحلة الظهر، ولكننا نستطيع الحجز على رحلة أبكر إذا أسرعنا». ثم تكلمت مولي:

- «لذلك حجزنا، وتحققوا منا ومما لدينا بسرعة، ثم هرعنا؛ أعني ركضنا مثل نجوم مسابقة المضمار، حتى الأستاذ ديمنغ هرع إلى البوابة للحجز على تلك الرحلة في وقت مبكر».

- «لا أحد فكر فيَّ؟» سألت، وساد الصمت مرة أخرى.

وأخيرًا قالت إيلينا:

- «هذا ما فعلته، كنت أول واحدة على متن الطائرة، ما إن أعطيت الموظف بطاقة الصعود الخاصة بي، حتى ذكرت الأستاذ ديمنغ أنك غير موجودة معنا».

وهنا عاد الأستاذ ديمنغ مرة أخرى في وقفته إلى النقل من قدم إلى أخرى.

- «كنت مشغولًا جدًّا؛ أحاول العد، والتحقق ممن كانوا معنا، وأن لكل منهم مقعدًا على الطائرة، ومما يحمله معه من حقائب يدوية، وأتعاون مع الجميع على حمل حقائبهم، لذلك طلبت من الأطفال أن يتصلوا بك في المنزل، وكنت أعرف أن روز، على الأقل، معها رقمك في هاتفها الخلوي».

تحولت العيون كلها إلى روز وهي تنظر إلى الأرض، ثم قالت ببطء وهي تتطلع في وجهي وتسيل الدموع أسفل خدها:

- «على أي حال كان لا يمكنك أن تكوني هناك في الوقت المناسب. أنا... أنا التقطت هاتفي للاتصال بك، وأبقيته مفتوحًا، ثم نظرت إلى بقية الأطفال في الفريق»، وتوقفت مؤقتًا. يمكنني أن أتصورهم وكل منهم واقف يفكر في فرصته هو، ليكون على **صباح الخير يا أمريكا**، مع ذلك الكأس الضخم... وأنا».

ثم واصلت روز بصوت خافت:

- «كل منا نظر في الآخر، **الجميع** فقط هزوا رؤوسهم الصغيرة: لا».

كلهم؟ ارتعشتُ، وارتفع شهيق روز، وهمست في نهاية المطاف:

- «لذلك أغلقت الهاتف، وصعدنا على متن الطائرة، و... لم أجرِ المكالمة».

كيف يمكن أن يكون الصمت عالي الصوت؟

ثم قال الأستاذ ديمنغ أخيرًا بهدوء:

- «أنا آسف جدًّا يا ميلودي، آسف جدًّا»، وانفجرت روز بالبكاء، ثم وضعت رأسها على طاولتها.

- «وقبل المنافسة»، مولي تفسر، «جاء مراسل من صحيفة واشنطن بوست لمقابلة الفريق، ولكنه غادر عندما تبين له أنك لم تكوني هناك».

مشى كونور إلى الجزء الأمامي من الغرفة، ثم التقط كأس المرتبة التاسعة، وجلبه لي وهو يتمتم ويلعق شفتيه:

- «آه، الفريق يريد تقديم هذا لك يا ميلودي، شيء من التعويض»، ووضعه على صينيتي.

شيء صغير، مصنوع من البلاستيك الرخيص المصبوغ ليبدو وكأنه من المعدن، واسم المدرسة حتى مكتوب بخطأ إملائي على الغطاء. ألقيت نظرة على التمثال الصغير القبيح، وبدأت بالقهقهة، ثم أخيرًا انهرت ثانية ضاحكة، ويداي تهتزان وتضربان الكأس، لست متأكدة هل كان ذلك حادثًا أو غير ذلك، فسقط على الأرض، وانكسر عدة قطع.

حدق الصف بي متفاجئًا، وعندما رأوا أنني لا أريد أن أقذف بشيء عليهم، بدؤوا بالضحك أيضًا؛ قليلًا، حتى روز نشقت وابتسمت.

- «أنا لا أريد الكأس!»، كتبت في نهاية المطاف. ثم رفعت حجم الصوت إلى أعلى ما يمكن، وأضفت: «أنتم تستحقون ذلك!»، وأدرت كهرباء الكرسي، واستدرت به على نحو سلس، وقدتُ نفسي خارجة من غرفة الصف.

الفصل الثالث والثلاثون

الصف الخامس ربما كان صعبًا جدًّا لكثير من الأطفال؛ الواجبات المنزلية، ألا تكون متأكدًا تمامًا هل كنت لطيفًا بما فيه الكفاية، والملابس، والآباء، والرغبة في اللعب مع الدمى، والرغبة في أن نكبر جميعًا في الوقت نفسه، ورائحة الإبطين.

أظن أنني كنت كل ذلك، بالإضافة إلى نحو مليون من المواد المختلفة الأخرى للتعامل معها: جعل الناس تفهم ما أريد، القلق بشأن ما أتطلع إليه، أن يتقبلك المجتمع. فأنا في الأحوال كلها لست مختلفة عن أي شخص آخر.

إنها مثلما يعطيني شخص ما لغزًا، ولكنني لا أمتلك الصندوق مع الصورة عليه لحل اللغز، ولذلك لا أعرف ما الصورة النهائية التي من المفترض أن يكون عليها، ولا ماذا يجب أن يشبه. ولست متأكدة حتى هل لدي كل القطع، وهذا ربما ليس مقارنة جيدة؛ لأنني لا يمكنني تركيب أجزاء اللغز معًا إذا أردت، حتى على الرغم من أنني عادة ما أعرف الإجابة عن معظم الأسئلة في المدرسة، فكثير من الأشياء لا تزال تحيرني.

عادت بيني إلى البيت من المستشفى مع انتفاخات، وكدمات، وزهور، وقبعة حمراء جديدة، وعادت اللعبة بين ذراعيها، إنهم يحوطونها بالرعاية، هذا على ما يرام بالنسبة إلي، فحتى بترسكوتش يعامل بيني كما لو أنها جرو جريح، فقد جلب الكلب كل ألعابها المفضلة المكدسة إلى غرفتها، كما لو كانت هدايا.

اليوم أنا أعمل في مشروع السيرة الذاتية للآنسة جوردون، وقد وصلت السيدة V ألفيرا بالحاسوب، والموسيقى الكلاسيكية تتسرب بهدوء من الآيبود الجديد.

سوف يستغرق هذا بعض الوقت. إن عقلي محشو بكثير من الأشياء، ولدي أشياء كثيرة لأقولها من خلال الإبهام الواحد فقط.

أعتقد أنني سوف أبدأ من البداية....

كلمات.

أنا محاطة بآلاف الكلمات، وربما بالملايين.

كاتدرائية. مايونيز. الرمان.

ميسيسيبي. نابولي. فرس النهر.

حريري. مرعب. قزحي الألوان.

دغدغة. العطش. الرغبة. القلق.

التفت الكلمات دائمًا من حولي مثل رقائق الثلج-كل واحدة منها حساسة ومختلفة، كل واحدة تذوب في يدي دون أن يمسَّها أحد.

في أعماقي كلمات تتراكم في انجرافات ضخمة.

جبال من العبارات والجمل، مترابطة؛

الأفكار. تعبيرات ذكية. نكات. أغاني الحب.

منذ كنت رضيعة، وربما كان عمري بضعة

أشهر، كانت الكلمات مثل الحلوى والهدايا السائلة التي

أشربها شربًا مثلما أشرب عصير الليمون، والتي يمكنني في الغالب أن أتذوقها.

الكلمات التي جعلت لأفكاري الملتبسة، ولمشاعري مادة ملموسة. والدايَ كانا دائمًا يغطيانني بالأحاديث، ويدردشان ويبربران، ويلفظان الكلمات بدقة في مسمعي.

والدي غنى لي، وأمي همست بانفعالاتها في أذني.

كل كلمة تحدثا بها إلي أو عني،

استوعبتها وحفظتها عن ظهر قلب، وأتذكرها كلها.

ليس لدي أي فكرة كيف فككت تعقيدات عملية الكلمات والفكر، ولكن ذلك حدث بسرعة وبصورة طبيعية. مع بلوغي السنة الثانية من عمري، كل ذكرياتي كانت كلمات، وكل الكلمات لها معانٍ، لكنها فقط في رأسي؛ فلم يسبق لي أن تحدثت بكلمة واحدة، وأنا أبلغ من العمر أحد عشر عامًا تقريبًا...

■ ■ ■

إذا وجدَ كتاب يستحق أن يقرأه المراهقون وأولياء الأمور (وأي شخص آخر)، فهو هذا الكتاب - صحيفة دنفر بوست.

ميلودي، ١١ عامًا، تملك ذاكرة مرآتية، ورأسها مثل آلة تصوير سينمائية تسجل طوال الوقت، ولكن لا يوجد فيها زر للحذف؛ كانت أذكى طفلة في مدرستها، ولكن لم يكن أي إنسان يعرف ذلك؛ فقد اعتقد معظم الناس، ومنهم المعلمون والأطباء، أنها غير قادرة على التعلُّم، وكانت أيام المدرسة - حتى وقت قريب - تمر وهي تستمع باستمرار إلى دروس أحرف الهجاء لمستوى الروضة مرة تلو الأخرى؛ تمنَّت لو أنها تستطيع الصراخ... لو أنها تستطيع إخبار من حولها كيف تفكر، وماذا تعرف؛ لكنها لا تستطيع؛ لأنها لا تقدر على الكلام، ولا تستطيع المشي ولا الكتابة. كانت أشياء كثيرة حبيسة في رأسها ولا تستطيع التعبير عنها، وهذا ما كان يسبب لها الجنون - إلى أن اكتشفت شيئًا جعلها تتكلم لأول مرة في حياتها؛ أخيرًا، أصبح لها صوت، لكن لا يوجد أحد ممن حولها يريد سماعه!


ISBN: 978-603-503-998-7





